فِي رِيَاضِ التَّفْسِيرِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الْجُزْءُ الثَّالِثُ

تَفْسِيرُ مَوْلَانَا الشَّيْخِ ابْرَاهِيمَ انْيَاسَ الْكَوْلَخِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مَدِينَة كَوْلَخ عَام 1383هـ

كتبه وخرج أحاديثه

مُحَمَّدُ بْنُ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ التِّجَانِي لطف الله به آمين

بمساعدة الولدين الاستاذين

أَحْمَدُ بْنُ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ

الشَّيْخ بَاي بْن أَحْمَد

الدرس الثاني والعشرون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيـــم

يا همة الشيخ احضري لنـــا بهذا المحضـــر
ولتعطفـــي بنظـــرة تأتي لنـــا بالظفـــر

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ﴾ يأخذون ﴿أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ كالرشا في الحكم ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه. وصفهم بأنهم يأكلون أموال الناس بالرشا في الحكم. الأحبار علماء اليهود من ذرية هارون خصوصا، والرهبان عبّاد النصارى عادتهم أكل أموال الناس بالباطل ويصدون الناس عن سبيل الله ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الذين يكنزون: يجمعون الذهب، سمي بالذهب لذهابه والفضة لانفضاضها أي تفرقها، فمهما فعل الكانز فلابد أن يذهب الذهب وتتفرق الفضة على رغمه ﴿وَلاَ يُنفِقُونَهَا﴾ أي لا ينفقون منها، ليس جميعها، كما قال "خذ من أموالهم صدقة" وكحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: في مائتين خمس أواق وفي عشرين مثقالا من الذهب نصف مثقال[1]، بيّن بهذا أن الإنفاق ليس كل المال بل

---

1 - أخرج الترمذي وأبو داود في سننهما وأحمد في مسنده كلهم عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قد عفوت عن صدقة الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة من كل أربعين درهما درهما وليس في تسعين ومائة شيء فإذا بلغت مائتين ففيها خمسة دراهم) سنن الترمذي: كتاب الزكاة/ باب ما جاء في زكاة الذهب والورق (563) وفي سنن أبي داود: كتاب الزكاة/ باب في زكاة السائمة (1343) ومن مسند أحمد: مسند العشرة المبشرين بالجنة/ مسند علي بن أبي طالب (673).

ربع العشر أو نصف العشر أو العشر[1] ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لا يؤدون منها حقه من الزكاة والخير ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ هو النار. الكنز من المال الذي لم يؤد حق الله فيه سواء من البقر أو من الإبل أو من الغنم أو من الذهب والفضة، مآل صاحبه إلى جهنم ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى﴾ تحرق ﴿بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ وتوسع جلودهم حتى توضع عليها كلها ويقال ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾ جزاء ما كنزتم ﴿لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ أي جزاءه. المال محبوب عند البشر طبعا لأن كل إنسان يحب الكمال لنفسه والمال من أسباب القدرة على كسب الكمال، فمن عنده المال عنده قوة يكسب بها الكمال، والإنسان حيث أنه لا يحب إلا الكمال يحب الوسيلة إلى الكمال، بهذا صاروا يحبون المال. قال الرسول صلى الله عليه وسلم (نعم المال الصالح للمرء الصالح)[2] إن كان في يد الرجل الصالح فهو مزرعة للآخرة لأن الدنيا سوق الصالحين ومساجدهم، بها وجدوا كل خير، كما أنها العدو الذي قطع الطريق على جميع من انقطع في الطريق.

لما أخرج الله آدم من الجنة بكى كل شيء في الجنة خوفا من الله وشفقة بآدم إلا ثلاثة أشياء الذهب والفضة والعود، فغضب الله عليها فأقسم أن الذهب والفضة لا يزالان يحرقان بالنار فلهذا لا يوجد سوار ولا خاتم ولا قلادة من الذهب والفضة

---

[1] – في زكاة الحبوب كما بينته السنة المطهرة جاء في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وما سقي بالنضح نصف العشر) رواه البخاري: كتاب الزكاة/ باب العشر فيما يسقى من ماء السماء (1483).

[2] – (نعم المال الصالح للمرء الصالح) من حديث أخرجه أحمد في مسنده: مسند الشاميين/حديث عمرو بن العاص (17096): تقدم في الدرس 19.

إلا بعد حرقها بالنار، والعود في حرق وحزن دائما "جزاء وفاقا". وصف عذاب أهل النار بأنهم تكوى جباههم وجنوبهم وظهورهم لأن البخيل إذا رأى المسكين يعبس وجهه فلهذا تكوى جباههم، وإذا ألح عليه أعرض عنه بجنبه فلهذا تكوى جنوبهم، وإذا ألح عليه قام وذهب عنه وولاه ظهره فلهذا تكوى ظهورهم أيضا «هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون»[1]. ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ المعتد بها للسنة ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ أي في حكم الله ﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ إن عدة الشهور مبتدأ اثنا عشر شهرا خبر، والظروف تأتي بعد ذلك: عند الله في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض. اثنا عشر شهرا أولها المحرم، سموا الشهور بهذه الأسماء لموافقتها للمعاني رقت الوضع، المحرم لأنهم كانوا يحرمون القتال فيه فسموه المحرم وهو رأس السنة، وصفر وافق المجاعة وخلوهم من المعاش، يقال صفر الوطاب إذا خلا من اللبن[2]، ليس عندهم شيء فسموه صفر، والربيعان وافقا زمن الخصب فسموهما ربيعا الأول وربيعا الثاني، ربيع الأول بالصفة، الإضافة غلط، والجماديان وقت جمد الماء وقت البرودة جمادى الأولى جمادى الثانية، ورجب من التعظيم لأنهم كانوا يعظمونه لاسيما مضر، فلهذا قالوا رجب مضر، وشعبان وقت تفرقهم إلى أشغالهم إذا تفرقوا في البلاد قالوا شعبان، ورمضان زمن الحر إذا وقع الرمضاء قالوا رمضان، وشوال إذا كثر العشب

---

1 - راجع القرطبي في تفسيره ج129/8.

2 - قال في اللسان مادة (وطب) الوطب: سقاء اللبن. وفي الصحاح: سقاء اللبن خاصة، وهو جلد الجذع فما فوقه والجمع أوطب وأوطاب ووطاب قال امرؤ القيس:

وأفلتَهُن علباء جريضا ولو أدركته صفِر الوطاب

ثم قال وقيل معنى صفِر الوطاب خلا لساقيه من الألبان.

وكثر الذباب ورفعت الإبل أذنابها قالوا شوال، وذو القعدة إذا قعدوا عن السفر وعن القتال قالوا ذو القعدة، وذو الحجة إذا حجوا شهر الحج سموه ذا الحجة.

هذه هي الشهور شهور السنة، والسنة المعتبرة في الحكم الشرعي هي السنة القمرية اثنا عشر شهرا في كتاب الله، منها تقوم الأحكام الشرعية كصوم رمضان وحج البيت كما قال "ويسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج" والسنة القمرية هي المعتبرة عند العرب وضعها إبراهيم وإسماعيل، اثنا عشر شهرا بعضها ثلاثون يوما وبعضها تسعة وعشرون، فجاءت السنة ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوما وثلث يوم. والسنة الشمسية وضعها اليهود بنو إسرائيل أولها يناير وآخرها دجمبر وهي ثلاثمائة وخمسة وستون يوما، بعض شهورها ثلاثون وبعضها واحد وثلاثون ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ جعل الله فيها أربعة أشهر حرم فيها القتال وهذا منسوخ وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، خلق الله الدنيا هكذا، عدة الشهور اثنا عشر شهرا لا كما وضع المشركون، فالمشركون لما كانت شهور السنة القمرية مرة ثلاثين ومرة تسعا وعشرين تأتي بعض الوقائع غير ملائمة لهم كالحج، كانوا يحملون تجاراتهم إلى الحج وربما يأتي زمن الحج في زمن لا يصلح فيه حمل التجارة فبدلوا فاقتبسوا من الشهور الشمسية فقلبوا الشهور فربما نسؤوا شهرا، فلما وقع النسي صارت السنة ثلاثة عشر شهرا وهذا يدور خمسا وعشرين سنة قبل أن يرجع الحج في شهر الحج. فلهذا لما فتح الرسول صلى الله عليه وسلم مكة كان الحج في ذلك العام في شوال وعام تسعة كان الحج في ذي القعدة فولى أبا بكر الحج وعام عشرة رجع الزمان كما بدئ فوافق حج الرسول صلى الله عليه وسلم ذا الحجة فلهذا خطب صلى الله عليه وسلم فقال: (إن الزمان اليوم قد استدار كهيئته يوم

خلق الله السماوات والأرض)[1] وهذا حكم الله فبقي هكذا اثنا عشر شهرا إلى يوم القيامة منها أربعة حرم محرمة: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ﴿ذَٰلِكَ﴾ تحريمها ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ المستقيم أي تحريم الأشهر الحرم أو جعل أشهر السنة اثني عشر شهرا هو الدين القيم ﴿فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ﴾ في الأشهر الحرم ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بالمعاصي فإنها فيها أعظم وزرا وقيل في الأشهر كلها. إن الله تبارك وتعالى فضل بعض الأشياء على بعض اختيارا منه ولا اعتراض عليه، فضل بعض النبيئين على بعض وبيّنا أن أفضل الأنبياء والمرسلين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفضّل بعض الشهور على بعض، رمضان أفضل الشهور، وفضَّل بعض الأماكن على بعض، مكة الحسنة فيها بمائة ألف حسنة[2]، وفضَّل بعض الأيام على بعض كيوم الجمعة ويوم عرفة، وبعض الليالي كليلة القدر وهذا التفضيل لحكمة، لأن العبد إذا علم أن هذا الشهر العمل فيه مضاعف سواء كان صالحا أو قبيحا فإنه

---

1 - أخرجه الشيخان، ولفظ البخاري من حديث أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق/ باب ما جاء في سبع أرضين (3197) وفي صحيح مسلم: كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات/ باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (3179).

2 - ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه) أخرجه ابن ماجه في سننه عن جابر كتاب الصلاة وإقامة السنة فيها/ باب فضل الصلاة في المسجد الحرام ومسجد النبي (1396) وأحمد في مسنده: مسند المكثرين/ مسند جابر بن عبد الله (14167) فباعتبار أن الحسنات في قوله تعالى "إن الحسنات يذهبن السيئات" تعني الصلوات تكون الحسنة في المسجد الحرام بمائة ألف حسنة فيما سواه.

يجتهد في عمل الخيرات رجاء هذه المضاعفة، ويتجنب المعاصي مخافة أن تضاعف عليه، وإذا استمر على تجنب المعاصي في الأيام الفاضلة إذا انقضت تلك الأيام وأراد العود إلى المعاصي لابد أن تلومه نفسه أن هذا ليس بحسن فربما استمر على اجتناب المعاصي أبدا، وإذا تعود العمل الصالح في الأيام الفاضلة فربما تعوده أبدا. والله تبارك وتعالى عدَّ أشهر السنة اثني عشر وجعل أربعة منها حرما، وهذا يشير إلى أن العبد مدة عمره ينبغي أن يجعلها لله تبارك وتعالى وإلا فلا أقل من أن يجعل ثلث عمره لله تبارك وتعالى، أربعة أشهر ثلث اثني عشر شهرا، إن لم تقدر أن تعطي اثني عشر شهرا كلها لله فلا أقل من أن تعطيه أربعة أشهر، أي إن لم تعطه مدة عمرك فأعطه ثلث عمرك. وورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم: (أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين)[1] معترك المنايا فيما بين الستين والسبعين، إذاً عمر الأمة ستون سنة والرسول صلى الله عليه وسلم توفي عن ثلاث وستين، فإذا عاش العبد حتى بلغ أربعين سنة وتحقق أن ثلثي عمره مضيا ينبغي أن يجعل الباقي لله تبارك وتعالى قبل الرجوع إليه قال شاعر:

إذا العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغـــار فقد ضاق الزمان على الصغار

وقد كنت صوبتُ هذا:

إذا العشرون من رمضان ولت فواصل ذكر ليلك بالنهار
ولا تركن لأقـــــران صغـــار فقد ضاق الزمان على الصغار

---

1 - (أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك) للترمذي في سننه عن أبي هريرة، كتاب الدعوات/ باب في دعاء النبي (3473) وفي سنن ابن ماجه عنه: كتاب الزهد/ باب الأمل والأجل (4226).

ومعنى عشرون من شعبان إذا مضى ثلثا العمر من العبد إذا بلغ أربعين سنة فليشتغل بالله ﴿فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ بارتكاب المعاصي فإن الأشهر الحرم تضاعف فيها الأعمال الصالحة، والأعمال السيئة مختلف فيها قيل إنها تضاعف[1] وقيل إنها لا تضاعف. وهذا التفضيل بفضل الله تبارك وتعالى، فضل الله يؤتيه من يشاء. فضّل مكة وفضّل المدينة وفضّل بيت المقدس على جميع البقاع، وفضّل رمضان وفضل الجمعة وفضّل عرفات وفضل بعض الأوقات على بعض، فأوجب الصلاة في بعض الأوقات دون بعض وأوجب الصيام في بعض الأوقات دون بعض، وخلق ساعات الإجابة كل هذا فضله يعطيه من يشاء ليس فيه أي علة، واختلفوا في أيهما أفضل مكة أو المدينة فذهب الشافعي إلى أن مكة أفضل لأنها لا يدخلها أحد إلا بإحرام وفيها بيت الله، وذهب مالك إلى أن المدينة أفضل لأن فيها البقعة التي نام فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه أقول ﴿وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ جميعا في كل الشهور ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ أي في جميع الشهور هذه نَسخت "منها أربعة حرم"، الأشهر الحرم منسوخة بهذه الآية ولكن بقيت حرمتها إلى يوم الدين ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر. فلما كانت تلك الأشهر محرمة قبل ونسخت، بقيت حرمتها إلى الآن. منها الأربعون التي صام موسى عليه الصلاة والسلام ذو القعدة وعشر من ذي الحجة، وورد حديث أن رسول الله صلى الله

---

1 – جاء في تفسير ابن كثير أن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواها وهو قول قتادة، ومثله لابن عباس قال: "وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والأجر أعظم" ابن كثير ج356/2، وللقرطبي: يضاعف فيه العقاب بالعمل السيئ كما يضاعف الثواب بالعمل الصالح ج134/8.

عليه وسلم قال (ما من أيام أحب إلى الله فيها العبادة من عشر ذي الحجة[1] يوم فيه كسنة)، وحيث أدبر الناس عن الله تبارك وتعالى وقست القلوب صارت الأشهر الحرم لا حرمة لها عند الناس مطلقا، حتى رمضان المعظم يرتكبون فيه المعاصي فإنا لله وإنا إليه راجعون ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ التأخير لحرمة شهر إلى آخر كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حرمة المحرم إذا هل وهم في القتال إلى صفر ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ كانوا جعلوا السنة ثلاثة عشر شهرا مرة واثني عشر مرة هذا زيادة في الكفر ﴿يَضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُ﴾ أي النسي ﴿عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُواْ﴾ يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله ﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ عدد ما حرم الله من الأشهر فلا يزيدون على تحريم أربعة ولا ينقصون ولا ينظرون إلى أعيانها ﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ إذا جاء المحرم وهيأوا للقتال قالوا أخرنا هذا المحرم إلى صفر وقاتلوا في المحرم وجعلوا صفر هو المحرم فأحلوا ما حرم الله من حيث لم يشعروا ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ فظنوه حسنا ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ونزل لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى غزوة تبوك وكانوا في عسرة وشدة حر فشق عليهم ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾ تباطأتم وملتم عن الجهاد إلى القعود إلى الأرض، والاستفهام للتوبيخ ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولذاتها ﴿مِنَ الآخِرَةِ﴾ بدل نعيمها

---

1 – أخرجه الترمذي وابن ماجه في سننهما عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبد له فيها من عشر ذي الحجة يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر) واللفظ للترمذي. سنن الترمذي: كتاب الصوم/ باب ما جاء في العمل في أيام العشر (689)، وفي سنن ابن ماجه: كتاب الصيام/ باب صيام العشر (1718). وكذا أخرجه أبو داود عن ابن عباس باختلاف يسير في الألفاظ انظر سنن أبي داود: كتاب الصوم/ باب صوم العشر (2082).

﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي﴾ جنب متاع ﴿الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ حقير ﴿إِلاَّ تَنفِرُواْ﴾ تخرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم للجهاد ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يأتي بهم بدلكم ﴿وَلاَ تَضُرُّوهُ﴾ لا تضروا الله أو النبي صلى الله عليه وسلم ﴿شَيْئًا﴾ بترك نصره فإن الله ناصر دينه ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه نصر دينه ونبيه ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ﴾ النبي صلى الله عليه وسلم ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ﴾ حين ﴿أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من مكة ألجأوه إلى الخروج لما أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ أحد اثنين والآخر أبو بكر ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ نقب في جبل الثور ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ أبي بكر وقد قال له لما رأى أقدام المشركين: لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا[1] ﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ بنصره ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ طمأنينته ﴿عَلَيْهِ﴾ على النبي صلى الله عليه وسلم أو على أبي بكر وهو الأنسب لأن النبي صلى الله عليه وسلم ما خاف إنما خاف أبو بكر فأنزل الله سكينته على أبي بكر ﴿وَأَيَّدَهُ﴾ أيد النبي ﴿بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ في الغار. قصة الهجرة كان الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة وشدد المشركون الإذاية على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى كل من معه من أصحابه، فبعضهم هاجر إلى الحبشة، وبعضهم ذهب إلى المدينة، فحبس أبو بكر نفسه لم يفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أمِر بالهجرة فهاجر معه، فالآية تدل على أفضلية أبي بكر على جميع الصحابة أو على جميع الناس ما عدا الأنبياء والمرسلين. ما ولد مولود مثل أبي

1 – أخرجه الشيخان واللفظ للبخاري عن أنس عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأنا في الغار لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال (ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما) صحيح البخاري: كتاب المناقب/ باب مناقب المهاجرين وفضلهم منهم أبو بكر الصديق (3653) ولمسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة/ باب من فضائل أبي بكر (4389).

بكر بعد الأنبياء والمرسلين؛ هو ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في كثير من المناسبات، ثانيه في الإيمان، لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أول من آمن به فكان ثانيه، فلما أسلم ذهب إلى عثمان بن عفان وأبي عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ودعاهم إلى الإسلام حتى قبلوا فجاء بهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم[1]، فكان ثاني النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، ولما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم كان ثانيه في الغار كما قال القرآن، ووصلوا إلى المدينة ما رأى الأنصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أبا بكر وما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله إلا أبا بكر والأنصار، ولما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذي توفي فيه كان أبو بكر هو إمام الناس فكان ثانيه في الإمامة، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم جعله المسلمون خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ثانيه، فلما مات أبو بكر دفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ثانيه في القبر. هذا ليس إلا لأبي بكر. وكونه ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة أدل دليل على صدقه لأن النبي صلى الله عليه وسلم - وفي ذلك الوقت أعداؤه كثيرون يطلبون قتله - خرج ليلا و لم يأمن أن يصاحبه إلا أبو بكر لو علم أن في باطن أبي بكر أدنى غش لما ائتمنه على نفسه في تلك الحالة، فسار معه وبقيا في الغار بضعة عشر يوما ليس عندهما طعام إلا ما تأتي به أسماء بنت أبي بكر وعامر بن فهيرة راعي أبي بكر، وكانا أثناء سيرهما يتقدم أبو بكر تارة وتارة يتأخر يقول له الرسول: ما

---

1 - راجع ذكر من أسلم من الصحابة بدعوة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في سيرة ابن هشام ج267/1.

بالك؟ يقول: إذا تذكرت الطلب أكون خلفك لأفديك وتسلم أنت وإذا فكرت أن رائدا يأتينا من أمامنا أتقدم ليصادفني وتسلم أنت، والله إن أصبت ذهب دين الله تبارك وتعالى، وأنا إذا قُتلت فلا شيء، واحد من الناس فقط، فلما رأى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعب حمله على ظهره وصار يعدو حتى وضعه عند الغار، والمسافة قريبة لا تقتضي هذه الرواية أن يكون الرسول صلى الله وسلم يتعب في تلك المسافة، اللهم إلا إذا كانا ضلا الطريق، أو الرواية التي ذكرت أنهم سبقوا إلى حنين فامتنع حنين قال يا رسول الله اذهب عني لا يقتلوك فوقي فأشقى بذلك فقال له جبل الثور إلي، إلي يا رسول الله، فرجع إلى الثور فلهذا طالت المسافة حتى تعب الرسول وحمله أبو بكر حتى وضعه في الغار ودخل في الغار وأخرج منه كل ما يؤذي فنام الرسول صلى الله عليه وسلم على فخذي أبي بكر. «إذ يقول لصاحبه» أجمعت الأمة على أن هذا يعني أبا بكر، وهذا نص على أفضليته، القرآن نص على أنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. من أنكر أن أبا بكر صاحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كفر لأنه أنكر القرآن «لا تحزن إن الله معنا» لما خاف أبو بكر بكى وقال يا رسول الله إن أصبت ذهب دين الله قال له لا تحزن، ما تقول في اثنين الله ثالثهما؟ قال أبو بكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله الله ثالثنا؟ قال: نعم فاطمأن ورضي ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ أي الكفار طلعوا على الجبل حتى وقفوا فوق الغار وهما في الغار، قال أبو بكر يا رسول الله هذا الرجل لو نظر إلى قدميه لرآنا قال له: ("لا تحزن إن الله معنا" ما تقول في اثنين الله ثالثهما)[1] وذهب الخوف بأبي بكر مذهبا بعيدا أيضا حتى قال

---

1 – أخرجه الشيخان في الصحيحين وقد سبق تخريجه في هذا الدرس.

له الرسول صلى الله وعليه وسلم: انظر فنظر فإذا طريق واسعة إلى بحر وسفينة مرساة قال له: إذا رآنا المشركون نركب تلك السفينة، فسكن خوف أبي بكر. وعطش في الغار ليلة فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم اخرج إلى فم الغار واشرب فخرج فوجد ماء أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج فشرب أبو بكر حتى روي ودخل، فقال يا رسول الله من أين هذه العين؟ قال له: إن الله أمر رضوان خازن الجنة أن ينبع عينا من الفردوس إلى فم الغار لتشرب قال: ألي هذه المنزلة عند الله تبارك وتعالى؟ قال نعم وأفضل من ذلك وأفضل من ذلك[1].

الله تبارك وتعالى عاتب المتخلفين عن الجهاد أهم إن لم يخرجوا للجهاد ينزل عليهم عذابا وبين لهم أن الدعوة إلى الجهاد مصلحة المسلمين وأن الله ورسوله في غنى عن نصرة المسلمين لقوله «إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين» خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وحده ليس معه إلا أبو بكر فنصره الله ومن نصره على تلك الحالة قادر على نصرته الآن، إذاً فمن خرج خرج لينفع نفسه ومن تخلف فلا يضر إلا نفسه والله في غنى عن ذلك ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى﴾ المغلوبة ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ﴾ كلمة الشهادة ﴿هِيَ الْعُلْيَا﴾ الظاهرة الغالبة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً﴾ نشاطا أو غير نشاط أو أقوياء وضعفاء أو أغنياء وفقراء ﴿وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم فلا تتثاقلوا عن الجهاد. ونزل في المنافقين الذين تخلفوا ﴿لَوْ كَانَ﴾ ما دعوتهم إليه ﴿عَرَضًا﴾ متاعا من الدنيا ﴿قَرِيبًا﴾ سهل المأخذ ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ وسطا

---

1 – أورد هذه الحكاية إسماعيل حقي البروسوي في تفسيره روح البيان ج435/3.

﴿لَاتَّبَعُوكَ﴾ طلبا للغنيمة ﴿وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ المسافة فتخلفوا ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ إذا رجعتم إليهم ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا﴾ الخروج ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بالحلف الكاذب ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولهم ذلك، وكان صلى الله عليه وسلم أذن لجماعة في التخلف باجتهاد منه، فنزل عتابا له وقدّم العفو تطمينا لقلبه. بعض المنافقين استأذنوا الرسول صلى الله عليه وسلم فأذن لهم في التخلف فقال الله ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ قدَّم العفو لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الخوف من الله وشديد الخشية لو سبق لِمَ أذنت لهم قبل أن يأتي العفو لقطع قلبه صلى الله عليه وسلم من شدة الخوف من الله، فلهذا علم الله منه ذلك فقدم العفو، «عفا الله عنك لم أذنتَ لهم» في التخلف؟ هلا تركتهم ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في العذر ﴿وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ فيه ﴿لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ في التخلف عن ﴿أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ﴾ في التخلف ﴿الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ﴾ شكت ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ في الدين ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ يتحيرون ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ﴾ معك ﴿لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً﴾ أهبة من الآلة والزاد ﴿وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾ لم يرد خروجهم ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ كسلهم ﴿وَقِيلَ﴾ لهم ﴿اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ المرضى والنساء والصبيان قدر الله تعالى ذلك ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً﴾ فسادا بتخذيل المؤمنين ﴿وَلأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ﴾ أسرعوا بينكم بالمشي بالنميمة ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ يطلبون لكم الفتنة بإلقاء العداوة ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ ما يقولون سماع قبول ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ المنافقون تخلفهم مصلحة للمسلمين، لو حضروا لتكاسلوا ودعوهم إلى الكسل ولأفسدوا على المسلمين ولأدخلوا بينهم العداوة بسبب النميمة، تلك عادة المنافقين «والله

عليم بالظالمين» النميمة من الكبائر[1]، وواجب على من أتاه نمام أن يطرده ويكذبه. جاء رجل إلى الحسن البصري فقال له: فلان قال فيك كذا وكذا، وعدّ أشياء قبيحة قال له: متى؟ قال له أمس، قال له في أي محل؟ قال له: في داره، قال: كنتَ في داره؟ قال: نعم كنتُ في داره، قال: ولِم؟ قال: دعاني إلى وليمة. قال: كم أكلت عنده من ألوان الطعام؟ عدّ له ثمانية ألوان، قال له: ويحك بطنك تسع كل هذا من ألوان الطعام ولا تسع كلمة سمعتها منه؟ اذهب عني أفسدتَ عليَّ نفسك لأني لا أثق بك بعد، وأفسدت علي صديقي لأنك بلّغتني الشر من عنده، اذهب ولا ترجع إلي. هذا هو الذي يستحق النمام أن يعامَل به ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ أول ما قدمت المدينة ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ﴾ أجالوا الفكر في كيدك وإبطال دينك ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ﴾ النصر ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ كارهون له فدخلوا فيه ظاهرا لا باطنا ﴿وَمِنْهُم مَّنْ يَّقُولُ ائْذَن لِّي﴾ في التخلف ﴿وَلاَ تَفْتِنِّي﴾ منافق يقال له الجد بن قيس دعاه النبي صلى الله عليه وسلم: هل لك في جِلاد بني الأصفر في جهاد النصارى؟ إذا جاهدنا النصارى فسبينا من بناهم أعطيك شيئا من بناهم، قال: يا رسول الله إني مغرم بالنساء وأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا أصبر عنهن فأفتتن[2] ائذن لي في التخلف عن الجهاد. بنو الأصفر هم النصارى أولاد عيص بن إسحاق سموا بني الأصفر لأن جدهم ذهب إلى بلد فتزوج بأمة سوداء فجاءته بولد أصفر فخرج منه النصارى، فلهذا جاءوا صفرا «ومنهم من يقول ايذن لي» في التخلف «ولا تفتني» هو الجد، قال تعالى

---

1 – ذكره البخاري في صحيحه ترجمة باب من كتاب الأدب فقال: باب النميمة من الكبائر.
2 – قاله جلال الدين السيوطي في تفسير الجلالين. حاشية الصاوي على الجلالين ج152/2.

﴿أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾ بالتخلف ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ لا محيص لهم عنها ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ كنصر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ المنافقين ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ شدة ﴿يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ بالحزم حين تخلفنا ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل هذه المصيبة ﴿وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ بما أصابك ﴿قُل لَّن يُّصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ إصابته ﴿هُوَ مَوْلاَنَا﴾ ناصرنا ومتولي أمورنا ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ قال الرسول صلى الله عليه وسلم (إن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك)[1] من شرط الإيمان الإيمانُ بالقدر، والتوكل على الله تبارك وتعالى هو طريق القوة ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا﴾ تربصون تنتظرون أن يقع بنا ﴿إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ العاقبتين النصر أو الشهادة ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُّصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ بقارعة من السماء ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ بأن يوذن لنا في قتالكم ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ بنا ذلك ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ عاقبتكم ﴿قُلْ أَنفِقُواْ﴾ في طاعة الله ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّنْ يُّتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ ما أنفقتموه ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهِ﴾ عدموا الشرط، شرط القربة الإيمان بالله، فمن لم يؤمن فعمله هباء منثور ﴿وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ

---

1 – طرف من حديث أخرجه أبو داود وابن ماجه في سننهما عن أبي بن كعب دون أن يرفعه أُبيٌّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرجه أحمد في مسنده عن زيد بن ثابت مرفوعا ولفظه: حدثنا إسحاق بن سليمان قال سمعت أبا سنان يحدث عن وهب بن خالد الحمصي عن ابن الديلمي قال وقع في نفسي شيء من القدر فأتيت زيد بن ثابت فسألته فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم ولو كان لك جبل أحد أو مثل جبل أحد ذهبا أنفقته في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وأنك إن مت على غير هذا دخلت النار) مسند أحمد: مسند الأنصار/ باب حديث زيد بن ثابت (20626).

كُسَالَى﴾ متثاقلون ﴿وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ النفقة لأنهم يعدونها مغرما ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ تكررت هذه الآية في هذه السورة بألفاظ مختلفة والمعنى واحد[1] «فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ» لا تستحسن نعمنا عليهم فهي استدراج «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم» أن يعذبهم «بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» بما يَلقون في جمعها من المشقة وفيها من المصائب «وَتَزْهَقَ» تخرج «أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ» فيعذبهم في الآخرة أشد العذاب. بينت هذه الآيات أن كثرة الأموال والأولاد عذاب في الدنيا وعذاب في الآخرة، وبيان ذلك أن الإنسان مولع بحب المال لأنه يرى أن المال يعطي قدرة على اكتساب الكمال، فإذا جد الإنسان في طلب المال يلقى عذابا شديدا قبل أن يجد المال، وهذا عذاب، وإذا وجد المال بكثرة حرص على حفظه وجمعه وزيادته، وهذا عذاب يستغرق جميع ما عنده من الأعضاء: فعيناه لا تنظران إلا إلى الدنيا، والأذنان لا تستمعان إلا للدنيا، واللسان لا يتكلم إلا في الدنيا، والقدمان لا تمشيان إلا إلى الدنيا، واليدان كذلك والقلب مستغرق في حب المال، فإذا وقع في أي مصيبة كان ألما في قلبه وعذابا، وإذا جمع المال حتى كثر لا يخلو من أحد أمرين إما أن يذهب المال عنه، يهلك المال ويبقى هو فهذا عذاب شديد عليه، الفقر بعد الغنى، أو يذهب هو ويترك المال، إذا ذهب هو يفارق الدنيا يتفكر في ما عنده من الأموال وهو لا يحب إلا المال ويعلم أنه يفارق محبوبه الآن ويذهب إلى محل كربة وضيق، هذا عذاب شديد، وإذا أتى للآخرة فحلالها حساب

---

1 – يعني قوله تعالى في الآية 85: "ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون" راجع الصفحة 36.

وحرامها عقاب، فبهذا تبين أن كثرة المال عذاب في الدنيا وعذاب في الآخرة. مر سليمان بن داود على رجل وهو يركب الريح وتظلله الطيور ويمشي حوله الجن والإنس والوحوش والدواب والحيوانات، فقال الرجل: ما أكثر ما أعطى الله لابن داود، قال سليمان: لتسبيحة واحدة خير مما أوتي ابن داود[1] لأن هذا كلا يفنى وتسبيحة واحدة تبقى «فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ» فيعذبهم في الآخرة أشد العذاب ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ مؤمنون ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين فيحلفون تقية ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ يلجأون إليه ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾ سراديب أي أماكن ضيقة تحت الأرض ﴿أَوْ مُدَّخَلاً﴾ محلا يدخلونه ﴿لَوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ يسرعون في دخوله والانصراف عنكم إسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح. النفاق يقارنه الجبن دائما ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ نزلت هذه الآية في أحد المنافقين يقال له أبو الجواظ[2]، المنافق نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم الصدقات، فقال: انظروا إلى صاحبكم يعطي صدقاتكم لرعاة الغنم ويزعم أنه يعدل. قال الرسول صلى الله عليه وسلم من يعدل إذا لم أعدل، من يعدل إذا لم أعدل، خبت وخسرت إن لم

---

1 – من وصايا الرسول ج732/1.

2 – ذكره الصاوي في حاشيته على الجلالين ج153/2. وقيل نزلت في ذي الخويصرة التميمي، وهو ما أخرجه البخاري وأحمد من حديث أبي سعيد الخدري، وورد الحديث في رواية لمسلم من طريق أبي سلمة وعطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري دون تسميته، ورواه من طريق ابن شهاب الزهري عن أبي سعيد وقال فيه "أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم ...الحديث" غير أنه لم يذكر أن فيه نزلت الآية كما للبخاري وأحمد.

أعدل. فلما ولّى قال سيخرج من جؤجئ هذا الرجل قوم تحقرون صلواتكم عند صلواتهم وصيامكم عند صيامهم وقراءتكم عند قراءتهم، وهم مرقوا من الدين مروق السهم من الرمية، لو أدركتهم لقتلتهم شر قتلة إن في قتلهم لأجرا[1] هو جد النجديين هؤلاء ﴿وَمِنْهُم مَّنْ يَّلْمِزُكَ﴾ يعيبك ﴿فِي﴾ قسم ﴿الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ إذا قسم لهم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: نعم هذه القسمة مستقيمة، وإذا لم يجدوا نصيبا فالقسمة عندهم جائرة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من الغنائم ونحوها ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ كافينا ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ من غنيمة أخرى ما يكفينا ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ أن يغنينا لكان خيرا لهم ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾ الزكوات ﴿لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ قسم الله تبارك وتعالى الصدقات على هذه الأصناف الثمانية، مصروفة للفقراء الذين لا يجدون ما يقع موقعا من كفايتهم. اختلف مالك والشافعي، قال الشافعي: إن الفقير من ليس عنده شيء، والمسكين من لم يجد ما يكفيه، ومالك بالعكس المسكين عنده من ليس عنده شيء والفقير من لم يجد ما يكفيه. ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الفقير الصابر بمنزلة الغني الشاكر عند الله تبارك وتعالى. من أخرج صدقة يصرفها إلى فقير أو إلى مسكين، قال جلال: الشافعي يقول: المسكين من لم يجد ما يكفيه، بدليل آية "أما السفينة فكانت لمساكين" كانوا ملكوا سفينة وسماهم الله مساكين، ومالك يقول: "أو مسكينا ذا متربة" المسكين الذي التصق بالأرض من شدة الجوع يرجو لقمة هذا هو المسكين

---

1 – أخرجه الشيخان، صحيح البخاري: كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم/ باب من ترك قتال الخوارج للتألف وألا ينفر الناس عنه (6933) وفي صحيح مسلم: كتاب الزكاة/ باب ذكر الخوارج وصفاقم (1765).

عنده ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ أي الصدقات من جابٍ ومفرق وقاسم وكاتب وحاشر، ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ ليسلموا أو يثبت إسلامهم أو يسلم نظراؤهم أو يذبوا عن المسلمين أقسام. ادعى بعض الناس نسخ هذه الآية وهي غير منسوخة إنما الناس تركوا العمل بها فقط ﴿وَفِي﴾ فك ﴿الرِّقَابِ﴾ المكاتبين ﴿وَالْغَارِمِينَ﴾ أهل الدين ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ القائمين بالجهاد ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء ولا منع صنف منهم إذا وجد، فيقسمها الإمام عليهم على السواء، وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض، وأفادت اللام وجوب استغراق أفراده، لكن لا يجب على صاحب المال إذا قسم لعسره بل يكفي إعطاء ثلاثة من كل صنف، ولا يكفي دونها كما أفادته صيغة الجمع، وبينت السنة أن شرط المعطَى منها الإسلام، وأن لا يكون هاشميا ولا مطلبيا، هؤلاء هم الذين يعطون الصدقات: الفقراء والمساكين، والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم، وفي الرقاب: المكاتبين، والغارمين: أهل الدّين، والمجاهدين، وابن السبيل.

﴿وَمِنْهُمْ﴾ المنافقين ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ هذه نزلت في منافق تكلم في الرسول صلى الله عليه وسلم قال إن الرسول أذن واحد، من أتاه وأخبره خبرا وأقسم له يصدقه فقط، فعلى هذا يقولون ما شاءوا فإذا أتوا إلى النبي ينكرون ويحلفون ﴿وَمِنْهُمْ﴾ من المنافقين ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ يعيبه وينقل حديثه ﴿وَيَقُولُونَ﴾ إذا نهوا عن ذلك ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ يسمع كل قيل ويقبله فإذا حلفنا له أنا لم نقل صدقنا ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ﴾ أذن مستمع خير ﴿لَكُمْ﴾ لا مستمع شر ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ﴾ يصدق ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يؤمن بالله ويصدق للمؤمنين فيما أخبروه به لا لغيرهم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ رحمة من الله تبارك وتعالى ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ

اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول صلى الله عليه وسلم أهم ما أتوه ﴿لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ أن يرضوا الرسول صلى الله عليه وسلم إن كانوا مؤمنين. والله ورسوله أحق أن يرضوه، الضمير عائد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لأن رضى الرسول هو رضى الله تبارك وتعالى، قرن طاعته بطاعته "من يطع الرسول فقد أطاع الله" ومبايعته بمبايعته "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله" ورضاه برضاه "والله ورسوله أحق أن يرضوه" لم يقل يرضوهما، خطب خطيب بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى، فقال له الرسول: بئس الخطيب أنت، أنكر منه كونه جعل التسوية بين الله ورسوله، كان من الأدب أن يقول: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى. أو قيل إنه وقف عند ومن يعصهما فقال: بئس الخطيب أنت[1]. والآية أفردت الضمير العائد إلى الرسول لنعلم أن رضى الرسول هو رضى الله تبارك وتعالى، وقرن الله عزة الرسول بعزته "ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين" إرضاءان إرضاء واحد، من أرضى الله فقد أرضى الرسول ومن أرضى الرسول فقد أرضى الله ﴿إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ﴾ الشأن ﴿مَنْ يُحَادِدِ﴾ يشاقق ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ جزاء ﴿خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ يَحْذَرُ﴾ يخاف

---

1 – أخرج مسلم في صحيحه عن عدي بن حاتم أن رجلا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بئس الخطيب أنت، قل ومن يعص الله ورسوله، قال ابن نمير (وهو من رواته) فقد غوي. صحيح مسلم: كتاب الجمعة/ باب تخفيف الصلاة والخطبة (1438) وللنسائي في كتاب النكاح/ باب ما يكره من الخطبة (3227).

﴿الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق وهم مع ذلك يستهزئون ﴿قُلِ اسْتَهْزِئُواْ﴾ أمر تهديد ﴿إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ﴾ مظهر ﴿مَا تَحْذَرُونَ﴾ إخراجه من نفاقكم. هذا كلا كان في غزوة تبوك، لما رجعوا من تبوك صار جحش بن حمير وكان من المنافقين يقول: والله إن كان الذي يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا فنحن شر من الحمير، سمعه حذيفة فقال له نعم، الذي يقول الرسول حق وأنتم شر من الحمير، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقص عليه فجاء جحش وأقسم بالله أنه ما قال هذا[1] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾ عن استهزائهم بك والقرآن وهم سائرون معك إلى تبوك ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ معتذرين ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ في الحديث لنقطع به الطريق و لم نقصد ذلك ﴿قُلْ أَبِاللّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لاَ تَعْتَذِرُواْ﴾ عنه ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ ظهر كفركم بعد إظهار الإيمان ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ بإخلاصها وتوبتها كجحش بن حمير[2] صحت توبته وترك النفاق وصار مؤمنا حقا هذا عفا الله عنه «إن يعف عن طائفة» كجحش ﴿نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ الذين لم يسلموا، كان في المدينة من المنافقين في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة من المنافقين

---

1 – ذكر ابن كثير الحكاية دون ذكر أسماء أصحابها نقلا عن قتادة. تفسير ابن كثير ج367/2.

2 – الظاهر أن اسمه مختلف فيه فقد قال السيوطي في تفسير قوله تعالى "إن يعف عن طائفة منكم": بإخلاصها وتوبتها كمخشي بن جبير فقال الصاوي في حاشيته على الجلالين تعليقا على ذلك: وفي بعض النسخ كجحش بن حمير ولابن هشام في سيرته عن ابن اسحاق مُخَشِّن بن حُمَيِّر ج168/4، وقيل مخشي كما في القرطبي وابن كثير ج368/2 ونقل القرطبي أقوالا أخرى في تسميته انظرها في تفسيره ج199/8.

ومائة وسبعون من المنافقات[1]، هذا في عهد النور ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾ متشابهون في الدين كأبعاض الشيء الواحد ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ الإيمان والطاعة ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن الإنفاق في الطاعة ﴿نَسُواْ اللَّهَ﴾ تركوا طاعته ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ تركهم من لطفه ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ جزاء وعقابا ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم، أنتم أيها المنافقون ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا فَاسْتَمْتَعُواْ﴾ تمتعوا ﴿بِخَلاَقِهِمْ﴾ نصيبهم من الدنيا ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ﴾ أيها المنافقون ﴿بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ﴾ في الباطل والطعن في النبي صلى الله عليه وسلم ﴿كَالَّذِي خَاضُواْ﴾ كخوضهم ﴿أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ قرى قوم لوط ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات فكذبوهم فأهلكوا ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بأن يعذبهم بغير ذنب ﴿وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب الذنب ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ عكس المنافقين ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء عن إنجاز وعده ووعيده ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يضع شيئا إلا في محله ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ

---

1 – ذكره الصاوي في حاشيته على الجلالين ج156/2.

وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أعظم من ذلك كله ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ رضوان الله أكبر من الجنة. ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة يعطيهم الله تبارك وتعالى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قط[1] مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، اقرأوا إن شئتم "فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء" فإذا كانوا في الجنة وتنعموا بالأكل والشرب، كلهم ابن ثلاث وثلاثين سنة، ليس فيهم شعر إلا شعر الجبين والأشفار، بقوا مدة يتنعمون حتى تجلى لهم وقال لهم أزيدكم؟ قالوا: هل يتأتى أن يوجد مزيد لهذا؟ قال الله تبارك وتعالى: أحل رضواني عليكم فلا أسخط عليكم بعده أبدا[2]. فيحل رضوانه عليهم فكان أكبر من الجنة، هذا «ورضوان من الله أكبر» قال

---

1 - أخرجه الشيخان في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرءوا إن شئتم "فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين") واللفظ للبخاري. صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق/ باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (3244)، وفي صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ (5050).

2 - أخرجه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا) متفق عليه، صحيح البخاري: كتاب التوحيد/ باب كلام الرب مع أهل الجنة (7518) وفي صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدا (5057).

العارفون: في الدنيا جنة من دخلها لم يشتق إلى جنة الفردوس وهي جنة المعرفة بالله تبارك وتعالى. قال أبو يزيد: والله لأنيني وقت السحر أفضل عندي من الجنة وما فيها من النعيم[1]، يعني المعرفة بالله والأنس به، رزقنا الله وإياكم ذلك. لأن من عرف الله تبارك وتعالى دخل جنة حاضرة. الإنسان قسمان: نفس وعقل، العقل يحب أمينا يودعه حسناته، والنفس تحب غنيا تعلق عليه آمالها، فإذا عرف العبد الله تبارك وتعالى وجدت النفس غنيا تعلق جميع الآمال عليه، ووجد العقل أمينا يودع عنده جميع ما عنده من الحسنات، وإذا وجد الإنسان ما وافق شهوته وعقله فهو في جنة. الجنة أن تجد ما يوافق عقلك وشهوتك وهذا لا يوجد إلا في الجنة أو في المعرفة بالله تبارك وتعالى «ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم» ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيءُ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهار والمقت ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ خاطب الرسولَ صلى الله عليه وسلم محمدا بقوله «جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ» وخاطب موسى عليه الصلاة والسلام وهارون "اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا ليِّنا" لِم أمر الكليم أن يكون لينا عند فرعون وأمر محمدا أن يكون غليظا؟ الجواب: محمد صلى الله عليه وسلم كان متخلقا بالرحمة هيّنا ليِّنا فأمره الله أن يغلظ، إذا أمره الله بالغلظ يصل إلى حالة الاعتدال، وموسى كان غليظا وأمره الله باللين فإذا اتصف باللين يكون معتدلا، فلهذا أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم بالغلظ وأمر موسى باللين «جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ» هذا حالة الحرب، حالة القتال لا ينبغي

1 – جاء في روح البيان ج465/3: قال أبو يزيد البسطامي: حلاوة المعرفة الإلهية خير من جنة الفردوس وأعلى عليين، لو فتحوا الي أبواب الجنان الثماني وأعطوني الدنيا والآخرة لم تعدل أنينا وقت السحر.

فيها استعمال رحمة ولا لين، هذا من مكائد الحرب ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع. فأشقى الناس من قتل نبيا أو قتله نبي[1] لأن النبي محل الرحمة فلا يقتل إنسانا إلا إذا رآه خاليا من كل خير لا يستحق أي جزء من الرحمة. الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الطبيب. الطبيب يأتيه المرضى، مريض مرضه خفيف يأمره بإبدال مطعمه ومشربه، كلْ كذا وكذا، ولا تأكل كذا وكذا، يكفيه ذلك من العلاج؛ ومريض يحتاج لأن يسقيه الدواء، ومريض يحتاج لأن يعمل فيه الجراحة، مريض فسد عضو من أعضائه وإذا ترك يعدي جميع الأعضاء، ذلك العضو لابد فيه من القطع. إذا نظر الرسول إلى شخص فعلم أنه ليس فيه خير لا ينبغي إلا قتله، فإذا قتله كان هذا دليلا على فساد ذلك من أصله، فلهذا قال: شر الناس من قتل نبيا أو قتله نبي. وقال لعلي: هل تعلم أشقى الأولين؟ قال: لا، قال: قدار بن سالف عاقر ناقة صالح، وهل تعلم أشقى الآخرين؟ قال: لا، قال: الذي يضربك بالسيف حتى يلطخ لحيتك من دمك[2] عبد الرحمن بن ملجم ألجمه الله

---

[1] – أخرجه أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبيا وإمام ضلالة وممثل من الممثلين). مسند أحمد: مسند المكثرين من الصحابة/ مسند عبد الله بن مسعود (3674).

[2] – روى الإمام أحمد في مسنده عن عمار بن ياسر قال كنت أنا وعلي رفيقين في غزوة ذات العشيرة فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بها رأينا أناسا من بني مدلج يعملون في عين لهم في نخل فقال لي علي يا أبا اليقظان هل لك أن تأتي هؤلاء فننظر كيف يعملون فجئناهم فنظرنا إلى عملهم ساعة ثم غشينا النوم فانطلقت أنا وعلي فاضطجعنا في صور من النخل في دقعاء من التراب فنمنا فوالله ما أهبنا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركنا برجله وقد تتربنا من تلك الدقعاء، فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يا أبا تراب لما يرى عليه من التراب، قال: ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه يعني قرنه حتى تبل منه

بلجام من النار ﴿يَحْلِفُونَ﴾ المنافقون ﴿بِاللَّهِ مَا قَالُواْ﴾ ما بلغك عنهم من السب، هم سبوا الرسول صلى الله عليه وسلم عند عودته من تبوك، سافر رجال من المنافقين بضعة عشر رجلا فصاروا يتكلمون في النبي صلى الله عليه وسلم، فضرب عمار بن ياسر وجوه رواحلهم، فلما حضروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أقسموا بالله ونفوا ذلك كله[1] «يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُواْ» ﴿وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ

هذه يعني لحيته. مسند أحمد: مسند الكوفيين/ حديث عمار بن ياسر (17602) وجاء في مسند أبي يعلى عن صهيب رضي الله عنه قال: قال علي رضي الله عنه: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أشقى الأولين؟ قلت: عاقر الناقة، قال: صدقت فمن أشقى الآخرين؟ قلت: لا علم لي يا رسول الله، قال: الذي يضربك على هذه وأشار بيده إلى يافوخه، وكان يقول: وددت أنه قد انبعث أشقاكم فخضب هذه من هذه، يعني لحيته من دم رأسه). مسند أبي يعلى: ج377/1 رقم (483) ولابن كثير عن عمار بن ياسر ما يشبهه مع اختلاف في الألفاظ (ألا أحدثك بأشقى الناس؟ قال: بلى، قال: رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذا يعني قرنه حى تبتل منه هذه يعني لحيته) تفسير ابن كثير ج518/4.

[1] - أخرج أحمد في مسنده عن أبي الطفيل قال: لما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أمر مناديا فنادى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ العقبة فلا يأخذها أحد فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوده حذيفة ويسوق به عمار إذ أقبل رهط متلثمون على الرواحل غشوا عمارا وهو يسوق برسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحذيفة: قد قد حتى هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل ورجع عمار فقال: يا عمار هل عرفت القوم؟ فقال: قد عرفت عامة الرواحل والقوم متلثمون، قال: هل تدري ما أرادوا؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أرادوا أن ينفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فيطرحوه، قال فسأل عمار رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: نشدتك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة؟ فقال أربعة عشر، فقال: إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر فعدد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ثلاثة قالوا: والله ما سمعنا منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما علمنا ما أراد القوم،

بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ﴾ أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ من الفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة عند عوده من تبوك وهم بضعة عشر رجلا ﴿وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾ بالغنائم، هذه هي الردة، كما أن الردة في الشريعة توجد الردة في الطريقة، وردة الشريعة خير من ردة الطريقة لأن مرتد الشريعة تقبل توبته ومرتد الطريقة لا يجبر كسره «يحلفون بالله» أيضا منافقو الطريقة «ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله» ﴿فَإِنْ يَتُوبُواْ﴾ من النفاق ويؤمنوا ﴿يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْاْ﴾ عن الإيمان ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَّلِيٍّ﴾ يحفظهم منه ﴿وَلاَ نَصِيرٍ﴾ يمنعهم ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ ءَاتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ هذه نزلت في ثعلبة بن حاطب كان فقيرا، وكان يصلي الصلوات الخمس مع الرسول صلى الله عليه وسلم وعندما يسلم النبي صلى الله عليه وسلم ينصرف إلى بيته، فسأله الرسول صلى الله عليه وسلم يوما قال له: لم تصلي صلاة المنافقين؟ تسبحون الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمدون ثلاثا وثلاثين وتكبرون ثلاثا وثلاثين معقبات الصلاة لا أقل منها بعد الصلاة قبل الانصراف. قال: أنا فقير ليس عندي شيء إلا ثوب واحد أشترك فيه أنا وزوجتي، فإذا صليت بادرت إليها لتلبسه وتصلي، يا رسول الله سل الله لي أن يرزقني مالا، قال له

فقال: عمار أشهد أن الإثني عشر الباقين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. مسند أحمد: مسند الأنصار/ حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة (22676).

الرسول صلى الله عليه وسلم: (قليل تؤدي شكره خير من كثير يطغيك)[1] قال: سل الله لي، إذا رزقني المال أؤدي حق الله فيه. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: إياك، قليل تؤدي شكره أفضل من كثير يطغيك قال: سل الله لي المال، وأنا سأؤدي حقه، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (اللهم اعط ثعلبة المال) فدر عليه الرزق فكثرت غنمه فصارت تتوالد كالدود حتى تكاثرت الغنم وضاقت بها المدينة فخرج من المدينة وسكن في الفلاة لكثرة الغنم، كان يلازم الرسول صلى الله عليه وسلم فأصبح يأتي للصلوات الخمس وإذا سلم ذهب إلى الغنم حتى تكاثرت الغنم فانتقل إلى أبعد من محله الأول، فصار يصلي الصبح مع النبي صلى الله عليه وسلم والعشاء والنهار كله يشتغل بالغنم، فتكاثرت الغنم، فانتقل إلى أبعد من ذلك فصار يصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم وينصرف ولا يأتي إلا عشاء فتكاثرت الغنم فتباعد أيضا فصار لا يأتي إلا من الجمعة إلى الجمعة، فتكاثرت الغنم وذهب وانتقل بعيدا حتى صار لا يأتي الجمعة ولكن إذا مضى شهر يأتي للمدينة ويرى النبي صلى الله عليه وسلم ويرجع إلى غنمه. فتفقده النبي صلى الله عليه وسلم وسأل عنه: أين ثعلبة؟ قالوا: كثر ماله فصار الآن في الفلاة لا يجد فراغا وقتا لأن يحضر معك. قال: يا ويحه يا ويح ثعلبة، و لم يزل كذلك حتى مكث مدة لم يأت المدينة، فنزلت آية الزكاة، وأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم وفدا إليه أنه يخرج زكاة غنمه، قال: كم الزكاة؟ قالوا: في كل أربعين شاة، فعد هذا فصار غنما كثيرة ما سمحت نفسه بذلك، قال إن هذا كثير لا يقدر أن يعطيه هذا. صالحه وفد الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا له: أعط من كل مائة شاة، فعد ذلك وعزله فصار غنما

---

[1] – (قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه) الجامع الصغير للسيوطي الحديث رقم 6153.

كثيرة، فقالوا له: أعط من كل ألفٍ شاة، فعزله فكان كثيرا فامتنع، قال: ما هذا إلا الجزية فقط أو أخت الجزية، فامتنع، فرجع الوفد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، قالوا له: الرجل امتنع عن أداء الزكاة وقال إنها جزية أو أخت الجزية. قال صلى الله عليه وسلم (ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة). فنزلت فيه هذه الآية، وبعد ذلك ندم وأتى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: لتأخذ الزكاة مني، قال الرسول صلى الله عليه وسلم لا آخذها منك، بعدما وصفه الله تبارك وتعالى بأوصاف تدل على أنه خرج من الإسلام. فصبر إلى زمن أبي بكر فأتى لأبي بكر يريده أن يأخذ منه الزكاة، قال له أبو بكر: حضرت مجيئك رسول الله صلى الله عليه وسلم لا آخذها منك، فأتى لعمر فطرده قال له: لا آخذها منك أبدا فمات كذلك[1] «وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ ءَاتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ» نعطي الصدقات ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا ءَاتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ﴾ عن طاعة الله ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ﴾ صير عاقبتهم ﴿نِفَاقًا﴾ ثابتا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ هذه الكلمة هي التي منعت الرسول أن يقبل منه ﴿بِمَا أَخْلَفُواْ اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ فجاء بعد ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم بزكاته فقال: إن الله منعني أن أقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه، ثم جاء إلى أبي بكر فلم يقبلها ثم إلى عمر فلم يقبلها ثم إلى عثمان فلم يقبلها ومات في زمانه ﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ﴾ أي المنافقون ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ ما أسروه في أنفسهم ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ ما تناجوا به بينهم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ ما غاب عن العيان ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ

---

[1] – وردت قصة ثعلبة مفصلة في كتب التفسير: ابن كثير ج375/2. وفي حاشية الصاوي على الجلالين ج159/2.

﴿الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ نزلت آية الصدقة فطلب الرسول صلى الله عليه وسلم الصدقات من المسلمين فجاء عمر بن الخطاب بأربعة آلاف دينار وقال كان عندي ثمانية آلاف دينار، نصفها تركته لأهلي ونصفها هاهو قدمته لنفسي يكون لي ذخرا عند الله تبارك وتعالى، وجاء عبد الرحمن بن عوف كذلك بأربعة آلاف نصف ما عنده، قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: بارك الله فيما أنفقت وفيما أبقيت. وجاء عثمان بن عفان بأموال كثيرة حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم: اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض[1]، والله ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم[2]، لو كان لي أربعون بنتا لزوجت عثمان واحدة بعد واحدة حتى لا تبقى منهن واحدة[3]، عثمان هو الذي تزوج برقية وأم كلثوم بنتي الرسول صلى الله عليه وسلم، وجاء أبو بكر وأعطى جميع ماله، وكان بعض مساكين المسلمين قد استأجروا أنفسهم

---

[1] – ذكره ابن هشام في سيرته بلفظ: (اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض) السيرة النبوية لابن هشام ج4/ 161. وفي الجامع الكبير عن أبي سعيد رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة من أول الليل إلى أن طلع الفجر رافعا يديه يدعو لعثمان بن عفان يقول (اللهم رضيتُ عنه فارضَ عنه) رواه ابن عساكر. الجامع الكبير (المسمى جمع الجوامع) للسيوطي ج2/658.

[2] – أخرجه الترمذي عن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار قال الحسن بن واقع وكان في موضع آخر من كتابي في كمه حين جهز جيش العسرة فينثرها في حجره قال عبد الرحمن فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول: ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين) سنن الترمذي: كتاب المناقب/ باب في مناقب عثمان بن عفان (3634) ولأحمد في مسنده: مسند البصريين/ حديث عبد الرحمن بن سمرة (19713).

[3] – جاء في كنز العمال عن علي بن أبي طالب قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لو كان لي أربعون بنتا لزوجت عثمان واحدة بعد واحدة حتى لا تبقى منهن واحدة. كنز العمال: تتمة فضائل ذي النورين (36256).

للعمل فظلوا يعملون حتى وجدوا شيئا من التمر فتعشوا منه وما بقي عندهم أتوا به ودفعوه في الصدقات، فصار المنافقون يقولون هؤلاء الذين يعطون الأموال الكثيرة يراءون الناس فقط، والذين أتوا بقليل ضحكوا منهم قالوا: هؤلاء لا حاجة لله في صدقاهم لقلتها[1]، عادة المنافقين، فلما دعا الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف أن يبارك الله له فيما أعطى وفيما أبقى نما ماله حتى كثر وتزايد، فجلس يوما وقال لأمه: أخشى من كثرة مالي، أظن أن كثرة مالي ستهلكني، قالت له أمه قسم جميع ما عندك من المال وأعط نصفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل، فنما المال حتى أنه لما مات صالحت إحدى زوجاته الأربع في ربع الثمن بثمانين ألف دينار ولم تأخذ نصيبها من ربع الثمن كاملا، ما استكملته استكفت هذا القدر[2]. قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾ يعيبون ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ المتنفلين ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ يعيبونهم في صدقاتهم، المكثر منهم يقولون: مُراء، والمقل يقولون: لا حاجة لله في صدقة هذا ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ﴾ طاقتهم ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهم على سخريتهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

---

1 – أخرجه الشيخان واللفظ للبخاري عن أبي مسعود قال: لما أمِرنا بالصدقة كنا نتحامل فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا وما فعل هذا الآخر إلا رئاء، فنزلت "الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم" الآية صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات (4668)، وفي صحيح مسلم: كتاب الزكاة/ باب الحمل بأجرة يُتصدق بها والنهي الشديد عن تنقيص المتصدق بقليل (1692).

2 – إنفاق أبي بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم والحديث عن كثرة مال عبد الرحمن بن عوف وما كان من مصالحة إحدى زوجاته الأربع في نصيبها ربع الثمن، كل هذا ذكره البروسوي في تفسيره روح البيان ج472/3.

مؤلم ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يا محمد صلى الله عليك وسلم استغفر للمنافقين ﴿أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ تخيير له في الاستغفار وتركه، قال صلى الله عليه وسلم: إني خيرت فاخترت الاستغفار[1]، فصار يستغفر لهم فنزل ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَّغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ قال أقدر أن أزيد على السبعين، فنزلت آية المنافقين "سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم" والمراد بالسبعين المبالغة في الكثرة. كان العرب إذا أرادوا أن يذكروا عددا كثيرا قالوا سبعين كذا وليس المراد التحديد. إن استغفر لهم ولو أكثر من سبعين فالله تبارك وتعالى لن يغفر لهم والسبعون له سر في الأعداد، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول (إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة)[2] والغين غين أنوار لا غين

---

1 – طرف من حديث أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند إرادته صرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة على عبد الله بن أبي بن سلول فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إني خيرت فاخترت لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب قوله استغفر لهم أو لا تستغفر لهم (4671) وذكره قبل ذلك في كتاب الجنائز/ باب ما يكره من الصلاة على المنافقين والاستغفار لهم (1366). وأما التخيير فقد وقع قبل هذه المناسبة بدليل ما ذكره ابن حجر العسقلاني في فتح الباري قال وروى عبد بن حميد من طريق قتادة قال: لما نزلت "استغفر لهم أو لا تستغفر لهم قال النبي صلى الله عليه وسلم خيرني ربي فوالله لأزيدن على السبعين) وذكر مثله للطبري من طريق مجاهد. انظره في شرح الحديث 4670 من فتح الباري.

2 – أخرج مسلم في صحيحه عن الأغر المزني وكانت له صحبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة) وللبخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) وفي سنن الترمذي عن أبي هريرة (والله إني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة) وفي رواية مائة مرة. صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ استحباب الاستغفار والإكثار منه (4870)، وفي

أغيار «إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَّغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ علة ذلك أنهم ليسوا من المسلمين، كفار "إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن تبوك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ الذين لم يحضروا وقعة تبوك فرحوا بقعودهم ﴿خِلاَفَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَكَرِهُواْ أَنْ يُّجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُواْ﴾ قال بعضهم لبعض ﴿لاَ تَنفِرُواْ﴾ لا تخرجوا إلى الجهاد ﴿فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ من تبوك فالأولى أن يتقوها بترك التخلف ﴿لَوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ﴾ يعلمون ذلك ما تخلفوا ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً﴾ في الدنيا ﴿وَلْيَبْكُواْ﴾ في الآخرة ﴿كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ خبر عن حالهم بصيغة الأمر. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا)[1] إن الله تبارك وتعالى يرسل البكاء على أهل النار فيبكون يبكون أحقابا آلافا من السنين يبكون حتى أن الدموع جعلت الأخدود في خدودهم، بكوا حتى أن السفن لو أجريت في دموعهم لجرت[2]، يبكون ألف سنة،

صحيح البخاري: كتاب الدعوات/ باب استغفار النبي في اليوم والليلة (6307)، وللترمذي في سننه: كتاب تفسير القرآن/ باب من سورة محمد (3182).

1 - روى البخاري من طريق سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب قول النبي لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا (6485) وأخرجه مسلم عن أنس بن مالك طرف حديث من كتاب الفضائل/ باب توقيره وترك الإكثار من سؤاله (4351) وفي سنن الترمذي عن أبي هريرة: كتاب الزهد/ باب قول النبي لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا (2235).

2 - (إن أهل النار ليبكون حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت، وإنهم ليبكون الدم) للحاكم في مستدركه عن أبي موسى حديث صحيح. الجامع الصغير ج1 ص342 رقم 2238.

يقولون: نبكي لأن المسلمين ما وجدوا ما وجدوا إلا ببكائهم في الدنيا فصاروا يبكون ألف سنة لم ينفعهم شيئا، فقالوا: نصبر، المسلمون ما وجدوا ما وجدوا إلا بالصبر فلنصبر فيصبرون ألف سنة لم يزدد الأمر إلا شدة، فقالوا "سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص"[1] ذلك جزاء وفاقا. الله أخبر عنهم "سواء عليهم آنذرتهم أم لم تنذرهم" وقالوا عن أنفسهم "سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين" فلهذا خوطبوا "اصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم" وقالوا بأنفسهم "سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص". يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم بنو آدم ما أكلتم منها سمينا)[2] لاشتغلوا بالموت حتى لا تجدوا شحمة فيهم وأنتم (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) ﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ﴾ ردك من تبوك ﴿إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ ممن تخلف بالمدينة من المنافقين ﴿فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ معك إلى غزوة أخرى ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿لَن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ المتخلفين عن الغزو من النساء والصبيان وغيرهم. ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ سبب نزول هذه الآية أن عبد الله بن أبي بن سلول، وكان رئيس

---

1 – قال القرطبي في تفسيره: روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول أهل النار إذا اشتد بهم العذاب تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام، فلما رأوا أن ذلك لا ينفعهم قالوا: هلم فلنجزع، فيجزعون ويصيحون خمسمائة عام، فلما رأوا أن ذلك لا ينفعهم قالوا: "سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص" ج9/355.

2 – (لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم بنو آدم ما أكلتم منها سمينا). للبيهقي في شعب الإيمان، الجامع الصغير حديث رقم 7433 وفي الجامع الكبير عن الديلمي بلفظ لو علمت البهائم ... الحديث. الجامع الكبير ج1/667.

المنافقين وكان تبعه ألف من المنافقين، بعدما قال ما قال في غزوة بني المصطلق كما سيأتي في سورة "المنافقون"، ورجعوا إلى المدينة مرض مرض موته، فلما اشتد به المرض حتى تيقن الهلاك بعث ولده عبد الله، وكان رجلا صالحا من صالحي الصحابة، أرسله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث بقميصه إلي أكفن فيه إذا متُّ وليصل علي إذا مت، فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم قميصه ودفعه له، فقال الصحابة: يا رسول الله هذا ثوبك تعطيه لعدو الله الذي فعل كذا وكذا وكذا، وقال كذا وقال كذا؟ قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: الثوب لا ينفعه شيئا لأن الشرط الإيمان والمحبة ولم يأت بالشرط، ولكن أكافئه على الثوب الذي خلع للعباس يوم أسر ببدر[1]، فلما أتاه ثوب الرسول صلى الله عليه وسلم رده وقال أحب الثوب الذي يلي جسده، فرجع الولد وقال هو إنما يريد الثوب الذي يلي جسدك، فخلع الرسول صلى الله عليه وسلم الثوب الذي يلي جسده ودفعه لولده، فقال الصحابة: تدفع هذا الثوب لعدو الله؟ قال: نعم لا ينفعه شيئا وأرجو أن يسلم ألف من المنافقين بسبب هذا القميص[2]، وذلك أن المنافقين كانوا تبعا له، وكانوا يسمعون أقواله في النبي صلى

---

1 - أخرج البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما كان يوم بدر أتي بأسارى وأتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قميصا فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم إياه، فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذي ألبسه قال ابن عيينة كانت له عند النبي صلى الله عليه وسلم يد فأحب أن يكافئه. صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير/ باب الكسوة للأسارى (3008).

2 - جاء في فتح الباري عند شرح الحديث رقم 4670 وهو الحديث الموالي (انظر الهامش 3) بعد كلام قال وروى الطبري من طريق سعيد عن قتادة قال فذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: وما يغني

الله عليه وسلم، ويشاهدون مكايده في الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما لم يبق إلا الموت رأوه يتعلق بقميص النبي صلى الله عليه وسلم وأن يصلي عليه النبي صلى الله عليه وسلم. المنافقون كلا أسلموا بعد موته بسبب هذه الفعلة[1]. فلما مات كفن في ثوب النبي صلى الله عليه وسلم وأتي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي عليه، فقام النبي صلى الله عليه وسلم قال له عمر: أتصلي على عدو الله؟ لا تصل عليه، قال كذا يوم كذا، قال كذا يوم كذا، فعل كذا، تصلي عليه يا رسول الله؟ فقام الرسول صلى الله عليه وسلم يريد أن يصلي عليه فوقف عمر بينه وبين القبلة وقال: لا تصل عليه أبدا. فنزلت هذه الآية، هذه من موافقات عمر، فلما نزلت الآية أخذ جبريل بيد النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: لا تصل على أحد منهم مات أبدا[2]، قال عمر: لم أزل أتعجب من جراءتي على رسول الله صلى الله عليه

عنه قميصي من الله وإني لأرجو أن يسلم بذلك ألف من قومه. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج336/8.

1 – قال الصاوي ويروى أنه أسلم ألف من قومه لما رأوه يتبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم. حاشية الصاوي ج162/2.

2 – روى البخاري عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما خيرني الله فقال: "استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم" وسأزيده على السبعين. قال إنه منافق، قال: فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل آية "و لا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره". صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب قوله استغفر لهم أو لا تستغفر لهم (4670) وكذا رواه مسلم في صحيحه: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم/ (4978).

وسلم في ذلك الموقف، قال تعالى ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ لدفن أو زيارة ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ كافرون. هذا عبد الله بن أبي بن سلول ﴿وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ تكررت الآية، مفاد الآية أن كثرة المال عذاب في الدنيا وعذاب في الآخرة، كسب المال عذاب وحفظ المال عذاب، وكل مصيبة في المال عذاب لمن يحب المال، ولابد من الفراق إما أن يذهب المال وإما أن يذهب الإنسان وفراق المحبوب عذاب. والمال أيضا سمي من الميل، كما أن الذهب من الذهاب لأنه يذهب والفضة من التفضض لأنها لابد أن تتفرق، المال أيضا مائل من الميل لابد أن يميل عن صاحبه ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ طائفة من القرآن ﴿أَنْ آمِنُواْ بِاللَّهِ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطَّوْلِ﴾ ذووا الغنى ﴿مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ رَضُواْ بِأَنْ يَّكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ جمع خالفة أي النساء اللاتي تخلفن في البيوت ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ النبي صلى الله عليه وسلم والصادقون من المؤمنين خرجوا إلى الجهاد ورجعوا برضوان من الله تبارك وتعالى، وهم فائزون في الآخرة عكس المنافقين. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أربع من كنّ فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)[1] إذا وعد

1 – أخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر) صحيح البخاري: كتاب الإيمان/ باب علامة المنافق (34)

أخلف فيه تفصيل: إذا كان الإنسان وعد بشيء عازما على الوفاء فعراه عذر منعه من الوفاء، فذلك لا يوجب النفاق وإن وعد وهو وقت تلفظه بالوعد عازم على الإخلاف فهذا هو المنافق، من جمع هذه الأربع فهو منافق كامل ومن اتصف بواحدة منها اتصف بخصلة من النفاق. وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق ذو الشيبة في الإسلام والعالم العامل، والإمام العادل)[1] لأن هؤلاء الثلاثة كلهم متصف بصفة من صفات الله تبارك وتعالى فعلى هذا من استخف به فهو منافق، ذو الشيبة في الإسلام كبير، كبير في السن والكبير هو الله تبارك وتعالى، من عاش في الإسلام حتى شاب في الإسلام اتصف بصفة الله تبارك وتعالى التي هي الكبرياء. والعالم العامل: العالم اسم من أسماء الله تبارك وتعالى فمن اتصف بالعلم اتصف بصفة من صفات الله تبارك وتعالى وأشركه الله في اسمه، فعلى هذا من استخف به فقد استخف بالله وهو منافق. والإمام العادل اتصف بالعدل والعدل من صفات الله تبارك وتعالى فهؤلاء لا يستخف بهم إلا منافق ﴿أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ أي المعذورون ﴿مِنَ الأَعْرَابِ﴾ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في القعود لعذرهم فأذن لهم ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في ادعاء الإيمان من منافقي الأعراب عن المجيئ للاعتذار ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ كالشيوخ ﴿وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى﴾ كالعمي والزمنى

والحديث أورده مسلم وأصحاب السنن باختلاف في عد الخصال، ففي حين لم تذكر رواية البخاري هذه إخلاف الوعد تحذف الروايات الأخرى خيانة الأمانة.

1 – (ثلاث من توقير جلال الله إكرام ذي الشيبة في الإسلام، وحامل كتاب الله، وحامل العلم من كان صغيرا أو كبيرا). الجامع الكبير للسيوطي ص487.

﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ في الجهاد ﴿حَرَجٌ﴾ إثم في التخلف عنه ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ حال قعودهم بعدم الإرجاف والتثبيط والطاعة. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)[1] أما النصيحة لله تبارك وتعالى فالإيمان به وحده بإخلاص من غير شرك، وأما النصيحة لكتاب الله فهي أن تقرأه وتؤمن به وتعمل به، والنصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهي اتباع سنته من غير ابتداع، والنصيحة لأئمة المسلمين بدعوة الناس وجمع الكلمة لقبول دعوهم، والنصيحة لعامة المسلمين وخاصتهم أن يُنصحوا ولا يُغشوا ويُدعَوا إلى ما فيه نفعهم لا ما فيه ضررهم. هذه النصيحة لله ولكتاب الله ولرسول الله وللمؤمنين خاصتهم وعامتهم ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ بذلك ﴿مِن سَبِيلٍ﴾ طريق بالمؤاخذة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم في التوسعة في ذلك ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ﴾ نزلت في سبعة من الأنصار أو بني مقرن جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبون أن يحملهم على الإبل ليذهبوا إلى الجهاد، قال الرسول صلى الله عليه

1 – أخرج مسلم في صحيحه عن تميم الداري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الدين النصيحة قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب بيان أن الدين النصيحة (82) وذكره البخاري ترجمة باب من كتاب الإيمان قال باب قول النبي الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. ورواه عن أبي هريرة الترمذي وأحمد بلفظ الدين النصيحة ثلاث مرار... الحديث. وللنسائي عنه بلفظ: إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم.

وسلم "لا أجد ما أحملكم عليه" فذهبوا وهم يبكون[1] فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من الإبل فأعطاهم منها ما يحملهم فركبوا، قالوا له: أقسمت أنك لا تحملنا، قال: ما حملتكم فإن الله قد حملكم[2]، هؤلاء الذين بكوا لما فقدوا المراكب للخروج إلى الجهاد أيضا ليس عليهم سبيل. قال تعالى: «وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ» ﴿لِتَحْمِلَهُمْ﴾ معك إلى الغزو وهم سبعة من الأنصار وقيل بنو مقرن ﴿قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْاْ﴾ أي انصرفوا ﴿وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾ تسيل ﴿مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا﴾ لأجل ﴿أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ ما وجدوا ما ينفقون في الجهاد فتألموا من ذلك وبكوا أولئك ليس عليهم سبيل. المجاهدون درجاتهم ستأتي غدا إن شاء الله، فوق القاعدين إلا ذووا الأعذار، ذووا الأعذار مستثنون في ذلك، والجهاد فيه أصغر وفيه أكبر قال صلى الله عليه وسلم: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد

---

1 - السيرة النبوية لابن هشام وقد ذكر أسماء النفر السبعة الذين نزلت فيهم الآية ج161/4. وقيل نزلت في أبي موسى الأشعري ورهط من قومه، نقله القرطبي عن الحسن ج228/8، وكذا في حاشية الصاوي ج163/2.

2 - جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في رهط من الأشعريين أستحمله فقال والله لا أحملكم وما عندي ما أحملكم عليه قال ثم لبثنا ما شاء الله أن نلبث ثم أتي بثلاث ذود غر الذرى فحملنا عليها فلما انطلقنا قلنا أو قال بعضنا والله لا يبارك لنا أتينا النبي صلى الله عليه وسلم نستحمله فحلف أن لا يحملنا ثم حملنا فارجعوا بنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنذكره فأتيناه، فقال: ما أنا حملتكم بل الله حملكم وإني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير أو أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني) صحيح البخاري: كتاب الأيمان والنذور/ باب قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم (6623)، وفي صحيح مسلم: كتاب الأيمان/ باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه (3109).

الأكبر)[1] الجهاد الأصغر الجهاد بالسيف، القتيل فيه شهيد، والجهاد الأكبر جهاد النفس والهوى والشيطان، القتيل فيه صدّيق، والصدّيق فوق الشهداء، الصديقية مقام دون النبوة هي التي تلي النبوة، الصديقية مقام يتلقى صاحبه العلم من الله تبارك وتعالى بلا واسطة وأهله ليسوا بأنبياء، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم عند وفاته أن في أمته قوما يتلقون العلم من الله تبارك وتعالى بلا واسطة فلهذا لم ينصب خليفة قال: (الله خليفتي فيكم)[2]، وهؤلاء الذين يأخذون العلم من الله بلا واسطة لا يخلو منهم زمان ولا مكان حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى، ولكن الفرق بينهم وبين الأنبياء أن النبي مستقل يأتي بشريعته يحلل ويحرم، والولي تابع للنبي صلى الله عليه وسلم وغير مستقل لا يحلل ولا يحرم إنما هو تابع "قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني" قال الشيخ الأكبر: كنت في مشهد فرأيت أن جميع الأنبياء والمرسلين جلوس في محل، كلهم جالس على الأرض، وهناك كرسي كبير نصب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه حتى جاء وجلس فوق الكرسي، قال فصرت أتعجب الخليل جالس على الأرض والكليم والروح كذلك، ومحمد وحده جالس على الكرسي، فكلمني من الجماعة هود عليه الصلاة والسلام قلت له: فيمَ المجتمع؟ قال هؤلاء جميع الأنبياء والمرسلين اجتمعوا للشفاعة في الحلاج. قلت: ما ذنب الحلاج؟ قال: سوء أدب جرى منه مع رسول

---

1 - عن جابر قال قدم على النبي صلى الله عليه وسلم قوم غزاة فقال: قد قدمتم خير مقدم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر مجاهدة العبد هواه. رواه الديلمي، الجامع الكبير ج331/2.

2 - أخرجه مسلم ضمن حديث طويل عن الدجال وفتنته يقول فيه (... والله خليفتي على كل مسلم... الحديث) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب ذكر الدجال وصفته وما معه (5228) وللترمذي في سننه: كتاب الفتن / باب ما جاء في فتنة الدجال (2166).

الله صلى الله عليه وسلم في حياته ومنذ مات وهو محجوب عن الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك الذي وقع له، والذي وقع للحلاج أنه خطر به و لم يلفظه بلسانه في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)[1]، أن الرسول مقامه أعلى من همته لأنه لو شاء لشفع في الكل ولكن خص الشفاعة لأهل الكبائر من أمته فقط ولو شاء لعم جميع الخلائق فلا يشقى أحد، هذا مقامه أعلى من همته، هذا خاطر فقط، فظهر له الرسول صلى الله عليه وسلم على وجه جلال وقال له: يا حلاج ألا تعرف أن الله هو لسان العارف الذي ينطق به؟ قال نعم، قال: إذا كان الله هو لساني الذي أنطق به فلأي شيء تعترض علي في كلام نطقت به والحق هو لساني فيه؟ قال: تائب لله. قال: من شرط قبول توبتك أن تقتل بسيف شريعتي، فقتل يومَ قال أنا الحق ما في الجبة إلا الله، قتلوه وبين قتله وهذه الواقعة ثلاثمائة وتسعون سنة. قال: من ذلك الوقت ما لقي الرسول صلى الله عليه وسلم. قال فعلمت أمرين أحدهما جلالة قدر الحلاج الذي يجتمع جميع الأنبياء والمرسلين للشفاعة فيه، والثاني خطر سوء الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم حيث أن هذا خاطر فقط حجب بسببه ثلاثمائة وتسعين سنة[2]. قال فتكلم موسى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله أنت تقول علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل؟ قال نعم، قال: مَن مِن علماء أمتك كأنبياء بني إسرائيل؟ أشار صلى الله عليه وسلم إلى الغزالي، فقال: تأذن لي أن أسأله سؤالا؟ قال له: نعم سل

---

1 – (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) أخرجه الترمذي عن أنس وعن جابر. سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع/ (2359) (2360)، ولأبي داود في سننه: كتاب السنة/ باب الشفاعة (4114).

2 – قصة شفاعة الأنبياء في الحلاج ذكرها صاحب تفسير روح البيان ج10/456.

عما شئت. فقال موسى للغزالي: أسألك؟ قال: سل، فسأله سؤالا واحدا، أجابه الغزالي عشرة أجوبة. قال موسى: هذا غير مطابق ينبغي أن يكون الجواب مطابقا للسؤال، والسؤال واحد، وأنت أتيت بإجابات متعددة هذا غير مطابق. قال له الغزالي: وأنت لما قال لك الحق تبارك وتعالى "وما تلك بيمينك يا موسى" قلت: "هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى" قال موسى صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[1] ونتيجة الحكاية أن من قربه الحق تبارك وتعالى حتى وصل إلى بساط القرب يحافظ على الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم ومع شريعته وإلا فيمكن أن يطرد إلى أبعد مكان، أعاذنا الله من ذلك، نعوذ بالله من السلب بعد الإيمان. اللهم صل على سيدنا محمد.

---

1 – مشهد المحاورة أورده البروسوي في روح البيان بنفس المناسبة في موضع آخر من الكتاب. ج5/ 357.

الدرس الثالث والعشرون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يا همة الشيخ احضري	لنا بهذا المحضر
ولتعطفي بنظرة	تأتي لنا بالظفر

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾ في التخلف ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُواْ بِأَنْ يَّكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ تقدم مثله ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ في التخلف ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو ﴿قُل لاَّ تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ لن نصدقكم ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ أخبرنا بأحوالكم ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ الله ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ﴾ رجعتم ﴿إِلَيْهِمْ﴾ من تبوك أنهم معذورون في التخلف ﴿لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾ بترك المعاتبة ﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ قذر لخبث بواطنهم ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ حلفوا بالله للنبي وأصحابه ليعرضوا عنهم صفحا فأمرهم الله تبارك وتعالى أن يعرضوا عنهم مقاطعة تماما «وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ» ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ حلفوا بالله مطلوبهم أن يرضى عنهم المسلمون، والمسلمون لا ينبغي أن يرضوا عنهم، لأنهم إن رضوا عنهم فإن الله لا يرضى عنهم. وهم لا

ينبغي أن يرضوا إلا عمن رضي الله عنه. أما من غضب الله عليه فلا ينبغي أن يرضوا عنه، أو لا ينفعهم رضاهم إذا لم يرض عنهم الله تبارك وتعالى، ورضى الله مفقود عنهم فلا ينفعهم رضى المسلمين ولا ينبغي للمسلمين أن يرضوا عنهم أيضا لأنهم فساق. قال زين العابدين: لا تصاحب خمسة من الناس: لا تصاحب فاسقا فيبعك بلقمة أو بدونها، قال له ولده: وما دون اللقمة؟ قال يطمع فيها ولا يجدها. ولا تصاحب بخيلا يقطعك في الوقت الذي أنت أفقر إليه، يقطعك أفقر ما تحتاج إليه. ولا تصاحب كذابا يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب "كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا" ولا تصاحب أحمق يريد أن ينفعك فيضرك. ولا تصاحب قاطع رحم، فإني وجدته ملعونا في كتاب الله في ثلاثة مواضع[1]. ﴿الأَعْرَابُ﴾ أهل البدو ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من أهل المدن لجفائهم وغلظ طباعهم وبعدهم عن سماع القرآن. العرب كل من كان عربيا سواء حضريا أم بدويا، والأعراب من سكنوا البوادي منهم، فعلى هذا كل أعرابي عربي وليس كل عربي أعرابيا، والمراد بالأعراب هنا بنو تميم وبنو أسد وغطفان وأسلم: سكنوا في بوادي المدينة وكانوا توحشوا مع الوحوش، ما جالسوا أهل الخير قط ولا رأوا الرسول صلى الله عليه وسلم ولا سمعوا القرآن، فوصفهم الله بهذه الأوصاف، طبعا فيهم لأنهم لم يعرفوا الخير، لأنهم ما صاحبوا أهل الخير، وليس كل أعرابي هكذا، سيأتي صفة محمودة لبعض الأعراب ﴿وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ من الأحكام والشرائع لعدم مجاورتهم لمن يعلمهم ذلك ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم ﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في سبيل الله

---

1 - روح البيان ج3 /488.

﴿مَغْرَمًا﴾ غرامة وخسرانا لأنه لا يرجو ثوابه بل ينفقه خوفا، وهم بنو أسد وغطفان ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾ ينتظر ﴿بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ دوائر الزمان أن تنقلب عليكم فيتخلصوا منكم ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ عليهم الهلاك لا عليكم أنتم المسلمين ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوال عباده ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالهم. ﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يُّؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ فيهم جنس آمنوا بالله حقا وآمنوا بيوم القيامة وصفهم الله بأوصاف: يؤمن بالله واليوم الآخر ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ وصفهم بأربعة أوصاف: الإيمان بالله وباليوم الآخر والإنفاق في سبيل الله تقربا إلى الله تبارك وتعالى وطلبا لدعوات الرسول صلى الله عليه وسلم وهؤلاء جهينة ومزينة ﴿أَلاَ إِنَّهَا﴾ نفقتهم ﴿قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ عنده ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جنته ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ﴾ إلى يوم القيامة ﴿بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ السابقون الأولون من المهاجرين السابقون من المسلمين الذين سبقوا إلى الإيمان، أو الذين سبقوا تماما، قيل أول من أسلم، فإن كان أول من أسلم فأول من أسلم أبو بكر وقيل خديجة وقيل علي، والجمع بين هذه الروايات أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال وعليا أول من أسلم من الصبيان، وخديجة أول من أسلم من النساء[1]، والسابقون الأولون ليس الذين سبقوا

---

1 – أخرج الترمذي في سننه من طريق أبي نضرة عن أبي سعيد قال: قال أبو بكر ألستُ أولَ من أسلم؟ ألستُ صاحب كذا؟ قال أبو عيسى هذا حديث غريب. وروى بعضهم عن شعبة عن الجريري عن أبي نضرة قال قال أبو بكر وهذا أصح. سنن الترمذي: كتاب المناقب/ باب في مناقب أبي بكر وعمر كليهما (3600) وللترمذي من وجه آخر عن ابن عباس قال: أول من صلى عليٌّ وفيه قال الترمذي وقد اختلف

إلى الإسلام فقط، بل الذين حصل لهم السبق. الأمة على أقسام: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات. أسبق الأمة أبو بكر الصديق رضي الله عنه سبق الجميع، آمن قبلهم وسبقهم في جميع الميادين، ويليه من يليه من الخلفاء الأربعة هم السابقون في هذه الأمة الخلفاء الأربعة، أبو بكر وعمر وإن كان عمر هو المتم الأربعين وعثمان وعلي، والستة الباقية المبشرون بالجنة، ومن حضر غزوة بدر، ومن حضر أحدا ومن حضر بيعة الرضوان، هؤلاء هم السابقون الأولون، وكل من تبعهم إلى يوم القيامة فهو من السابقين.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له)[1]. والسبق حقيقة بالهمم لا بالقدم، وبعبارة شيخنا: السير بالقلب لا بالبدن، هذه عبارة الشيخ التجاني. ذُكِر أن الجنيد البغدادي دخل الجامع وقت الزوال فسمع: سُبقت يا جنيد، فلما عاد الجمعة دخل قبل الزوال فنودي: سُبقت يا جنيد، فلم يزل يبكر حتى صلى الصبح وجلس ينتظر صلاة الجمعة فنودي سُبقت يا جنيد، فقال: من يسبقني وأنا ليس معي في المسجد أحد؟ فقيل له: إذا انقضت الصلاة آخر من يخرج المسجد هو الذي سبقك، فانتظر حتى صلوا وانفضوا فنظر إلى رجل يخرج أخيرا فلحق به وقال له: بمَ سبقتني وأنا صليت الصبح وجلست هنا أنتظر الصلاة؟ قال له: أنا إذا سلمت من الجمعة أنوي الرجوع إذا عاد يوم الجمعة

أهل العلم في هذا، فقال بعضهم: أول من أسلم أبو بكر الصديق، وقال بعضهم: أول من أسلم علي، وقال بعض أهل العلم: أول من أسلم من الرجال أبو بكر وأسلم علي وهو غلام ابن ثمان سنين وأول من أسلم من النساء خديجة. سنن الترمذي: كتاب المناقب/ باب مناقب علي (3667). وللقرطبي في تفسيره تفصيل هذه الأقوال والقائلين بها انظره في الجزء 8/ 236.

1 – رواه ابن مردويه والبيهقي في البعث عن عمر حديث حسن. للسيوطي في الجامع الصغير (4614).

إلى صلاة الجمعة أيضا، قال: بهذا سبقتني السبق بالهمم لا بالقدم[1]. ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ﴾ يا أهل المدينة ﴿مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾ كأسلم وأشجع وغفار ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ منافقون أيضا ﴿مَرَدُواْ﴾ تمرنوا ﴿عَلَى النِّفَاقِ﴾ لجوا فيه واستمروا، كان بالمدينة زمان الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة من المنافقين ومائة وسبعون من المنافقات وصفهم الله بهذه الصفة «وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ» ﴿لاَ تَعْلَمُهُمْ﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ بالفضيحة في الدنيا أو القتل وعذاب القبر ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ هو النار فضحتهم هذه السورة كانوا يسمونها الفاضحة، ما ذكر اسم أحد منهم ولكن كل من تحرك من المنافقين بعمل نزلت آية ووصفت عمله حتى يعلم الناس كلا أن المراد فلان. وخطب النبي صلى الله عليه وسلم يوما وقال: اخرج يا فلان فإنك منافق، اخرج يا فلان فإنك منافق، فضحهم[2]. نزل أبو حنيفة وهو من أهل العراق بالمدينة المنورة لزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم، زمان مالك إمام الأئمة مقيما في المدينة، الإمام مالك شيخ الشافعي، والشافعي شيخ أحمد، وتخلف عنه أبو حنيفة فقط، فلما حج هذه المرة دخل على مالك وتعلم منه شيئا من الأحاديث فصار هو

---

1 - روح البيان ج493/3.

2 - قال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس في هذه الآية قال: قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال: "اخرج يا فلان فإنك منافق واخرج يا فلان فإنك منافق، فأخرج من المسجد ناسا منهم، فضحهم، فجاء عمر وهم يخرجون من المسجد فاختبأ منهم حياء أنه لم يشهد الجمعة وظن أن الناس قد انصرفوا، واختبأوا هم من عمر، ظنوا أنه قد علم بأمرهم، فجاء عمر فدخل المسجد فإذا الناس لم يصلوا فقال له رجل من المسلمين: أبشر يا عمر قد فضح الله المنافقين اليوم. قال ابن عباس فهذا العذاب الأول حين أخرجهم من المسجد. ابن كثير ج385/2.

إمام الأئمة كلا، لما دخل سلم على مالك قال: من الرجل؟ قال: رجل من أهل العراق. قال له مالك: أهل النفاق؟ فجلس ثم قال: أيأذن لي الإمام أن أتلو آية بحضرته؟ قال: نعم، قال: ومن أهل العراق مردوا على النفاق، تأدبَ مع مالك حتى أفسد الآية، قال مالك: لا، «ومن أهل المدينة» قال في بلدك لا في بلدي «وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ» ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ﴾ في الآخرة ﴿إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ هو النار ﴿وَءَاخَرُونَ﴾ قوم آخرون ﴿اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ من التخلف ﴿خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا﴾ وهو جهادهم قبل ذلك واعترافهم بذنوبهم أو غير ذلك ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ وهو تخلفهم ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ثلاثة أصناف: قسم نافقوا، هم الذين فضحتهم الآية المتقدمة، وصنف ربطوا أنفسهم بسواري المسجد وأقسموا ألا يحلهم إلا الرسول صلى الله عليه وسلم فلما رآهم الرسول صلى الله عليه وسلم – منهم أبو لبابة – قال من هؤلاء؟ قالوا: قوم تخلفوا عن الجيش وربطوا أنفسهم وقالوا لا يحلهم إلا أنت، أقسم النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يحلهم إلا إذا أمره الله تبارك وتعالى، فبقوا في السواري حتى نزلت فيهم هذه الآية، أمر النبي صلى الله عليه وسلم بحلهم فحلوا، فأتوا للرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا: خرجنا من أموالنا جميعا توبة لله تبارك وتعالى، قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم ما أمرني الله بأخذ أموالكم، فنزلت هذه الآية ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ من ذنوبهم. فأخذ ثلث أموالهم وتصدق بها ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ ادع لهم ﴿إِنَّ صَلَوَاتِكَ﴾ دعواتك ﴿سَكَنٌ﴾ رحمة ﴿لَهُمْ﴾ وقيل طمأنينة بقبول توبتهم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أخذ النبي صلى الله عليه وسلم ثلث أموالهم وتصدق بها. سمي المال الذي ينفق في سبيل الله صدقة لدلالته على صدق المنفِق،

الرسول صلى الله عليه وسلم أمره الله تبارك وتعالى أن يأخذ من أموال الصحابة صدقة تطهرهم وتزكيهم بها من ذنوبهم، وأمره بالدعاء لهم وأن يصلي عليهم إذا ماتوا، فكان إذا أتته صدقة من آل فلان يقول: (اللهم صل على آل فلان)[1] إن صلواتك سكن لهم دعواتك، أو صلواتك هي صلاة الجنائز إذاً نزلت في صلاة الجنائز. ورد أن آدم لما توفي نزلت الملائكة وغسلوه وكفنوه واصطفوا للصلاة عليه، وأمروا شئث ولده أن يصلي إماما فصلى فكبر ثلاثين تكبيرة ودفن، قالت الملائكة هذه سنتكم في أمواتكم[2]، فبقيت صلاة الجنازة سنة من ذلك الوقت إلى وقتنا هذا، فعلى هذا ليست خاصة بهذه الأمة. وورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن من مات من المسلمين وصلى عليه ثلاثة صفوف من المسلمين شفعهم الله فيه وغفر له[3] ، وورد (من مات وصلى عليه أمة أربعون من المسلمين شفعوا فيه)[4]

---

1 - أخرج البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: اللهم صل على آل فلان فأتاه أبي بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى) وروى مسلم في صحيحه عنه بلفظ : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتي بصدقة قوم صلى عليهم فأتاه أبي بصدقته فقال: (اللهم صل على آل أبي أوفى). صحيح البخاري: كتاب الزكاة/ باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة (1498)، وفي صحيح مسلم: كتاب الزكاة/ باب الدعاء لمن أتى بصدقته (1791).

2 - روح البيان ج496/3.

3 - أخرج الترمذي في سننه عن مرثد بن عبد الله اليزني قال: كان مالك بن هبيرة إذا صلى على جنازة فتقالَّ الناس عليها جزأهم ثلاثة أجزاء ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من صلى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب) قال وفي الباب عن عائشة وأم حبيبة وأبي هريرة وميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، سنن الترمذي: كتاب الجنائز/ باب ما جاء في الصلاة على الجنازة والشفاعة للميت (949) ومثله لأبي داود: كتاب الجنائز/ باب في الصفوف على الجنازة (2753).

4 - أخرج النسائي وأحمد عن أبي بكار الحكم بن فروخ قال صلى بنا أبو المليح على جنازة فظننا أنه قد كبَّر فأقبل علينا بوجهه فقال أقيموا صفوفكم ولتحسن شفاعتكم قال أبو المليح حدثني عبد الله وهو ابن

فلهذا يطلب إذا كان الجمع أقل من أربعين أن يجعل ثلاثة صفوف، كأنهم يناشدون الله تبارك وتعالى: جئناك في ثلاثة صفوف فأشفعنا في أخينا، وهذا كتقصير الخطى إلى المسجد، ورد أن كل خطوة بعشر حسنات[1] ومحو عشر سيئات، فبعض المصلين يتفاءل في هذا ويتوسع ويقصر خطواته ليكثر من الخير. فتقسيم الجماعة إذا كانوا قليلين على ثلاثة صفوف من هذا الباب «وصل عليهم إن صلواتك سكن لهم والله سميع عليم» من صلى عليه أربعون، ومن صلى عليه ثلاثة صفوف لأن جماعة كهذه لا تخلو من ولي لله تبارك وتعالى فيشفع فيه. والإنسان إذا كان حيا لا يصلى عليه ولا يصلى إليه، وإذا مات صلوا عليه فلهذا صحت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لأنه أفنى الخلق أو أفنى الوجود في الله تبارك وتعالى، فلما فني عن كليته صلى الله عليه، "إن الله وملائكته يصلون على النبيئ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه" والميت ما دام حيا فكأنه بقي فيه بقية، وإذا مات صح أن يصلى عليه أيضا لأنه بمنزلة الفاني في الله تبارك وتعالى. والمسلم إذا مات يغسل ويكفن ويصلى عليه. واختلف في جثة المسلم هل نجاسة أم طاهرة، فقيل نجس وقيل طاهر، والدليل على طهارته كونه يغسل لو كان نجسا لا يصح غسله لأن ذات النجاسة إذا

سليط عن إحدى أمهات المؤمنين وهي ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت أخبرني النبي صلى الله عليه وسلم قال (ما من ميت يصلي عليه أمة من الناس إلا شفعوا فيه) فسألت أبا المليح عن الأمة فقال أربعون. سنن النسائي واللفظ له: كتاب الجنائز/ باب فضل من صلى عليه مائة (1966) وفي مسند أحمد: مسند الأنصار/ حديث ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبي صلى الله عليه وسلم (25607)

1 - أخرج أحمد في مسنده أن عقبة بن عامر يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (إذا تطهر الرجل ثم أتى المسجد يرعى الصلاة كتب له كاتباه أو كاتبه بكل خطوة يخطوها إلى المسجد عشر حسنات والقاعد يرعى الصلاة كالقانت ويكتب من المصلين من حين يخرج من بيته حتى يرجع إليه) مسند أحمد: مسند الشاميين/ حديث عقبة بن عامر الجهني (16799).

غسلت ما تزداد إلا تنجسا، فلما اختلفوا في طهارته ونجاسته ذهبوا به إلى باب المسجد ولم يدخلوا به المسجد على مذهب مالك، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ يقبل الصدقات ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ وصف الصدقة بثلاثة أوصاف «خذ من أموالهم صدقة» كأن الآخذ هو الرسول صلى الله عليه وسلم وقال هنا إن الله يأخذ الصدقات، كأن الآخذ هو الله تبارك وتعالى، والمشاهد حسا أن الفقير هو الذي يأخذها. الفقير نشاهده يأخذ الصدقات، والقرآن يقول إن الرسول هو الذي أخذها أو الله هو الذي أخذها. الملك متصل بالملكوت. الصدقة عندما تدفعها في يد الفقير وقعت في يد الله تبارك وتعالى، ولما وقعت في يد الله وقعت في يد الرسول صلى الله عليه وسلم، وإذا وقعت في يد الرسول صلى الله عليه وسلم وقعت في يد الله، يد الله فوق أيديهم، يد الرسول صلى الله عليه وسلم هي يد الله، هذا الفقير مقامه سام، حيث أن هذا الذي يقبل دخل في يد الله وفي يد رسول الله وإليه يشير حديث: (يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، استطعمتك فلم تطعمني، استسقيتك فلم تسقني)[1] هيأت عائشة صدقة يوما ورجعت بها إلى البيت وطيبتها قبل أن تدفعها للمسكين،

1 - أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب/ باب فضل عيادة المريض (4661).

سألها الرسول صلى الله عليه وسلم لِم هذا؟ قالت: لأنها تقع في يد الله[1]، قال: الآن فقهت يا عائشة. الفقه عند الرسول صلى الله عليه وسلم لعله ليس هو الفقه عند الفقهاء ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾ على عباده بقبول توبتهم ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم ﴿وَقُلْ﴾ لهم أو للناس ﴿اِعْمَلُواْ﴾ ما شئتم ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ هو الله ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هذه الآية عظيمة الموقع في قلوب المؤمنين، حيث أن الله يرى أعمالهم حسنها وسيئها ويجازي على ذلك، بهذا احتج إبراهيم على أبيه "يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا" من يعبد إلها لا يسمع ما يقول ولا يبصر ما يعمل لا ينتظر جزاء، ونحن ربنا يقول لنا «اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة» فعلى هذا تتحقق أن كل ما يصدر منك من عمل خير أو شر بمرأى ومسمع من الله تبارك وتعالى، وهذا يحمل على الخوف من الله والرجاء فيه إلى أن تجد القبض والبسط، إلى أن تجد الأنس والهيبة بسرادقات الحضرة، إلى أن تشاهد الجلال والجمال، إلى أن تصل إلى الوحدة "وأن إلى ربك المنتهى" ﴿وَءَاخَرُونَ﴾ من المتخلفين ﴿مُرْجَوْنَ﴾ هذه نزلت في ثلاثة من المتخلفين، هم ثلاثة أقسام قسم منافقون تقدم شأنهم، وقسم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عفا الله عنهم، أبو لبابة وقومه، وثلاثة منهم ﴿مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ أي مؤخرون عن قبول توبتهم حتى يأمر الله فيهم بما شاء ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ بأن يميتهم بلا توبة ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم، وهم ثلاثة: مرارة بن

---

1 – قال الثوري والأعمش كلاهما عن عبد الله بن السائب عن عبد الله بن أبي قتادة قال قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إن الصدقة تقع في يد الله عز وجل قبل أن تقع في يد السائل، ثم قرأ هذه الآية "ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات". ابن كثير ج387/2.

الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية، ضابط أسمائهم مكه: مرارة وكعب وهلال، تخلفوا بلا عذر سأل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في تبوك: ما بالُ كعب بن مالك؟ قال له أحد: ليس له عذر إلا حسن برديه ونظره في عطفيه، وكان أبو ذر ممن تخلف فركب جملا يريد اللحوق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأبطأ به الجمل فتركه وحمل متاعه فصار يمشي على قدميه يريد اللحوق بالرسول صلى الله عليه وسلم فنظر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى سواد شخص من بعيد فقال: (كن أبا ذر) فجاء فقيل: هو أبو ذر، فقال (يا ويح أبي ذر يمشي وحده ويعيش وحده ويموت وحده ويبعث وحده)[1] فكان كما وصف الرسول صلى الله عليه وسلم، طرده عثمان من المدينة إلى الشام فطرد من الشام فبقي وحده حتى مات وحده[2]. كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع تخلفوا كسلا وميلا

---

1 – السيرة النبوية لابن هشام ج167/4. وورد في فيض القدير حديث مرسل عن ابن المفتي رواه الحرث ولفظه (عويمر حكيم أمتي وجندب طريد أمتي يعيش وحده ويموت وحده والله يبعثه وحده) فيض القدير ج211/1.

2 – جاء في سيرة ابن هشام عن محمد بن كعب القرظي عن عبد الله بن مسعود قال: لما نفى عثمان أبا ذر إلى الربذة وأصابه بها قدره لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامه فأوصاهما أن اغسلاني وكفناني ثم ضعاني على قارعة الطريق فأول ركب يمر بكم فقولوا هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه. فلما مات فعلا ذلك به ثم وضعاه على قارعة الطريق، وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق عُمَّار، فلم يرعهم إلا الجنازة على ظهر الطريق قد كادت الإبل تطؤها، وقام إليهم الغلام فقال: هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه. قال فاستهل عبد الله بن مسعود يبكي ويقول: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك. ثم نزل هو وأصحابه فواروه ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه وما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره إلى تبوك. سيرة ابن هشام ج168/4.

إلى الدعة لا نفاقا، ولم يعتذروا كما فعل من قبلهم فسألهم الرسول صلى الله عليه وسلم: ما بالكم تخلفتم عن الغزوة؟ قالوا ليس لنا عذر إنما الكسل فقط والتسويف حتى فاتتنا الفرصة، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم الناس جميعا أن يهجروهُم، لا يجالسهم أحد حتى أزواجهم فوقف أمرهم خمسين ليلة، وكان مرارة شيخا كُبارا استأذنت زوجته الرسول صلى الله عليه وسلم في خدمته لأنه شيخ كبير وأعمى، فأذن لها الرسول صلى الله عليه وسلم. فبقوا إذا سلموا على أحد لا يرد عليهم السلام مدة خمسين ليلة، فكتب قيصر إلى كعب: بلغني أن صاحبك قد جفاك، والله لم يضيق عليك وأرض الله واسعة اخرج إلينا فقط، فلما قرأ الكتاب بكى ورماه في التنور، وقال بلغت من سوء الحالة حتى يطمع في ملك الكفار ولم يسمع لما يدعوه إليه. هؤلاء الثلاثة سيأتي خبرهم في آخر السورة ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْراً﴾ من المنافقين صنف آخر، بنوا مسجدا قصدهم مضارة مسجد قباء، بنوه بأمر من أبي عامر الفاسق، كان يقال له أبو عامر الراهب فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم أبا عامر الفاسق، ليكون معقلا له يقدم فيه من يأتي من عنده، وكان ذهب ليأتي بجنود من قيصر لقتال النبي صلى الله عليه وسلم. هو أبو عامر ترهب قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وتعلّم وكان ماهرا فحفظ العلوم فرأسوه في المدينة فصار رئيسا له أتباع، فلما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم أسلم جميع أتباعه فبقي ليس عنده أتباع، فأبغض النبي صلى الله عليه وسلم لهذا وحسده حتى لقي يوما الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له: ما هذا الدين الذي جئت به؟ قال له دين إبراهيم، قال ولكن جعلت فيه شيئا ليس فيه قال له الرسول صلى الله عليه

وسلم : كذبت جئت بالحنفية سمحة بيضاء ليلها كنهارها. فقال: أمات الله الكاذب منا طريدا وحيدا، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (آمين)[1] فذهب إلى قريش فلما طردوا في غزوة الأحزاب فر ولحق بالشام، فلما أسلم أهل الشام فر من الشام ولما توسط الطريق مات في فلاة طريدا وحيدا فدفن هناك، هو أبو عامر الفاسق لما كان في مدة تخلفه عن المدينة وهو يدعو في الملوك يطلب جيشا يقاتل به الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل إلى المنافقين أن يبنوا مسجدا إذا أتاه يجعله معقلا ينزل فيه هو ومن معه لقتال الرسول صلى الله عليه وسلم فجاء المنافقون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا: نحب أن نبني مسجدا قريبا منا تيسيرا للضعفاء وللعميان، فظن الرسول صلى الله عليه وسلم أن الأمر على ظاهره فتركهم بنوا مسجدهم فلما أتموا المسجد قالوا له آت تصل في مسجدنا نتبرك بصلاتك. فوعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن يرجع من تبوك فلما رجع من تبوك أتوا إليه أيضا، طلبوا خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى مسجدهم فنزلت هذه الآية ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ مضارة لأهل مسجد قباء ﴿وَكُفْرًا﴾ لأنهم بنوه بأمر الكافر ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين يصلون بقباء بصلاة بعضهم في مسجدهم ﴿وَإِرْصَادًا﴾ ترقبا ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ من حارب الرسول حارب الله هو أبو عامر ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل بنائه ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى﴾ إلا الفعلة الحسنى من الرفق بالمسكين في المطر والحر والتوسعة على المسلمين ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في ذلك وكانوا سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي فيه فنزل ﴿لاَ تَقُمْ﴾ لا تصل ﴿فِيهِ أَبَدًا﴾ فأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم

1 – قصة أبي عامر الفاسق ذكرها القرطبي ج320/7. وفي حاشية الصاوي على الجلالين ج168/2.

جماعة أن يهدموا المسجد ويجعلوه مزبلة تلقى فيها جميع الكناسات والجيف، فهدموه وحرقوه وجعلوا مكانه كناسة تلقى فيها الجيف[1] وبقيت كذلك حتى وسعت المدينة استأذن رجال أن يسكنوا فيها فبنوا فيها، وسكنوا وما ولد فيها مولود قط، وكلما حفروا خرج دخان من تحتهم[2] ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ﴾ بنيت قواعده ﴿عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ وضع يوم حللت بدار الهجرة وهو مسجد قباء كما في البخاري[3] ﴿أَحَقُّ﴾ منه ﴿أَن تَقُومَ﴾ تصلي ﴿فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ﴾ هم الأنصار ﴿يُحِبُّونَ أَنْ يَّتَطَهَّرُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ منع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة في مسجد المنافقين فحرمت الصلاة في مسجدهم، ومدح مسجد قباء هذا المسجد الذي أسس على التقوى أحق أن تقوم فيه، كيف يكون أحق أن يقوم فيه وذلك المسجد الآخر لا يجوز القيام فيه؟ لو كان ذلك مسجدا حقيقيا لكان أحق بأن تقوم فيه، ولكن ذلك ليس بمسجد حرام الصلاة فيه، وهذا المسجد «فِيهِ رِجَالٌ» هم الأنصار «يُحِبُّونَ أَنْ يَّتَطَهَّرُواْ» سألهم الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (قد أحسن عليكم الثناء في الطهور، فما قصتكم؟)[4] قالوا يا رسول الله ما

---

[1] - حاشية الصاوي على الجلالين ج2/ 168. ومثله في تفسير المراغي مج4/ ج24/2

[2] - قال القرطبي: وذكر أهل التفسير أنه كان يحفر ذلك الموضع الذي انهار فيخرج منه الدخان. القرطبي ج265/8.

[3] - صحيح البخاري: كتاب المناقب/ باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة (3906).

[4] - أخرج الترمذي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: نزلت هذه الآية في أهل قباء "فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين" قال: كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية فيهم. سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ من سورة التوبة (3025). وقال السيوطي في تحفة الأحوذي بشرح جامع

نعلم شيئا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط، وكان العرب يتطهرون بالحجارة، فجمعنا بين الحجارة والماء. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (بذلك)، هم يتخذون الحجارة على عادتهم ويتبعونها ماء، مدحهم الله بأنهم يحبون الطهارة ﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى﴾ مخافة ﴿مِنَ اللَّهِ وَ﴾ رجاء ﴿رِضْوَانٍ﴾ منه ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا﴾ طرف ﴿جُرُفٍ﴾ جانب ﴿هَارٍ﴾ مشرف على السقوط ﴿فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ خير تمثيل للبناء على ضد التقوى بما يؤول إليه. وصف بنيانهم بأربعة أوصاف: أسس على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ووصفهم بأنهم ظالمون ﴿لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تُقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ وصفه أيضا بأن ذلك لا يزال شكا في قلوبهم حتى يموتوا ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ عليم بخلقه حكيم في صنعه بهم ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ بأن يبذلوها في طاعته كالجهاد ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ هذه الآية نزلت في بيعة العقبة. الرسول صلى الله عليه وسلم لما دعا قريشا إلى عبادة الله فروا منه، وكان أبو طالب حيا وخديجة بنت خويلد فاستعصم بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قدر له الكفار على شيء فلما توفي أبو طالب وخديجة أيضا طمع الكفار في أن ينالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج يعرض نفسه على القبائل إذا جاء الحج وأبو لهب من خلفه كلما أراد جماعة أن يقبلوه يقول لهم: هذا ولدي وهو مجنون لا تسمعوا كلامه، حتى أتى لقوم من الأنصار ستة فبايعوه، فلما رجعوا في العام القابل أرسلوا

الترمذي عند شرحه الحديث قال تنبيه: روى البزار عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في أهل قباء "رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين" فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إنا نتبع الحجارة الماء.

اثني عشر أكدوا البيعة، وفي العام الذي يلي ذلك أرسلوا ثلاثة وسبعين رجلا وعشر نسوان فأكدوا البيعة فعزم الرسول صلى الله عليه وسلم على الهجرة إلى المدينة، فلما بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم على أنهم يسلمون أنفسهم وأموالهم له سألوه مالهم؟ قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: الجنة، فقبلوا المبايعة فتبايعوا فنزلت فيهم هذه الآية. هذه الآية وصفت بيعتهم وأكدها بعشرة أوصاف، في هذه الآية: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة» المسلم يسلم نفسه وماله لله طلبا للجنة، والخواص منهم يسلمون أنفسهم وأموالهم لوجه الله تبارك وتعالى، فالكل مبايعة. الناس على أقسام: الأنبياء أحرار لا يجوز بيعهم، والباقون المسلمون وغيرهم، الكفار لا يجوز شراؤهم لأنهم نجس، فبقي الشراء خاصا بالمسلمين «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم» هو مالك العباد ومالك أموالهم يشتري شيئا هو له، هذا كرم ليس بيعا لأن الكل له ومنه وإليه. فلما وقعت هذه المبايعة احتج إبليس على الله تبارك وتعالى، فقال له: في شريعتك من اشترى سلعة ووجد فيها عيبا يردها، رد إلي عبادك بحكم شريعتك فكلهم فيه عيب في شريعتك، قال الله تبارك وتعالى: من يشتري بالكرم لا يرد ما يشتري بعيب في أي شرع من الشرائع ولا في أي مذهب من المذاهب، وأنا اشتريت بكرمي[1] "فبهت الذي كفر". إن الذي يملك شيئا ويشتريه هذا غاية الكرم «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم» بأن يبذلوها في طاعته كالجهاد «بأن لهم الجنة» أكد البيعة بقوله "إن الله" أكد بحرف إن وسماه شراء «اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة» هذا هو الثمن، أكد بجملة الاسم المؤكدة بأن

---

[1] - روح البيان ج3/ 513.

﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ أكد البيعة بهذا ﴿وَعْدًا﴾ أتى بالمصدر ﴿عَلَيْهِ﴾ أتى بعلى ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد آخر ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْءَانِ﴾ هذه البيعة في جميع الكتب المنزلة من السماء: التوراة والإنجيل والقرآن ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ لا أحد أوفى منه تبارك وتعالى ﴿فَاسْتَبْشِرُواْ﴾ أمرهم أن يستبشروا ﴿بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وصف المبايعة بعشرة أوصاف كلها تؤكد المبايعة ليتحققوا ما ينالون منه تبارك وتعالى، سينالون غاية المطلوب ﴿التَّائِبُونَ﴾ هؤلاء الذين بايعوا الله تبارك وتعالى وصفهم بهذه الأوصاف أيضا هم كلهم تائبون التوبة الخروج من الكفر إلى الإيمان، وعند الخواص الخروج من كل خلق ذميم إلى الاتصاف بكل خلق حميد، وعند خواص الخواص أن لا يروا توبتهم ﴿الْعَابِدُونَ﴾ المخلصون في العبادة لله، العابدون على أقسام: أهل العبادة وأهل العبودية وأهل العبودة، أهل العبادة هم العوام، والخواص أهل العبودية من يعملون عبودية لله لا خوفا من النار ولا رغبة في الجنة بل يقصدون وجه الله تبارك وتعالى. وأهل العبودة هم عبيد لله تبارك وتعالى ليس لهم عمل على جدهم ﴿الْحَامِدُونَ﴾ له على كل حال ﴿السَّائِحُونَ﴾ الصائمون السياحة في هذه الملة هي الصوم ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ أي المصلون ﴿الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كان العرب يقولون إن العدد ينتهي عند سبعة، آخر الأعداد في باب الآحاد سبعة وآخر الأعداد في باب العشرات سبعون فلهذا جاء الواو وراء سبعة، ومن النحاة من يقول: واو الثمانية هو الواو الذي يأتي بعد سبعة من الأعداد «التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون» هذه صفات سبع ليس فيها واو «والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين» بالجنة. هذه عشر صفات، وستأتي عشر صفات في سورة

الأحزاب، وعشر في سورة المؤمنين، هي الكلمات التي ابتلى بها إبراهيم ربه فأتمهن[1] ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيءِ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ أَنْ يَّسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ نزلت في أبي طالب عندما حضرته الوفاة أتاه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له: يا عم قل كلمة واحدة أحاجّ بها لك عند الله تبارك وتعالى قل لا إله إلا الله محمد رسول الله. فجاء أبو جهل وجلس بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم وصار يقول له: لا ترغب عن ملة عبد المطلب وعبد مناف مت على دين أجدادك فلم يقل أبو طالب الكلمة، فألح عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال له: والله لولا الخوف من السبة والعار أن تعير أنت وإخوتك أن أباكم جزع عند الموت لقلتها، ولكن إذا قلتها الآن تبقى لكم سُبة، فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه الكلمة بعد ذلك أتاه العباس وقال له: لقد قال الكلمة، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: لم أسمع[2]. فلما مات قال النبي صلى الله عليه وسلم: سأستغفر لك ما لم أنه عن ذلك[3]، فقال بعض الصحابة إذا نستغفر لآبائنا المشركين فنزلت هذه الآية. قيل

---

[1] - قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن عند تفسيره قوله تعالى "وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن" قال: واختلف العلماء في المراد بالكلمات على أقوال أحدها شرائع الإسلام وهي ثلاثون سهما عشرة منها في سورة براءة "التائبون العابدون..." وعشرة في الأحزاب "إن المسلمين والمسلمات..." وعشرة في "المؤمنون": "قد أفلح المؤمنون...". ج2/ 97.

[2] - جاء في سيرة ابن هشام قوله: فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفتيه قال فأصغى إليه بأذنه قال فقال يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع. سيرة ابن هشام ج2/ 59.

[3] - أخرج البخاري عن سعيد بن المسيب أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل فقال أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاجُّ لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به على

للرسول صلى الله عليه وسلم: أبو طالب كان يحبك وينصرك وكان يحن عليك بم نفعته؟ قال: وجدته في وسط النار فأخرجته حتى صار خارج النار، في ضحضاح من النار[1]، بقيت أقدامه فقط هي التي في النار ولكن ببقاء أقدامه في النار يغلى دماغه. هذا هو الصحيح في إسلام أبي طالب. وأهل المحبة من أهل البيت يدعون إسلامه ولكن ما صح. لما قالوا إنهم سيستغفرون لآبائهم المشركين نزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ ما ينبغي للنبي ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ أَنْ يَّسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى﴾ ذوي قرابة ﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ أصحاب النار ماتوا على الكفر فلم تبق قرابة بينكم وبينهم لا تستغفروا لهم. والذين قالوا إنهم سيستغفرون لآبائهم احتجوا باستغفار إبراهيم لأبيه، فقال ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ إبراهيم لم يستغفر لأبيه وعده أنه سيستغفر له "سأستغفر لك ربي" رجاء أن يسلم ولو أسلم لوفى له ما وعده فلما لم يسلم ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ بموته على الكفر ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ وترك الاستغفار له، ما استغفر له ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ﴾ كثير التضرع والدعاء ﴿حَلِيمٌ﴾ صبور على الأذى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ للإسلام ﴿حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا

ملة عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأستغفرن لك ما لم أنه عنه فنزلت "ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم" ونزلت "إنك لا تهدي من أحببت" صحيح البخاري: كتاب المناقب/ باب قصة أبي طالب (3884) ولمسلم في صحيحه: كتاب الإيمان/ باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع (35).

1 – عن العباس بن عبد المطلب قال: يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: نعم هو في ضحضاح من نار لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار، رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري: كتاب الأدب/ باب كنية المشرك (6208) وفي صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ شفاعة النبي لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه (308).

يَتَّقُونَ﴾ من العمل فلا يتقوه فيستحقوا الإضلال ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه مستحقو الإضلال والهداية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ غيره ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ يحفظكم منه ﴿وَلاَ نَصِيرٍ﴾ يمنعكم من ضرره. ذكروا ثلاثة أخر النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم فهاجروهم وقاطعوهم مدة خمسين يوما فنزلت توبتهم، والله تبارك وتعالى ستار لو أنزل الآية لقد تاب الله على الثلاثة لبقي عارا عليهم فبدأ بقوله ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيءِ﴾ قبل الله توبة الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كان الرجلان يقتسمان التمرة، والعشرة يعتقبون البعير الواحد، واشتد الحر حتى شربوا الفرث[1] ﴿مِن بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ عن اتباعه إلى التخلف لما هم فيه من الشدة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ بالثبات ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ تاب الله على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المهاجرين والأنصار «ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم» التوبة من الله هي قبول التوبة من عبده، وتوبة العبد أن ينيب إلى الله تبارك وتعالى ويندم من الذنب وينوي أن لا يعود. هذه غزوة تبوك كانت أشد الغزوات. لما رجع الرسول صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع أراد أن يغزو الشام فسمع أن الروم جمعوا جيوشا في تبوك يريدون قتال الرسول صلى الله عليه وسلم فخرج إلى تبوك وهي بعيدة من المدينة وأرضها حراء وليس فيها ماء، وكان العشرة يعتقبون بعيرا واحدا وكان زمن قلة حتى لم يجد الرسول صلى الله عليه وسلم زادا للجيش فقال: من جهز الجيش

---

1 – ابن كثير ج2/ 397.

وجبت له الجنة فأتى عثمان بمائة من الخيل بأحلاسها وأسراجها، وأتى بألف بعير[1] تحمل البر وأتى بألف دينار صبه في حجر الرسول صلى الله عليه وسلم فصار الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم[2]، اللهم ارض عنه فإني رضيت عنه[3]. فلما كانوا في الغزوة اشتد العطش حتى نحر بعض الصحابة إبلهم وشربوا من فرثها، فجاء عمر وقال: يا رسول الله المسافة بعيدة وإن دام هذا لا يبقى عندنا ظهر لا يمكن رجوعنا إلى المدينة، فادع الله تبارك وتعالى يسقنا، قال تحب ذلك؟ قال: نعم، فسأل الله فأتت سحابة وأمطرت فملأوا أوعيتهم وشربوا[4] واغتسلوا واستمر الحر فعطشوا أيضا حتى مات سبعة، جيئ بماء لأحدهم وهو في سكرات الموت من شدة العطش فقال: صاحبي الذي يليني أشد مني عطشا فذهبوا إليه قال ذلك: صاحبي الذي يليني أشد عطشا إلى سبعة، أتوا للأخير فوجدوه قد

---

[1] – أورده ابن حجر في فتح الباري نقلا عن أسد بن موسى في فضائل الصحابة من مرسل قتادة قال "حمل عثمان على ألف بعير وسبعين فرسا في العسرة". فتح الباري عند شرح حديث أبي عبد الرحمن أن عثمان رضي الله عنه حين حوصر أشرف عليهم وقال أنشدكم الله ولا أنشد إلا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر رومة فله الجنة فحفرتها؟ ألستم تعلمون أنه قال من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزتهم؟ قال فصدقوه بما قال. كتاب الوصايا/ باب إذا وقف أرضا أو بئرا واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين. فتح الباري ج5/ 408.

[2] – أخرج الترمذي في سننه عن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار قال الحسن بن واقع وكان في موضع آخر من كتابي في كمه حين جهز جيش العسرة فينثرها في حجره قال عبد الرحمن فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين. سنن الترمذي: كتاب المناقب/ باب في مناقب عثمان بن عفان (3634)

[3] – الجامع الكبير للسيوطي ج2/ 658.

[4] – ذكره ابن كثير ج2/ 397.

مات ورجعوا إلى السبعة فوجدوهم كلهم قد ماتوا ما شرب منهم أحد الماء، يصدق فيهم قوله تعالى "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة"، فطلبوا الرسول صلى الله عليه وسلم فطلب من عنده شيء من الماء فجاء واحد بميضأة فيها بقية ماء فبل الرسول صلى الله عليه وسلم كفه ففاض الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم حتى شربوا ورووا وسقوا دوابهم وملأوا أوانيهم[1] وذلك أفضل ماء خلقه الله تبارك وتعالى الماء الذي نبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم، وبعده ماء زمزم وبعده ماء الكوثر، الكوثر في الدرجة الثالثة ﴿وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار وعلى الثلاثة: كعب بن مالك

---

1 - أخرج مسلم في صحيحه عن جابر ضمن حديث له طويل قال: فأتينا العسكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا جابر ناد بوضوء، فقلت: ألا وضوء ألا وضوء ألا وضوء؟ قال قلت: يا رسول الله ما وجدت في الركب من قطرة، وكان رجل من الأنصار يبرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الماء في أشجاب له على حمارة من جريد، قال فقال لي: انطلق إلى فلان ابن فلان الأنصاري فانظر هل في أشجابه من شيء. قال فانطلقت إليه فنظرت فيها فلم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء شجب منها لو أني أفرغه لشربه يابسه، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إني لم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء شجب منها لو أني أفرغه لشربه يابسه، قال: اذهب فأتني به، فأتيته به فأخذه بيده فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو ويغمزه بيديه ثم أعطانيه فقال: يا جابر ناد بجفنة، فقلت: يا جفنة الركب، فأتيت بها تحمل فوضعتها بين يديه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في الجفنة هكذا فبسطها وفرق بين أصابعه ثم وضعها في قعر الجفنة وقال: خذ يا جابر فصب علي وقل باسم الله، فصببت عليه وقلت باسم الله، فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت، فقال: يا جابر ناد من كان له حاجة بماء، قال فأتى الناس فاستقوا حتى رووا. قال فقلت: هل بقي أحد له حاجة؟ فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى. صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق/ باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر (5328). وقد ورد حديث نبع الماء من بين أصابعه في مواطن عديدة في الصحيحين وفي السنن بطرق مختلفة في مناسبات شتى.

وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكلهم من الأنصار ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ مع رحبها أي سعتها فلا يجدون مكانا يطمئنون إليه ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ قلوبهم للغم والوحشة بتأخير توبتهم فلا يسعها سرور ولا أنس ﴿وَظَنُّواْ﴾ أيقنوا ﴿أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ﴾ هذا طريق النجاة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ تاب الله عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم. نزلت هذه في الليل والرسول صلى الله عليه وسلم في بيت زوجته أم سلمة فقال قد قبلت توبة الثلاثة، قالت ألا أرسل إليهم ليستبشروا؟ قال الرسول صلى الله عليه وسلم: إذا يمنعون الناس من نومهم، فلا ينام أحد حتى الصباح، فلما صلى الصبح التفت وقال: لقد قبل الله توبة الثلاثة، كلهم قام رجل إليه ليبشره، قال كعب: استعرت بردا من جاري ولبسته ودخلت المسجد فإذا الرسول صلى الله عليه وسلم وجهه كالقمر ليلة البدر من شدة السرور بقبول توبتنا فجئت فقام إلي طلحة بن عبيد الله فلم يقم إلي من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة أبدا، فلما جئت فإذا الرسول صلى الله عليه وسلم يخبرنا أن الله قبل توبتنا[1] ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ﴾ بترك معاصيه ﴿وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ في الإيمان والعهود بأن تلزموا الصدق. الله أمرنا أن نكون مع الصادقين، الصادقين في قولهم بلى يوم ألست بربكم؟، الصادق من صدق في معاملته مع الله تبارك وتعالى، الصادق إذا قوي على الصدق يكون هو المخلص، الإخلاص القوة في الصدق، والصادق من كان باعثه على العمل هو وجه الله تبارك وتعالى، فإن كان عرض له حب ثناء أو فخر أو

---

1 – حديث كعب بن مالك في شأن الثلاثة الذين خلفوا متفق عليه. صحيح البخاري: كتاب المغازي/ باب حديث كعب بن مالك (4418) وفي صحيح مسلم: كتاب التوبة/ باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه (4973).

شيء غير ذلك فما يمنعه من الصدق. العمل سلم إذا كان الباعث على العمل هو وجه الله، فعلى هذا تجد الإنسان صادقا في عمل غير صادق في عمل آخر، منهم من كان صادقا في صلاته وصيامه غير صادق في حجه، ومنهم من كان صادقا في حجه غير صادق في تلاوته الخ. ومن كان صادقا في جميع الأعمال حتى صار كل معاملاته لوجه الله تبارك وتعالى فذلك هو الصدّيق، والصديق هو المخلَص بالفتح، والصادق هو المخلِص بالكسر. الله أمر العباد أن يكونوا مع الصادقين الذين لازموا الصدق. والإخوان في السلوك المريدون الصادقون ينتفعون بعضهم من بعض أكثر مما ينتفعون من المراد، فكأن الآية تأمر بالكون مع الصادقين لأنهم أنفع للصغار من المرادين. فالمرشد الكامل إذا صحبته واصطحبت مع إخوان كمل تجد نفعا على يد إخوانك في الله أكثر مما تجد مباشرة من الكامل، وذلك لأن المريد لا ينفعه إلا أن يصلي صلاة الجنائز على جميع خلق الله إلا مراده ورسوله وربه، وهذا قلما يصرح مرشد لمريده بمثل هذا، إنما يدله على هذا الطريق إخوانه الذين سبقوه وهم الصادقون.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللَّهِ﴾ إذا غزا ﴿وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ بأن يصونوها عما رضيه لنفسه من الشدائد، وهو نهي بلفظ الخبر، لا يجوز للمسلمين أن يصونوا أنفسهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقول الصحابي:

لئن قعدنا والنبي يعمل   لذاك منا العمل المضلل[1]

---

1 – ذكره ابن هشام في سيرته دون عزو، وذلك بمناسبة بناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أول بنائه فقال قائلهم يستحث همم الصحابة ويستنهضهم للعمل: لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل. سيرة ابن هشام ج2/ 141.

﴿ذَلِكَ﴾ النهي عن التخلف ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ ذكر في سورة النساء أن المجاهدين لهم درجات هي: ﴿لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عطش في الجهاد إلا كتب لهم به عمل صالح ﴿وَلاَ نَصَبٌ﴾ إلا كتب لهم به عمل صالح ﴿وَلاَ مَخْمَصَةٌ﴾ جوع ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إلا كتب لهم به عمل صالح، هذه ثلاث ﴿وَلاَ يَطَئُونَ مَوْطِئًا﴾ وطءا ﴿يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ يُغضب الكفار إلا كتب لهم به عمل صالح ﴿وَلاَ يَنَالُونَ﴾ يقتلون ﴿مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً﴾ قتلا ﴿إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ هذه خمس خصال ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلاَ يُنفِقُونَ﴾ في الجهاد ﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ هذه خصلة إلا كتب لهم ﴿وَلاَ كَبِيرَةً﴾ إلا كتب لهم ﴿وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ بالسير ﴿إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ تلك الدرجات الثمان للمجاهد. ولما وبخوا على التخلف وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم سرية نفروا جميعا. لما أتت آيات العتاب عقب نزولها أرسل الرسول سرية فخرج الصحابة جميعا كل أحد يقول إنه يخرج إلى السرية حتى كاد يبقى النبي صلى الله عليه وسلم وحده في المدينة فنزل ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ﴾ إلى الغزو ﴿كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ قبيلة ﴿مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ جماعة ومكث الباقون ﴿لِيَتَفَقَّهُواْ﴾ الماكثون ﴿فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو بتعليمهم ما تعلموه من الأحكام ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ عقاب الله بامتثال أمره ونهيه. قال ابن عباس: فهذه مخصوصة بالسرايا والتي قبلها بالنهي عن تخلف واحد فيها إذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم. النبي صلى الله عليه وسلم هو وعاء النبوءة ووعاء الوحي، إذا خرج إلى غزو فلا يتخلفن أحد يقدر على أن يذهب فليخرجوا جميعا، وإذا أرسل سرية وتخلف الرسول صلى الله عليه وسلم، لا ينبغي أن يخرج المسلمون جميعا يخرج من عينهم النبي صلى الله عليه وسلم ويبقى الباقون مع الرسول يتعلمون العلم. هذه الآية في

فضيلة العلم، وإن الملائكة لتضع أجنحتها للمتعلمين تكريما لهم والله تبارك وتعالى يأمرهم أن يحفوهم بالرحمة[1] فإذا تعلموا العلم علموا وعلَّموا غيرهم، قال الرسول صلى الله عليه وسلم لعلي لما توجه إلى خيبر (لأن يهدي الله بك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس)[2] أي من علم علما نافعا وعلّم غيره فذلك خير من الدنيا وما فيها. أما في القرآن فورد: (خيركم من تعلم القرآن وعلّمه)[3]. ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ الأقرب فالأقرب منهم ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ شدة اغلظوا عليهم ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ هذه الآية في الإرشاد في ميدان القتال. طعن بعض الكفار في الإسلام أن الآية أمرت المسلمين بالغلظ، وذلك ليس

---

1 – (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات عن صفوان بن عسال المرادي و لم يرفعه. وأخرجه من طريق أبي الدرداء قال فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر) سنن الترمذي: كتاب العلم/ باب ما جاء في فضل العلم على العبادة (2606) ولابن ماجه عن صفوان بن عسال المرادي مرفوعا قال: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع) سنن ابن ماجه: كتاب المقدمة/ باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (222).

2 – أخرجه الشيخان من حديث سهل بن سعد. صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير/ باب فضل من أسلم على يديه رجل (3009)، وفي صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة/ باب في فضائل علي بن أبي طالب (4423).

3 – أخرجه البخاري في صحيحه عن عثمان رضي الله عنه: كتاب فضائل القرآن/ باب خيركم من تعلم القرآن وعلّمه (5027).

على إطلاقه، هذا في نفس ميدان القتال، علمهم كيفية الجهاد أن يقاتلوا من يلوهم ثم من يلوهم وليجدوا غلظة في ميدان القتال. والإنسان إذا كان في ميدان القتال ولم يكن غليظا بل كان لينا فليس هذا لينا إنما هو خور وضعف وجبن وفرار. ميدان القتال لا يليق فيه إلا أن يكون الجندي غليظا شديدا على قرنه.

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ من القرآن ﴿فَمِنْهُم﴾ من المنافقين ﴿مَنْ يَّقُولُ﴾ استهزاء ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ تصديقا قال تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ بتصديقهم ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ كفرا إلى كفرهم ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ أَوَلاَ يَرَوْنَ﴾ المنافقون ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ يبتلون ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بالقحط والأمراض ﴿ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ﴾ من نفاقهم ﴿وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكرهم وقرأها الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ يريدون الهرب يقولون ﴿هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ إذا قمتم فإن لم يرهم أحد قاموا وإلا ثبتوا ﴿ثُمَّ انصَرَفُواْ﴾ على كفرهم ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عن الهدى ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾ لا يفقهون الحق لعدم تدبرهم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ منكم هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ﴿عَزِيزٌ﴾ شديد ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ عنتكم أي مشقتكم ولقاؤكم المكروه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أن تهتدوا ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ "رءوف" شديد الرحمة "رحيم" بالمؤمنين يريد لهم الخير، هذا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، قرئ "من أنفُسكم" وقُرئ "من أنفَسِكم"[1]. الرسول صلى الله عليه وسلم أرسله الله من بني هاشم، وهو يقول

1 – بفتح الفاء قراءة عبدِ الله بن قسيط المكي، ذكره القرطبي في تفسيره ج8/ 301.

صلى الله عليه وسلم: إن الله لما خلق الخلق اختار منهم آدم فاختار من بني آدم العرب، واختار من العرب بني كنانة، واختار من بني كنانة قريشا، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم فأنا خيار إلى خيار[1].

والرسول صلى الله عليه وسلم من أنفسهم من أنسبهم له الحسب والنسب في كل بطون قريش ومتصف بصفات الكمال، عزيز عليه مشقتكم، حريص على هدايتكم.

إن الله تبارك وتعالى أوجد الرسول صلى الله عليه وسلم روحانيته على كيفية صورته في حياته، وإليه يشير: (إن الله خلق آدم على صورته)[2] فتعالى الله، رأسه من البركة صلى الله عليه وسلم، وعيناه من الحياء وأذناه من العبرة، وشفتاه من

---

1 – أخرج مسلم في صحيحه عن واثلة بن الأسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) صحيح مسلم: كتاب الفضائل/ باب فضل نسب النبي (4221). وفي الجامع الكبير للسيوطي عن البيهقي وابن عدي في الكامل كلاهما عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الله عز وجل خلق السماوات سبعا واختار العلى منها فأسكنها من شاء من خلقه ثم خلق الخلق فاختار من خلقه بني آدم واختار من بني آدم العرب واختار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم فأنا خيار إلى خيار فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم) الجامع الكبير ج1/ 168

2 – أخرجه الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن. صحيح البخاري: كتاب الاستئذان/ باب بدء السلام (6227) ولمسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها/ باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير (5075). وقد تقدم في الدرس 13.

التسبيح، ولسانه من الذكر، وقلبه من الرحمة، وفؤاده من الشفقة، وكفاه من السخاوة، وريقه من عسل الجنة، فلهذا ما تفل في بئر إلا وصار عذبا، وشعره من نبات الجنة[1]، فجاء فينا رءوفا رحيما. حلاّه الله بحليته، الله رءوف رحيم والنبي رؤوف رحيم، ولكن الفرق بين مقام الألوهية ومقام العبودية ظاهر في الآية: إن الله بالناس لرءوف رحيم، النبي بالمؤمنين رءوف رحيم. الله رءوف رحيم بالناس كلا، فإذا ألقى رأفته ورحمته في الناس خرجوا مؤمنين فإذا كانوا مؤمنين دخلوا في رأفة النبي ورحمته فرحمة الله ورأفته هي الجاذبة للعبد حتى يصل إلى رحمة النبي ورأفته، ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن الإيمان بك ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ كافي الله ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت لا بغيره ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ﴾ الكرسي أو يترك على ظاهره أولى رب العرش هو رب العرش ﴿الْعَظِيمِ﴾ خصه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات.

وروى الحاكم في المستدرك عن أبي بن كعب قال: آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول إلى آخر السورة[2]، هي آخر ما كتب عندما جمعوا القرآن[3].

---

1 - روح البيان ج2/ 247.

2 - أخرج الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: آخر ما نزل من القرآن: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم" . قال الحاكم حديث شعبة عن يونس بن عبيد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. المستدرك: كتاب التفسير/ تفسير سورة التوبة/ باب آخر ما نزل لقد جاءكم" (3345). وأخرجه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس عن أبيّ به، مسند أحمد: مسند الأنصار/ حديث عبد الله بن عباس عن أبي بن كعب (20196).

3 - قال ابن حجر العسقلاني في شرحه لحديث زيد بن ثابت في جمع القرآن في صحيح البخاري قال... وقد وقع عند ابن أبي داود من رواية يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب فجاء خزيمة بن ثابت وقال: إني رأيتكم تركتم آيتين فلم تكتبوهما قالوا وما هما؟ قال: تلقيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم "لقد

آخر آية نزلت: "واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله"[1].

الرسول صلى الله عليه وسلم هو أول ما خلق الله وخلقه الله لنفسه وخلق الخلق لأجله (خلقتك من أجلي وخلقت الخلق من أجلك) يقول: (أنا من الله والمؤمنون مني)[2] فعلى هذا جميع العوالم والأفلاك والسماوات والأرضين خلقت من نور الرسول صلى الله عليه وسلم. سأل يوما جبريل عليه الصلاة والسلام: كم مر عليك من الزمان؟ قال جبريل: لا أعرف بيد أن وراء الحجاب الرابع كوكبا يطلع في كل سبعين ألف سنة مرة واحدة وتذكرت أنه طلع علي اثنتين وسبعين ألف مرة. ضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: أنا ذلك الكوكب[3]، إذا الرسول صلى الله عليه وسلم أقدم من جبريل.

جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة، فقال عثمان وأنا أشهد فكيف ترى أن تجعلهما قال أختم بهما آخر ما نزل من القرآن. فتح الباري شرح الحديث رقم (4984)

1 - أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آية الربا. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله (4544).

2 - ذكره في روح البيان ج2/ 370. تقدم في الدرس 13.

3 - ذكر علي بن برهان الدين الحلبي في كتابه السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ما نصه: روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال: يا جبريل كم عمرت من السنين؟ فقال: يا رسول الله لست أعلم غير أن في الحجاب الرابع نجما يطلع في كل سبعين ألف سنة مرة رأيته اثنتين وسبعين ألف مرة، فقال: يا جبريل وعزة ربي جل جلاله أنا ذلك الكوكب. السيرة الحلبية مج1/ ص49. دار المعرفة

سورة يونس

مكية إلا "فإن كنت في شك .." الآيتين أو الثلاث أو "ومنهم من يؤمن به" الآية.

مائة وتسع آيات.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَر﴾ الله أعلم بمراده بذلك، منهم من يقول الر، حم، ن، هذا الرحمن[1]، ولكن الله أعلم بمراده أنسب ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْحَكِيمِ﴾ والقرآن هو الكتاب الحكيم المحكم على سائر الكتب، تقدّم "ومهيمنا عليه" ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ أهل مكة ﴿عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ قريش يقولون ما بال الخالق تبارك وتعالى ليس عنده من يبعث رسولا إلا يتيم أبي طالب؟ ما ينبغي أن يكون هذا رسولا في قريش "لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم"، أهل البعد من الله تبارك وتعالى لا ينظرون إلا إلى الغنى والجاه يظنون أن من اتصف بهذين هو الذي يستحق الرئاسة لا غير. الرسول صلى الله عليه وسلم ليس بدونهم في النسب ولا في الحسب، وكرم الخصال فاقهم فيه من كرم وشجاعة وعفة وزهد، لا يبارونه في هذه الطباع، ولكنه كان فقيرا ليس عنده المال، فحقروه لأنه ليس عنده المال حتى ظنوا أنه لا يستحق الرئاسة لما كان فقيرا، فقالوا لا ينبغي أن يكون محمد نبيا وهو مسكين ليس عنده شيء، وتلك عادة الله تبارك وتعالى فتجد أهل الولاية غالبا يكونون مقلّين من باب المال وليسوا من أرباب الجاه عند أبناء الدنيا فيرون أنهم لا

1 – هو قول ابن عباس كما ورد في تفسير القرطبي والخازن وفي مقدمة لسان العرب عند كلام المصنف على الحروف المقطعة.

يستحقون الرئاسة، وليس في هذا عجب إذا أوحيت إلى محمد صلى الله عليه وسلم ﴿أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾ الكافرين ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا﴾ القرآن ﴿لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ هم كفروا عنادا فقط فلو سأل المال وتوفرت عند الرسول جميع الأموال لقالوا إن هذا سحر. السورة مكية، والسورة إذا كانت مكية لابد تأتي بدلائل التوحيد والنبوة وقصص الأنبياء وأحوال الآخرة ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ االسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا، أي في قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولا قمر، ولو شاء لخلقهن في لمحة، ستة أيام الأيام من الآنِ، الآنَ: نحن نقول الآنَ هذا هو الزمان، الآنُ الدائم هو حياة الحق، الآنُ هو الذي يمتد حتى تخرج ثانية ويمتد حتى تخرج دُرجة، ويمتد حتى تخرج ساعة، ويمتد حتى يخرج يوم، ويمتد حتى يخرج أسبوع، ويمتد حتى يخرج شهر، ويمتد حتى تخرج سنة، ويمتد حتى يخرج يوم عند الآخرة ألف سنة أو يوم كيوم القيامة خمسون ألف سنة، هو هذا الآن فقط؛ وإلى الآنِ يشير قوله "كل يوم هو في شأن" يوم هنالك بمعنى آنٍ، ويوم هنا كأنه يوم من أيام الدنيا. والله تبارك وتعالى ابتدأ خلق الخلق يوم الأحد وختم يوم الجمعة[1]، وزوج آدم حواء يوم الجمعة. سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن يوم السبت قال: يوم مكر وخديعة[2] لأنه هو اليوم الذي اجتمع فيه

---

1 - حاشية الصاوي على الجلالين ج2/ 78. ومثله في تفسير ابن كثير ج221/2.

2 - جاء في كشف الخفاء عند ذكر الحديث "آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمر" برواية ابن مردويه في تفسيره، ما نصه: أخرج أبو يعلى عن ابن عباس، وكذا ابن عدي، وتمام في فوائده عن أبي سعيد مرفوعا: يوم السبت يوم مكر وخديعة، ويوم الأحد يوم غرس وبناء، ويوم الاثنين يوم سفر وطلب رزق، ويوم الثلاثاء يوم حديد وبأس، ويوم الأربعاء لا أخذ ولا عطاء، ويوم الخميس يوم طلب الحوائج والدخول على السلطان، ويوم الجمعة يوم خطبة ونكاح. كشف الخفاء/ حرف الهمزة (تعليقا على الحديث رقم 3).

الكفار في دار الندوة يريدون المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم، ويوم الأحد قال يوم عمارة وغرس، ويوم الاثنين قال يوم سفر، ويوم الثلاثاء قال: يوم دم حاضت فيه حواء وَقُتِلَ هابيل وقُتل فيه زكريا ويحيى، ويوم الأربعاء قال: يوم دعاء استجيب فيه الدعاء للرسول صلى الله عليه وسلم يوم الخندق، ويوم الخميس يوم الدخول على الملوك لأنه هو اليوم الذي دخل فيه إبراهيم على ملك مصر[1] وأهدى لسارة بهاجر، ويوم الجمعة يوم تزويج[2] تزوج آدم بحواء، وكانت تسمى العروبة والإسلام هو الذي جاء باسم الجمعة للتجمع فيها لإقامة صلاة الجمعة، وأصلا كان في لغة العرب يقولون العروبة، والسبت في اللغة الراحة[3] وتلك الأيام سبعة والدنيا سبعة أيام[4] ويوم عند ربك كألف سنة فلهذا قدروا عمر الدنيا بسبعة آلاف سنة وقد مرت سبعة آلاف سنة وثلاثمائة واثنان وثمانون في هذا العام.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ بين الخلائق ﴿مَا مِن شَفِيعٍ﴾ يشفع لأحد ﴿إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ ردا لقولهم إن الأصنام تشفع ﴿ذَلِكُمْ﴾ الخالق المدبر ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ وهذا تعليم للتأني فلهذا قال الرسول صلى الله عليه

---

1 - قال ابن حجر في فتح الباري في شرح الحديث (لم يكذب إبراهيم النبي إلا ثلاث كذبات اثنتان منهن في ذات الله عز وجل... الحديث. قال واسم الجبار عمرو بن امرئ القيس بن سبأ وإنه كان على مصر وقال ذكره السهيلي وهو قول ابن هشام في التيجان. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج6/ 392.

2 - أخرج أبو يعلى في مسنده عن ابن عباس قال: (يوم الأحد يوم غرس وبناء، ويوم الاثنين يوم السفر، ويوم الثلاثاء يوم الدم، ويوم الأربعاء يوم أخذ ولا عطاء فيه، ويوم الخميس يوم دخول على السلطان، ويوم الجمعة يوم تزويج وباءة). مسند أبي يعلى/ من مسند أبي سعيد الخدري (2614) ج4/479.

3 - لسان العرب مادة (سبت) قال السبت: الراحة.

4 - (الدنيا سبعة أيام من أيام الآخرة) الجامع الصغير الحديث رقم 4277. تقدم في الدرسين 13و15.

وسلم: (الأناة من الله والعجلة من الشيطان)[1] إلا في ستة أشياء العجلة فيها ليست من الشيطان: تعجيل التوبة، تعجيل قرى الضيف، تعجيل الغسل من الجنابة، تعجيل قضاء الدين، تعجيل تزويج البكر، تعجيل تجهيز الميت[2]، ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ﴾ بالإنشاء ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماء بالغ النهاية في الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفرهم ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾ نورا ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ لا عبثا ﴿نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من ملائكة وشمس وقمر ونجوم ﴿وَالأَرْضِ﴾ من حيوان وجبال ﴿لآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته ﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ بالبعث ﴿وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بدل الآخرة ﴿وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾ سكنوا إليها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا﴾ دلائل وحدانيتنا ﴿غَافِلُونَ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ من الشرك والمعاصي ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ﴾ يرشدهم ﴿رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ

---

1 – أخرج الترمذي عن سهل بن سعد الساعدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الأناة من الله والعجلة من الشيطان) سنن الترمذي: كتاب البر والصلة/ باب ما جاء في التأني والعجلة (1935). وروى البيهقي الحديث (التأني من الله والعجلة من الشيطان) عن أنس. الجامع الصغير للسيوطي حديث رقم 3390.

2 – جاء في كشف الخفاء في التعليق على الحديث (التأني من الله والعجلة من الشيطان) ما نصه: وللغزالي عن حاتم الأصم قال: العجلة من الشيطان إلا في خمسة فإنها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم: إطعام الطعام، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب. كشف الخفاء: حرف المثناة الفوقية (التاء) رقم (943).

في جنَّاتِ النَّعيمِ دَعْوَاهُمْ فِيهَا﴾ طلبهم ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ فيما بينهم ﴿فِيهَا سَلاَمٌ وَءاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ﴾ لو استعجل المشركون العذاب كاستعجالهم ﴿بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ بأن يهلكهم ولكن يمهلهم ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون متحيرين ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ﴾ الكافر ﴿الضُّرُّ﴾ المرض ﴿دَعَانَا لِجَنبِهِ﴾ مضطجعا ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِماً﴾ أي في كل حال ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ﴾ على كفره ﴿كَأَنْ﴾ كأنه ﴿لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ﴾ كما زين له الدعاء عند الضر والإعراض عند الرخاء ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ المشركين ﴿مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ الأمم ﴿مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ﴾ كما أهلكنا أولئك ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ نهلكهم أيضا ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿خَلاَئِفَ﴾ جمع خليفة ﴿فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾ القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ ظاهرات ﴿قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا﴾ الذي يسب آلهتنا ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ من تلقاء نفسك ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِيَ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم﴾ أعلمكم ﴿بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ سنين أربعين ﴿مِن قَبْلِهِ﴾ لا أحدثكم بشيء ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ أنه ليس من قِبلي ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ غيره ﴿مَا لاَ يَضُرُّهُمْ﴾ إن لم يعبدوه ﴿وَلاَ يَنفَعُهُمْ﴾ إن عبدوه ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ﴾ تخبرونه ﴿بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

عَمَّا يُشْرِكُونَ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي على دين واحد وهو الإسلام من لدن آدم إلى نوح ﴿فَاخْتَلَفُواْ﴾ بأن ثبت بعض وكفر بعض ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ وَيَقُولُونَ﴾ أهل مكة ﴿لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كما كان للأنبياء من الناقة والعصا واليد ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ﴾ ما غاب ﴿لِلَّهِ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ﴾ كفار مكة ﴿رَحْمَةً﴾ مطرا وخصبا ﴿مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾ بؤس وجدب ﴿مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي ءَايَاتِنَا﴾ بالاستهزاء والتكذيب ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ مجازاة ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ الحفظة ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾ السفن ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ فيه ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ لينة ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أهلكوا ﴿دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾ لأن إثمه عليها ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ هو ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فنجازيكم ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ﴾ مطر ﴿أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ بسببه ﴿نَبَاتُ الأَرْضِ﴾ واشتبك بعضه ببعض ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ من البر والشعير ﴿وَالأَنْعَامُ﴾ من الكلإ ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ بهجتها من النبات ﴿وَازَّيَّنَتْ﴾ تزينت ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ متمكنون من تحصيل ثمارها ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾ قضاؤنا أو عذابنا ﴿لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي زرعها ﴿حَصِيدًا﴾ كالمحصود بالمناجل ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ﴾ نبين ﴿الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَاللَّهُ يَدْعُواْ إِلَى دَارِ السَّلاَمِ﴾ هي الجنة ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَّشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الله تبارك وتعالى يدعو

عباده إلى دار السلام وهي الجنة ويهدي إلى صراط مستقيم. كان ملك من الملوك بنى دارا وهيأ فيها كل الزخارف ولذات الدنيا، فلما أكملها صار يدعو الناس للضيافة في تلك الدار ويوكل رجالا ينظرون الدار هل رأوا فيها عيبا، فدخل قوم من الصوفية فأكلوا وسألوهم هل رأوا عيبا؟ قالوا: رأينا عيبين، فدعاهم للحبس وقال: أنا لا أرضى بعيب واحد وأنتم تدّعون عيبين، أي عيب رأيتم؟ قالوا: دار تخرب وصاحبها يموت. قال: هل توجد دار لا تخرب وصاحبها لا يموت؟ قالوا: نعم، الجنة. فقال: كيف السبيل إليها؟ أمروه بالتوبة والعبادة لله تبارك وتعالى فخرج من الملك واشتغل بالعبادة حتى لحق بالصالحين[1]. الجنة هي دار السلام: أولها عطاء ووسطها رضاء وآخرها لقاء. اللهم صل على سيدنا محمد وسلم.

1 – القصة ذكرها البروسوي في روح البيان ج4/ ص36.

الدرس الرابع والعشرون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيـــم

يا همة الشيخ احضري لنـــا بهذا المحضـــر

ولتعطفـــي بنظـــرة تأتي لنـــا بالظفـــر

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ بالرجوع إلى الله تبارك وتعالى لهم ﴿الْحُسْنَى﴾ الجنة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ على الجنة. إن الله تبارك وتعالى إذا أدخلهم الجنة وأفاض عليهم نعمه ظاهرة وباطنة وتنعموا في الجنة مدة من الزمن يتجلى لهم: هل أزيدكم؟ فيقولون: يا ربنا هل لهذا من مزيد؟ بيضت وجوهنا وفعلت لنا وفعلت لنا، قال: رضواني أحله عليكم فلا أسخط عليكم بعده أبدا[1]. فكان هذا أفضل لهم من الجنة "ورضوان من الله أكبر". بعد أحقاب من الزمان: هل أزيدكم؟ فيقولون: هل لهذا من مزيد؟ فيتجلى لهم فينظرون إلى وجهه تبارك وتعالى ولقاء الله أشهى من الجنة وما فيها، وهذا اللقاء

---

1 - جاء في صحيح البخاري: عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا) صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب صفة الجنة والنار (6549). وفي صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدا (5057). وقد تقدم في الدرسين 8 و22.

بالنظر إلى وجهه بعين الرأس، هذا الذي لا يمكن أن يقع في الدنيا لأن الدنيا دار التكاليف، ومن وقع له هذا سقطت عنه التكاليف، "وأن إلى ربك المنتهى" إنما النظر إلى وجهه في الدنيا بعين العين أي بعين الحق لا بعين البصر ولا بعين البصيرة. الإحسان قال الرسول صلى الله عليه وسلم (أن تعبد الله كأنك تراه)[1] ولا يمكن عبادة الله بالرؤية إلا بعد الخروج من الغير والغيرية فهذا هو عين الإخلاص، أن لا تلتفت إلى غيره ولا يخطر الغير منك ببال أصلا فيبقى الله تبارك وتعالى هذا هو الإحسان كما قال من دراه[2]، أولئك لهم الحسنى وزيادة، الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجهه تبارك وتعالى[3] زيادة أكبر من أصل الثمن. العادة أن الإنسان إذا

---

1 – أخرج البخاري عن أبي هريرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث، قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان، قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: متى الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها إذا ولدت الأمة ربها وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان في خمس لا يعلمهن إلا الله ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم "إن الله عنده علم الساعة الآية" ثم أدبر فقال ردوه فلم يروا شيئا فقال هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم. صحيح البخاري: كتاب الإيمان/ باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان (50). وفي صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (10). تقدم في الدرس 15.

2 – يعني الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد قال ابن عاشر في نظمه المرشد المعين على الضروري من علوم الدين ص69: وأما الإحسان فقال من دراه   أن تعبد الله كأنك تراه

3 – روى مسلم عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنةَ قال يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟، قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ثم تلا هذه الآية "للذين أحسنوا

تبايع مع غيره وأعطي زيادة تكون الزيادة قليلا بالنسبة إلى أصل الثمن، والزيادة من الله أكبر من أصل الثمن، فإن أصل الجزاء الجنة ورؤية الله أكبر من الجنة، كيف تكون الزيادة أكبر من أصل الثمن؟ لأن الزيادة من الله تبارك وتعالى الكريم الوهاب فكانت زيادته أكثر من الثمن. ﴿وَلاَ يَرْهَقُ﴾ يغشى ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ سواد ﴿وَلاَ ذِلَّةٌ﴾ كآبة ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أهل الجنة لا يغشى وجوههم سواد ولا كآبة بخلاف أهل النار «أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ». الإنسان المسلم يدخل الجنة برحمة الله تبارك وتعالى وفضله، (لن يُدخل أحدكم عمله الجنة)[1]، بل برحمة الله تبارك وتعالى، ويتقاسمون درجاتها بأعمالهم، كلهم يترقى بقدر عمله، ويخلدون فيها بنياتهم، كل مسلم ينوي أن يبقى مؤمنا عابدا أبدا. والكافر يدخل النار بعدل الله تبارك وتعالى، وتقاسم الدركات في النار بحسب الأعمال السيئة، والخلود في النار بحسب النيات. (نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله)[2] «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» الإحسان هو الرجوع

الحسنى وزيادة". صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى (266).

1 – طرف من حديث رواه الشيخان: روى البخاري عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لن يدخل أحدا عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسنا فلعله أن يزداد خيرا وإما مسيئا فلعله أن يستعتب) صحيح البخاري: كتاب المرضى/ باب تمني المريض الموت (5673) وفي صحيح مسلم بلفظ آخر: كتاب صفة القيامة والجنة والنار/ باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى (5037). تقدم في الدرس 18.

2 – (نية المؤمن خير من عمله ونية الفاجر شر من عمله) رواه العسكري في الأمثال عن النواس بن سمعان، الجامع الكبير ج858/1

إلى حضرة الله تبارك وتعالى بترك ما سواه ومشاهدته باليقين والبرهان لا يغشى وجوههم «قتر» حجاب «ولا ذلة» الذل رؤية وجود العبد والإثنينية، «أولئك أصحاب الجنة» الحقيقية «هم فيها خالدون» من دخلها في الدنيا لم يشتق إليها في الآخرة ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ﴾ عملوا الشرك ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ من مانع عكس الذين سبقوا ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ﴾ ألبست ﴿وُجُوهُهُمْ قِطَعًا﴾ جمع قطعة أي جزء ﴿مِنَ الَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ عكس الذين سبقوا، العبد في نومة الغفلة ما دام لم يتوجه إلى الله تبارك وتعالى. الناس نيام فإذا ماتوا استيقظوا[1]، فإذا وقع الإنتباه وأُلهم العبد رشده يرجع إلى الله تبارك وتعالى، حالة العبد في الرجوع إلى الله تبارك وتعالى كحالة المنتبه من النوم، الإنسان ينام فإذا انتبه ذلك أول اليقظة للعبد للتذكر ونية السير إلى الله تبارك وتعالى، فيتحرك للوضوء ثم يريد الصلاة ويحرم بالتكبير، قطع مسافات الناسوت والملك والملكوت، فإذا ركع قطع مسافات من الجبروت إلى اللاهوت، فإذا سجد وصل إلى المطلوب "فاسجد واقترب". أفضل حركات العبد الصلاة كما أن أفضل سكناته الصيام، بهما يقطع العبد المسافة بينه وبين الله تبارك وتعالى ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ الخلق ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ﴾ الزموا مكانكم ﴿أَنتُمْ﴾ تأكيد ﴿وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾ الأصنام ﴿فَزَيَّلْنَا﴾ ميزنا ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين كما في آية "يس" "وامتازوا اليوم أيها المجرمون" ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ لم تكونوا تعبدوننا ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا

---

1 – "الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا" من كلام علي كرم الله وجهه كما في نور الأبصار للشبلنجي ص81 وفي حاشيته ص163.

عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ ما كنا عالمين بعبادتكم لنا ﴿هُنَالِكَ﴾ ذلك اليوم ﴿تَبْلُواْ﴾ تختبر ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ ما قدمت من العمل ﴿وَرُدُّواْ إِلَى اللَّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ﴾ الثابت الدائم ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ عليه من الشركاء ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَنْ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ﴾ بالمطر ﴿وَالأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ﴾ الأسماع من خلقها ﴿وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ بين الخلائق ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ الكفار كانوا متفقين على أن الله هو خالق السماوات والأرض، وأنه هو الذي يرزق، هذا كلا يعلمونه بشهادة القرآن "ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله" إنما الكفر جاءهم من قبل النبوة فقط "ما هذا إلا بشر" لولا ذلك لكانوا مؤمنين كل ما نعتقده في جهة الألوهية فهم يعتقدونه ولكنهم كفروا بإنكار النبوة ﴿فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ فتؤمنوا ﴿فَذَلِكُمْ﴾ الفعّال لهذه الأشياء ﴿اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ الثابت ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ كيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البراهين ﴿كَذَلِكَ﴾ كما صرف هؤلاء عن الإيمان ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ﴾ كفروا وهي "لأملأن جهنم" أو هي ﴿أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ سواء ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّنْ يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ تصرفون عن عبادته مع قيام الدليل ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ بنصب الحجج وخلق الاهتداء ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ وهو الله ﴿أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي﴾ يهتدي ﴿إِلاَّ أَنْ يُهْدَى﴾ أحق أن يتبع أم الذي يقاد فقط ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد من اتباع ما لا يحق اتباعه ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ في عبادة الأصنام ﴿إِلاَّ ظَنًّا﴾ حيث قلدوا فيه آباءهم ﴿إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ فيما هو المطلوب منه العلم ﴿إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم عليه ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْءَانُ أَنْ يُفْتَرَى﴾ افتراء ﴿مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أنزل تصديقا لما قبله من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ تبيين ما كتبه الله من الأحكام وغيرها ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ اختلقه محمد ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء فإنكم عرب فصحاء مثلي ﴿وَادْعُواْ﴾ للإعانة عليه ﴿مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فلما لم يقدروا أن يأتوا بمثله علموا أنه من عند الله تبارك وتعالى، أو وجب أن يعلموا أنه من عند الله ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ﴾ كذبوا بالقرآن ولم يتدبروه ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ عاقبة ما فيه من الوعيد ﴿كَذَلِكَ﴾ التكذيب ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ بتكذيب الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فكذلك نهلك هؤلاء ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أهل مكة ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ لعلم الله ذلك منه ﴿وَمِنْهُم مَّن لاَّ يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ تهديد لهم ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ لكل جزاء عمله ﴿أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا منسوخ بآية السيف ﴿وَمِنْهُم مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت، اجتمع نفر من قريش فيهم أبو جهل وفيهم أبو سفيان وغيرهم عتبة وشيبة فقالوا: هل تسمعون ما يقول محمد؟ قالوا إنهم لم يسمعوا شيئا ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ شبههم بهم في عدم الانتفاع بما يتلى عليهم ﴿وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ لا يتدبرون ﴿وَمِنْهُمْ﴾ كفار قريش ﴿مَنْ يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ شبههم بهم في عدم الاهتداء بل أعظم "فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَنْ﴾ كأنهم ﴿لَمْ يَلْبَثُواْ﴾ في الدنيا أو القبور ﴿إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾

لهول ما رأوا ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ عندما بعثوا يعرف كل أحد أخاه إذا لقيه ثم ينقطع التعارف لشدة الأهوال ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ به من العذاب في حياتك فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ مطلع ﴿عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ من تكذيبهم وكفرهم فيعذبهم أشد العذاب ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم ﴿رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ الله تبارك وتعالى بعدله بعث الرسل، كل أمة لهم رسول يدعوهم فإذا كذبوه قضي بينهم بالقسط بالعدل يعذبون وينجي الرسول ومن صدقه ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا﴾ أدفعه ﴿وَلاَ نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يقدرني عليه، فكيف أملك لكم حلول العذاب ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة معلومة لهلاكهم ﴿إِذَا جَا أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ﴾ يتأخرون ﴿سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ يتقدمون ﴿قُلْ أَرَأيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا﴾ ليلا ﴿أَوْ نَهَارًا مَّاذَا﴾ أي شيء ﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾ العذاب ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ حل بكم ﴿ءَامَنتُم بِهِ﴾ تؤمنون بعد وقوع العذاب وذلك لا ينفع، فيقال لهم ﴿ءَالآنَ﴾ تؤمنون ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ استهزاء ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ﴾ ما تجزون ﴿إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ جزاء ما كنتم تكسبون ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ﴾ يستخبرونك ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ ما وعدتنا به من العذاب والبعث ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي﴾ نعم ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ﴾ جميعا من الأموال ﴿لاَفْتَدَتْ بِهِ﴾ من العذاب يوم القيامة ﴿وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ﴾ على ترك الإيمان ﴿لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ﴾ أخفاها رؤساؤهم عن الضعفاء الذين أضلوهم مخافة التعيير ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الخلائق ﴿بِالْقِسْطِ وَهُمْ

لاَ يُظْلَمُونَ﴾. لما دخل أهل النار النار ندموا ندامة الأبد. الندامة أربعة أقسام: ندامة يوم وندامة عام وندامة العمر وندامة الأبد، ندامة يوم من بكر للسفر فأعطي الطعام فامتنع من الأكل فإذا سافر ولم يجد طعاما ندم يومه وقال: وددت لو أني أكلت قبل خروجي، وهذه ندامة صغيرة، يوم واحد؛ وندامة العام من تأخر عن بذر الزرع يندم وقت الحصاد إلى العام القابل؛ وندامة العمر من تزوج بامرأة سوء يندم طول حياته؛ وندامة الأبد هي التي تقع لأهل النار يندمون أبدا تلك هي الندامة[1].
﴿أَلاَ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَلاَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الله تبارك وتعالى يحيي في الدنيا والآخرة ويميت وترجعون في الآخرة إليه فيجازيكم بأعمالكم ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ﴾ أهل مكة ﴿قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ كتاب فيه ما لكم وعليكم وهو القرآن، وصف القرآن بأنه موعظة يدعو الناس إلى ما فيه خير الدارين فمن امتثل أمره نجا ومن خالفه هلك ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ ويهدي التالين إلى العقائد الصحيحة فينجون من العقائد الفاسدة والشكوك ﴿وَهُدًى﴾ يهديهم ينقذهم من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ هذه الشريعة والطريقة والحقيقة. القرآن جاء موعظة من ربكم، هذه شريعة، وشفاء لما في الصدور وهدى، هذه طريقة، ورحمة للمؤمنين، هذه حقيقة ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ الإسلام ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾ القرآن ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ فليفرح أمة محمد صلى الله عليه وسلم بفضل الله الذي هو الإسلام، ورحمته التي هي القرآن، يفرحوا بذلك الذي من عند الله تبارك وتعالى هو خير مما جمعوا من الأعمال والأقوال. الناس في النعم على أقسام: منهم من يفرح

---

1 - ذكرها البروسوي في تفسيره روح البيان ج189/1.

بالنعمة لأنها ملائمة لشهواته وهوى نفسه، ومنهم من يفرح بالنعمة لصدورها من الله تبارك وتعالى ومنهم من يفرح بالله تبارك وتعالى بقطع النظر عن النعمة. بنو إسرائيل ذكّرهم الله تبارك وتعالى "اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم" ذكّرهم بالنعمة وذلك مقامهم لا يفرحون إلا بالنعمة، لا يجدون الفرح بالمنعم. وأمة محمد صلى الله عليه وسلم «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا». هم يفرحون بكون النعمة صادرة من الله تبارك وتعالى، فرحوا بذلك وخواص الخواص منهم يفرحون بالله فقط "قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون" وهو ما سوى الله تبارك وتعالى. والناس في الشكر أيضا كذلك أقسام: منهم من يشكر النعمة ومنهم من يشكر المنعم ومنهم من يشكر دائما ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ خلق ﴿لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً﴾ كالبحيرة والسائبة والميتة ﴿قُلْ ءَاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ الله أذن لكم في ذلك التحريم والتحليل؟ لا، ﴿أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ بل تكذبون على الله تبارك وتعالى ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أي شيء ظنهم به ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أيحسبون أنه لا يعاقبهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ بإمهالهم والإنعام عليهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ وَمَا تَكُونُ﴾ يا محمد ﴿فِي شَأْنٍ﴾ أمر ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ﴾ من الشأن أو الله ﴿مِن قُرْءَانٍ﴾ أنزله عليك ﴿وَلاَ تَعْمَلُونَ﴾ خاطبه وأمته ﴿مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ رقباء ﴿إِذْ تُفِيضُونَ﴾ تأخذون ﴿فِيهِ﴾ العمل ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ يغيب ﴿عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ وزن ذرة أصغر نملة ﴿فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ العبد إذا لم يجد مقام المراقبة العليا الذي هو (أن تعبد الله كأنك تراه)[1] تلك هي

1 – طرف من حديث سبق تخريجه في هامش الصفحة الثانية من هذا الدرس.

المراقبة، شدة حضور القلب مع الله تبارك وتعالى كأن العبد يراه. إن لم يجد هذا يجد مراقبة صغرى هي علمه باطلاع الله تبارك وتعالى على كلية العبد دائما لا يخفى منه شيء هذا مقام في المراقبة أيضا وهذه الآية لأهل المراقبة «وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ» من استحضر هذا امتثل أمر الله واجتنب نواهيه، فإن الإنسان إذا قدر أنه يعمل فاحشة وقدّر أن أكبر من يعرف من كبراء بلده مطلع عليه لابد أن ينزجر، فإذا قدّر أن الكبير المتعالي مطلع عليه فذلك أزجر له. كانت امرأة من الصالحين أتاها رجل سوء يراودها عن نفسها قالت له حتى تغلق الأبواب كلا، حتى لا يرانا أحد، فقام الرجل وغلق جميع الأبواب، فأتى إليها قالت: بقي بابان. قال: أين هما غلقت جميع الأبواب؟ قالت: لا، بقي الباب بيننا وبين الله والباب بيني وبينك، إن فعلنا هذه المعصية أنا شاهدتك عليها وأنت شاهدتني عليها، والله تبارك وتعالى شاهد، هذان البابان لابد أن تغلقهما قبل أن تفعل شيئا، هذا ما يمكن، ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة أولياء الله لا خوف عليهم، الخوف مما تتوقع في المستقبل، والحزن مما مضى، الولي ليس له خوف في مستقبله ولا حزن فيما مضى. من هم ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ يتقون الله بامتثال أمره ونهيه ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فسرت في حديث صححه الحاكم بالرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له[1] ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾ بالجنة والثواب ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ لا خلف

1 – أخرج الحاكم في المستدرك عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه

لمواعيده ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ذكَر الأولياء، الله تبارك وتعالى ليس له قرابة وليس له جنس وليس له وطن ولكن له أولياء، وأولياء الله تبارك وتعالى المتقون فقط، والتقوى امتثال الأمر واجتناب النهي باختصار في الظاهر والباطن فعلى هذا أولياء الله على قسمين: أولياء الله بالولاية الصغرى، وأولياء الله بالولاية الكبرى، الولاية الصغرى كل من تخلق بخلق مدحه القرآن كالصبر والزهد والصلاة والإنفاق، كل خلق مدحه القرآن من تخلق به فهو ولي من أولياء الله تبارك وتعالى، هؤلاء أولياء الشريعة، وتلك هي الولاية الصغرى، أولياء الله هم المتقون وإليه يشير قول أبي حنيفة: إذا لم يكن العلماء أولياء الله فليس لله من ولي[1]. والولاية الكبرى من عرف الله تبارك وتعالى معرفة فوق الإيمان وفوق الإيقان بل معرفة المشاهدة والعيان، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ومفتاح هذا كلا هو التقوى. التقوى مفتاح جميع المطالب للعبد، كما يملي علينا القرآن: فإن العبد إن كان طالب علم فالله يقول "واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم" أو طالب ولاية "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون" أو طالب الجنة "أعدت للمتقين" أو طالب النجاة من النار "ثم ننجى الذين اتقوا" بعدَ "وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا" سمع هذا يهودي وقال إن كان هذا حقا فنحن وأنتم المسلمون سواء كلنا في النار. قال له عالم: "ثم

وسلم عن قول الله عز وجل: "لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة" قال: (هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له). قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. المستدرك: كتاب التفسير/ تفسير سورة يونس/ شرح آية "لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة" (3351).

1 – الصاوي في حاشيته على الجلالين ج195/2.

ننجى الذين اتقوا" نحن ينجينا التقوى وأنتم تبقون في النار[1]. فعرف الفرق بينهما، النجاة من النار إنما تنال بالتقوى. أو كان العبد له أعداء يكيدونه "إن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا" أو طالب العقبى "والعاقبة للمتقين" أو كان العبد في شدائد يحب الفرج منها "ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب" أو أراد التيسير في أموره كما أردنا جميعا "ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا" أو أراد البشرى في الدنيا والآخرة "لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة" أو أراد محبة الله "إن الله يحب المتقين" أو أراد الكرم "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" هذا مفتاح مطالبنا جميعا. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (إن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانهم من الحق أو لقربهم من الحق، قال له أعرابي: صفهم لنا يا رسول الله، قال: ناس من أبناء الناس اجتمعوا في الله، ليس لأرحام جمعتهم، ولا لأموال يتقاسمونها، بل اجتمعوا في ذات الله، يتجالسون في الله، ويتزاورون في الله، ويتباذلون في الله، هم الذين لهم الأمن عندما يحزن الناس)[2]. المتحابون في الله، المتحابون في الله ينصب لهم منابر من نور ويظلون تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، وظل العرش يستظل تحته سبعة: الإمام العادل،

---

[1] – روح البيان ج42/3.

[2] – أخرج أبو داود في سننه عن عمر بن الخطاب قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى) قالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم قال: (هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم على نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ هذه الآية "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون". سنن أبي داود: كتاب البيوع/ باب في الرهن (3060) وانفرد به. تقدم في الدرس21.

والشاب الذي نشأ في عبادة الله، والمتحابان في الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يرجع إليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه بالدموع، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تصدقت به يمينه، هؤلاء سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله[1]. أيسر هذه الخصال المحبة في الله (المرء مع من أحب)[2] (أنت مع من أحببت)[3]. أولياء الله ليسوا بقبيلة ولا جنس، إنما كل من أحب الله وأطاعه يدخل

---

1 - ورد في الصحيحين واللفظ لمسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل وشاب نشأ بعبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تصدقت به يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه). صحيح مسلم: كتاب الزكاة/ باب فضل إخفاء الصدقة (1712). وفي صحيح البخاري: كتاب الأذان/ باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد (660).

2 - أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المرء مع من أحب) صحيح البخاري: كتاب الأدب/ باب علامة حب الله عز وجل (6168) ولمسلم: عن أبي وائل عن عبد الله قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف ترى في رجل أحب قوما ولما يلحق بهم؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المرء مع من أحب). صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والأدب/ باب المرء مع من أحب (4779). تقدم في الدرسين 10 و11.

3 - أخرج البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال: متى الساعة؟ قال: وماذا أعددت لها؟ قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فقال: (أنت مع من أحببت) قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت، قال أنس فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم. صحيح البخاري: كتاب المناقب/ باب مناقب عمر بن الخطاب (3688). وفي صحيح مسلم بلفظ فإنك مع من أحببت. كتاب البر والصلة والآداب/ باب المرء مع من أحب (4777).

في هذا. قال سلمان الفارسي يوما، وهو يمازح المصطفى صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي ما جعل الأمر بيدك، لو كان الأمر بيدك لجعلته لأبي طالب وأبي لهب، ولكن لما كان الأمر بيد الله أنا من فارس وصهيب هذا من الروم وبلال من الحبشة شممنا هذا الطيب الفائح الذي هب منك، وزكم عنه أبناء عمك وأعمامك، الحمد لله هذا دليل على أن الأمر بيد الله ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ﴾ لا خلف لمواعيده ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذه البشرى فقال: (مضت النبوة، و لم تبق إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح لنفسه أو ترى له)[1] والرؤيا جزء من ستة وأربعين جزء من النبوءة[2] وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم بُعِث وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وهاجر إلى المدينة ومكث عشر سنوات، مدة النبوة ثلاث وعشرون سنة، ستة أشهر منها كانت النبوة تأتي مناما. وستة أشهر نسبتها من ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزء من النبوءة. هذا معنى الرؤيا كما أن شُعَب الإيمان ستة وسبعون جزء أعلاها لا إله إلا الله محمد رسول الله وأدناها

---

1 – أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة) صحيح البخاري: كتاب التعبير/ باب المبشرات (6990) ولمسلم من حديث ابن عباس (أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له...الحديث) صحيح مسلم: كتاب الصلاة/ باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود (738).

2 – أخرج الشيخان عن أنس بن مالك عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة) متفق عليه، صحيح البخاري: كتاب التعبير/ باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة (6987) وفي صحيح مسلم: كتاب الرؤيا/ (4201).

إماطة الأذى عن سبيل المسلمين[1]. الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له، الرجل الصالح لا يخرج من الدنيا حتى يرى مقعده في الجنة أو يرى له، هذه هي البشرى. أما النبوءة فقد انقضت وبقي الإلهام. لما أغلق باب النبوءة فتح الله باب الولاية. فالأولياء رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم، ولكن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم موجودون (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[2] (العلماء ورثة الأنبياء)[3] لتقوم الحجة على بقية الأمة ﴿وَلاَ يُحْزِنكَ قَوْلُهُمْ﴾ لك لست مرسلا أو غيره ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ القوة لله ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ الله هو المعز وهو المذل، من تعزز بغير الله ذل، من أراد العزة فليتعزز بالله تبارك وتعالى، وذلك أن يعرف نفسه، (من عرف نفسه عرف ربه)[4] من عرف

---

1 - أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان) صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب بيان عدد شعب الإيمان وأعلاها وأدناها (51) وذكر ابن حجر في فتح الباري أن لابن عوانة في صحيحه من طريقٍ: ست وسبعون أو سبع وسبعون. فتح الباري ج52/1.

2 - (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل) أخرجه الزيلعي في كشف الخفاء: حرف العين المهملة/ حديث رقم (1744). تقدم في الدرس 14.

3 - (العلماء ورثة الأنبياء) طرف من حديث أخرجه الترمذي وأبو داود كلاهما عن أبي الدرداء. سنن الترمذي: كتاب العلم/ باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (2606)، وفي سنن أبي داود: كتاب العلم/ باب الحث على طلب العلم (3157). تقدم في الدروس: 10، 13، 19 و23.

4 - (من عرف نفسه فقد عرف ربه) أخرجه الزيلعي في كشف الخفاء/ باب حرف الميم حديث رقم 2532 وقال معلقا عليه:

وذكر بعض الأصحاب أن الشيخ محي الدين قال هذا الحديث وإن لم يصح من طريق الرواية فقد صح عندنا من طريق الكشف. وللحافظ السيوطي فيه تأليف لطيف سماه "القول الأشبه في حديث من عرف

نفسه بالذلة عرف ربه بالعزة، من عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقوة والقدرة، من عرف نفسه بالبخل عرف ربه بالكرم. كل صفة ترجع إلى الله تبارك وتعالى يبقى العبد خاليا منها، فإذاً الصفات كلا لله تبارك وتعالى، إذا اتصف الله بصفاته بقي العبد ليس عنده شيء من الخير، فلهذا يرى أهل الفضل أنهم ليس عندهم شيء من الخير ﴿أَلاَ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ﴾ عبيدا وملكا وخلقا ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ غيره أصناما ﴿شُرَكَاءَ﴾ به على الحقيقة ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلاَّ الظَّنَّ﴾ ظنهم أنها آلهة تشفع لهم ﴿وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ذلك ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ الله خلق الليل والنهار إذا باشرنا الأعمال طول النهار نسكن في الليل، وإذا أتى النهار نشتغل بمعايشنا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على وحدانيته تبارك وتعالى ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر ﴿قَالُواْ﴾ اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قال تعالى ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له عن الولد ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن كل أحد، وإنما يطلب الولد من يحتاج إليه، الله تبارك وتعالى رد على من ادعى أنه اتخذ ولدا بأنه هو الغني، الذي أحوجنا نحن إلى الولد هو الذي أغنى مولانا عن الولد. فقدان الولد نقص في جانبنا، والولد نقص في جانب الحق تبارك وتعالى، لأننا كلنا يسعى مساعي طول حياته يحب أن يجد ولدا يكون ثانيه في كل مساعيه، وكلنا ينتظر الموت، وإذا مات أحدنا يحب أن يبقى ولده في محله يقوم بمساعيه بعده. إذا كان هذا هو حاجتنا في الولد فما لله وللولد؟ هو غني لا

نفسه فقد عرف ربه" وقال النجم قلت وقع في أدب الدين والدنيا للماوردي عن عائشة: سئل النبي صلى الله عليه وسلم من أعرف الناس بربه قال أعرفهم بنفسه. وأورده الإمام الغزالي في الدلائل ج5 ص159 بدون تخريج.

يحتاج إلى أحد يعينه في شيء، وهو حي باق أبدا، لا يحتاج لولد يبقى بعده وارثا له ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ حجة ﴿بِهَذَا﴾ تقولون إن لله ولدا ولكن ما عندكم حجة ﴿أَتقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ استفهام توبيخ ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾ لا يسعدون لهم ﴿مَتَاعٌ﴾ قليل ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ متاع الدنيا قليل ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ ويرجعون إلى الله تبارك وتعالى ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ﴾ بعد الموت ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾ الدنيا سماها الله متاعا وهو متاع قليل، ودعانا إلى الآخرة لأنها خير وأبقى "والآخرة خير وأبقى" شيء يبقى أفضل من شيء يفنى، ودعا خواص الخواص منا إلى حضرة الله تبارك وتعالى والله خير وأبقى، منهم من مال إلى الدنيا "فمنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق" "ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب" ومنهم من يريد الآخرة "ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا" ومنهم من يريد الله تبارك وتعالى والله خير وأبقى. والإنسان على كل حال يموت ولو طالت به الحياة. تمنى واحد ما لبني إسرائيل: هنيئا لبني إسرائيل هذه الأعمار الطويلة تسعمائة عام ثمانمائة عام ألف عام، لو عمرنا هذه الأعمار. قال عمر بن عبد العزيز: ما أظنك إلا جئت بشيء كبير إن الله تبارك وتعالى ما يريد من أمة محمد أن تيبس جلودهم على عظامهم ويبقوا أبدا بما لا فائدة لهم فيه، ولكن رب مدة عمر قصيرة أيامها وطويلة أمدادها، فإذا كثرت الأمداد طال العمر أو قصر فقد حصل المراد، وإذا طال العمر وقلت الأمداد ليس في هذا فائدة، والموت لا بد منه لا يمنع منه شيء. لا ينفع فيه العلم، علم آدم ولكن علمه ما منعه من الموت، "واتخذ الله إبراهيم خليلا" وخلة إبراهيم ما منعته من الموت "وكلم الله

موسى تكليما" قربة موسى ما منعته من الموت، والملك لا ينفع فيه، كان سليمان وداود ملِكين، والجمال لا ينفع فيه مات يوسف وجماله لم ينفعه فيه، حتى المحبة لا تنفع فيه، محمد حبيب الله مات، والمال لا ينفع فيه، لو كان ينفع فيه لنفع قارون، إذاً الدنيا متاع قليل لابد من الموت "والآخرة خير وأبقى" والله خير وأبقى. السورة إذا نزلت في مكة لابد أن يأتي فيها قصص الأنبياء وذلك تعريض لقريش أن هؤلاء الأمم لما كذبوا الأنبياء أهلكهم الله وأنتم بتكذيبكم لمحمد صلى الله عليه وسلم ستهلكون، يأتي في قصة نوح أول الأنبياء أنبياء الشرائع[1] ﴿وَاتْلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ كفار مكة ﴿نَبَأَ نُوحٍ﴾ خبر نوح ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ﴾ شق ﴿عَلَيْكُم مَّقَامِي﴾ لبثي فيكم ﴿وَتَذْكِيرِي﴾ وعظي إياكم ﴿بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ﴾ اعزموا على أمر تفعلونه بي ﴿وَشُرَكَاءكُمْ﴾ مع شركائكم ﴿ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ مستورا أظهروه وجاهروني به فإني لا أبالي بكم ﴿ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ﴾ امضوا فيما أردتموه ﴿وَلاَ تُنظِرُونِ﴾ لا تمهلوني فإني لست مباليا بكم أبدا، أولو العزم من الرسل، هذه الثقة بالله تبارك وتعالى ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ ثواب عليه فتولوا ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ السفينة ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أي نوحا ومن معه ﴿خَلاَئِفَ﴾ في الأرض ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ بالطوفان ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ من إهلاكهم فكذلك نفعل بمن كذبك يا محمد صلى الله عليك وسلم. هذه ثمرة القصة، لما

1 – قال القرطبي في تفسيره إنه أول من نسخ الشرائع ج64/4، وفي قصص الأنبياء قال: أول نبي من أنبياء الشرائع ص36.

أهلك هؤلاء فستهلكون أنتم يا أولاد قريش ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ﴾ نوح ﴿رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ بعد نوح إبراهيم وهود وصالح ﴿فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ﴾ قبل بعث الرسل إليهم ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ فلا تقبل الإيمان كما طبعنا على قلوب أولئك ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى﴾ بعد جماعة من الرسل كإبراهيم وهود وصالح أرسل الله نبيه موسى ﴿وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ﴾ الوليد بن مصعب بن الريان ﴿بِآيَاتِنَا﴾ التسع، بتسع آيات تقدمت في سورة الأعراف[1] ﴿فَاسْتَكْبَرُواْ﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ سحر فقط موسى ساحر ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ إنه لسحر ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾ تظنون أن هذا سحر وقد أفلح من أتى به وأبطل سحر السحرة ﴿وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ الاستفهام للإنكار ﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾ تردنا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ﴾ الملك ﴿فِي الأَرْضِ﴾ في أرض مصر ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ عادة أبناء الدنيا يتهمون الدعاة إلى الله تبارك وتعالى بحب الدنيا وحب الملك وحب الرئاسة. موسى ما جئت تريد أن تصرفنا عما كان عليه آباؤنا إلا تحب أن تكون ملكا له الكبرياء، تكون متبوعا ونحن أتباعا، ولكن نحن لا نقبل هذا أبدا ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ فائق في علم السحر ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى﴾ بعدما قالوا له "إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين" ﴿أَلْقُواْ مَا أَنتُم مُّلْقُونَ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ﴾ حبالهم وعصيهم ﴿قَالَ مُوسَى مَا

---

1 – تقدمت في الدرس التاسع عشر. والآيات التسع هي العصا واليد البيضاء والسنون المجدبة، والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس، وكلها مسطورة في سورة الأعراف إلا الطمس في سورة يونس.

جِئْتُم بِهِ﴾ أي شيء استفهام ﴿السِّحْرُ﴾ ما جئتم به إلا السحر ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ سيمحقه ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ وَيُحِقُّ اللَّهُ﴾ يثبت ﴿الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ بمواعيده ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ فمكث موسى أربعين سنة ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ﴾ طائفة ﴿مِنْ﴾ أولاد ﴿قَوْمِهِ﴾ ما آمن إلا قليل من أولاد القبط ﴿عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ﴾ خوفا من فرعون ﴿وَمَلَإِيْهِمْ أَنْ يَّفْتِنَهُمْ﴾ كان كل من آمن يجعله في حبسه يضرب حديدا في يديه وفي قدميه ويجعل رحى من الحديد على صدره ويتركه مقابل الشمس لا يأكل ولا يشرب حتى يموت[1] ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾ متكبر ﴿فِي الأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين الحد بادعاء الربوبية، بغى وطغى حتى ادعى الألوهية ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ فَقَالُواْ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قبل أن يدعوا الله تبارك وتعالى قدموا التوكل على الله، ثقتهم بالله تبارك وتعالى فطلبوا من الله هذا الطلب «لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين» ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة[2]، إذا توكل العبد على الله حق التوكل وطلب الله

---

1 - انظر القرطبي ج154/15، وفي ج48/20.

2 - أخرج أحمد في مسنده عن ابن عباس قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا غلام أو يا غليم ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، فقلت بلى، فقال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن، ولو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا. مسند أحمد: مسند بني هاشم/ مسند عبد الله بن عباس (2666).

تبارك وتعالى مضطرا إليه، فإن الله يستجيب له في أسرع مدة، ولكن إذا كان القلب لم يتوكل على الله بأن يقول اللسان: يا الله والقلب معتمد على غير الله، فكأنه لم يسأل الله، لابد من ثقة القلب بالله فيكون الدعاء متوجها إلى الله تبارك وتعالى. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا﴾ اتخذا ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أوحى الله إلى موسى أن كل من كان من أتباعه الذين آمنوا به يجعل مصلى في داره، كلهم يتخذ شبه مسجد في داره لتأمنوا من الخوف، وكان فرعون منعهم من الصلاة، فكلهم اتخذ مصلى في بيته وصار يصلي فيه ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾ أتموها ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر والجنة ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا﴾ آتيتهم ذلك ﴿لِيُضِلُّواْ﴾ في عاقبته ﴿عَن سَبِيلِكَ﴾ دينك ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ امسخها ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ اطبع عليها واستوثق ﴿فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ صار لا يحب إيمانهم، دعا عليهم أن لا يؤمنوا حتى يأتيهم العذاب وأن الله يمسخ جميع ما أعطاهم، فمسخت أموالهم جميعا صارت كلا حجارة، الذهب والفضة والثياب والطعام والشراب كلها تحولت حجارة، هذا لولا أنه استجيب فيهم «واشدد على قلوبهم» لآمنوا ولكن شدد الله على قلوبهم، طبع عليها فلم يدخل الإيمان في قلوبهم حتى ينزل عليهم العذاب، حتى الخباز يخبز خبزه في التنور فتحول في يده حجارة، هذه تاسعة الآيات. كان موسى يدعو على فرعون وقومه وهارون يؤمّن على دعائه، فلهذا ورد: المؤمّن أحد الداعيين[1]، إذا دعوت وأمّن أخوك فكلاكما داع ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ استجاب الله دعوتهما فمسخت أموالهم

1 – حاشية الصاوي على الجلالين ج201/2.

حجارة، ولم يؤمن فرعون حتى أدركه الغرق ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ على الرسالة والدعوة والدعاء أيضا إلى أن يأتيهم العذاب ﴿وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ في استعجال قضائي، روي أنه مكث بعدها أربعين سنة، بعدما استجاب الله دعوة موسى بهلاك فرعون بقي فرعون أربعين سنة[1] ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ﴾ لحقهم ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُ﴾ بأنه ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي ءَامَنَتْ بِهِ بَنُواْ إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ كرره ليُقبل منه فلم يُقبل منه، ودس جبريل في فيه من حمأة البحر مخافة أن تناله الرحمة. ويروى أن موسى عليه الصلاة والسلام خرج إلى الميقات يدعو على فرعون فلما دعا قيل له "قد أجيبت دعوتكما" سيهلك فرعون ولكن بعد أربعين سنة فرجع موسى، فسبق إليه الشبان في وسط الطريق قالوا له: ما فعل الله بك؟ قال: استجاب دعوتي سيهلك فرعون بعد أربعين سنة، قالوا جميعا: الحمد لله، فنقص الله منها عشر سنوات، فلما قرب من القرية لقيه الكهول قالوا له: ما فعل الله بك؟ قال: استجاب دعوتي وسيهلك فرعون بعد أربعين سنة، قالوا: الحمد لله، فأسقط الله عشر سنوات، فلما وصل إلى القرية تلقاه الضعفة من الجيران الذين عجزوا عن الخروج مع الناس قالوا: ما فعل الله بك؟ قال: استجاب دعوتي، وسيهلك فرعون بعد أربعين سنة، قالوا: الحمد لله، فلما وصل إلى البيوت أتاه الزمنى والشيوخ والمرضى الذين عجزوا عن الخروج قالوا له: ما فعل الله بك؟ قال: استجاب الله دعوتي وسيهلك فرعون بعد أربعين سنة، فرفع الله عشر سنوات الباقية، وقع العذاب في تلك الليلة. في تلك الليلة أوحى الله إلى موسى أنه يخرج ببني إسرائيل

---

[1] - تفسير الجلالين ج201/2، وفي تفسير ابن كثير ج403/2.

فخرج بهم فلما توسطوا الطريق لحقهم فرعون بجنوده قالوا: "إنا لمدركون" قال موسى: "كلا إن معي ربي سيهدين" وقال من تقدم: أمامنا بحر لا ينجي منه إلا السفينة، فأُمِر بضرب البحر بعصاه فضربه فانفلق، وجدوا اثني عشر طريقا كل سبط لهم طريق خاص بهم فتجاوزوا البحر، فلما جاوزوا البحر أتى فرعون وقومه وسلكوا الطرق حتى سلكوا جميعا فطبق الله البحر عليهم، كان فرعون لذكائه يريد إذا غرق الناس أن يرجع هو، فلما غرق الناس أراد أن يرجع وكان ركب جوادا ذكرا مولعا فلما هم بالرجوع تحول جبريل رمكة فوقف فوق البحر فطار جواد فرعون إليه فلما جاء أخذه جبريل وأغرقه في البحر وقال هذه الكلمة التي تضمنت الإيمان ثلاث مرات: آمنت هذه صيغة في الإيمان، لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، وأنا من المسلمين، ولكن كل هذا لم ينفعه لأنه ليس في وقت التوبة، وقت الغرغرة. كان فرعون دخل عليه جبريل يوما يستفتيه، قال له: أيها الملك عبد أنعم عليه سيده وأعطاه كثيرا من المال وأغرقه في النعم فصار يجحد نعمته ويدعي السيادة معه، ما حكم هذا العبد؟ قال له فرعون: حكم هذا العبد أن يغرّق في البحر. قال: أيها الملك اكتب لي هذه الفتوى، فكتب فرعون: يقول أبو الوليد إن حكم العبد الذي جحد نعمة سيده وادعى السيادة معه حكمه أن يُغرَّق في البحر، وكتب أبو الوليد. فلما أغرق في البحر رفع جبريل الفتوى وقال له: هذا حكمك[1]. ويروى أنه لما قال هذه الكلمة أوحى الله إلى جبريل: إن ردد هذه

---

1 – راجعها في تفسير القرطبي ج8/378.

الكلمة لحقته الرحمة، فأخذ جبريل حمأة وملأ فمه وأسكته فغرق وهلك[1] وقيل له ﴿ءَالآنَ﴾ تؤمن ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بضلالك وإضلالك عن الإيمان. فغرق فرعون وقومه ونجا بنو إسرائيل مع موسى. فبنو إسرائيل من شدة خوفهم من فرعون ما صدقوا موسى لما قال لهم إن فرعون قد غرق في البحر، قالوا: لم يغرق فرعون في البحر أبدا سيرجع ويعذبنا أيضا. فأمر الله البحر فألقى بدن فرعون فخرج من البحر إلى الساحل، فشاهدوا جسده الذي لا روح فيه[2] كأنه عجل أحمر لهذا يقول ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ نخرجك من البحر ﴿بِبَدَنِكَ﴾ جسدك الذي لا روح فيه ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾ بعدك ﴿ءَايَةً﴾ عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا يقدموا على مثل فعلك. أنجاه الله من البحر أنجى بدنه حتى رآه بنو إسرائيل ليكون ذلك عبرة، أو أنجى الله بدنه ليكون عبرة لمن يأتي بعد من الأمم. دائما الوقائع تجدد لنا الفهوم في القرآن، أنا شاهدت بدن فرعون زيارتي إلى مصر، هو موجود الآن ببدنه في مصر فتلوت هذه الآية «فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن

---

1 – أخرج الترمذي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لما أغرق الله فرعون قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل. فقال جبريل: يا محمد لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر وأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ باب ومن سورة يونس (3032)، وفي مسند أحمد: مسند بني هاشم/ بداية مسند عبد الله بن عباس (2681)

2 – قال ابن عباس وغيره من السلف إن بعض بني إسرائيل شكوا في موت فرعون فأمر الله تعالى البحر أن يلقيه بجسده سويا بلا روح وعليه درعه المعروفة على نجوة من الأرض وهو المكان المرتفع ليتحققوا موته وهلاكه. ابن كثير/ ج432/2.

خلفك آية» بقاء بدنه إلى يومنا هذا مما يفسر لنا هذه الآية «فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية» موجود الآن في مصر[1].

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ لا يعتبرون بها ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أنزلنا ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ منزل كرامة وهو الشام خرجوا من البحر وملكوا الشام وبعد ذلك ملكوا مصر أيضا ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ﴾ بأن آمن بعض وكفر بعض ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين بإنجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين ﴿فَإِن كُنتَ﴾ يا محمد ﴿فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ من القصص فرضا ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾ فإنه ثابت عندهم يخبروك بصدقه. قال صلى الله عليه وسلم: (لا أشك ولا أسأل)[2] هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد الأمة، حيث أن من أراد أن يخاطب جماعة يخاطب الرئيس، والمخاطَب الرسول صلى الله عليه وسلم والمقصود نحن أما الرسول صلى الله عليه وسلم فليس في شك وليس في حاجة لأن يسأل أحدا، ولكن لما خوطب بهذا نكون نحن الأمة من باب أولى «فإن كنت» الخطاب متوجه إلى كل سامع إن كنت أيها السامع «في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك» ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ﴾ وجبت ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ وَلَوْ

---

1 – هنا أجاب مولانا الشيخ عن سؤال متعلق ببدن فرعون فقال: جلْد على عظام فقط أسود، لم ينسلخ الجلد من العظام ولكن يبس لم يبق إلا الجلد على العظام فقط.

2 – قال قتادة بن دعامة بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا أشك ولا أسأل) وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن البصري. ابن كثير ج433/2.

جَاءتْهُمْ كُلُّ ءايَةٍ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ فلا ينفعهم حينئذ ﴿فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ ما كانت قرية أريد هلاكها ﴿ءامَنَتْ﴾ قبل نزول العذاب ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ﴾ ما خلق الله أمة حل بهم العذاب فآمنوا وقت حلول العذاب فنفعهم ذلك الإيمان إلا قوم يونس ﴿لَمَّا ءامَنُواْ﴾ عند رؤية أمارة العذاب ولم يؤخروه إلى حلوله ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ ما وجد هذا إلا قوم يونس. يونس بن متى رسول أرسل في الموصل بالعراق، وكان ضيق الصدر، فلما وعظ قومه ولم يؤمنوا به، غضب عليهم وخرج مهاجرا قبل أن يؤذن له، وتوعدهم أنهم سيهلكون، فلما رأى قومُه أمارات العذاب رجعوا إلى الله تبارك وتعالى بالتوبة فكشف الله عنهم العذاب، فرأى يونس أنهم ما هلكوا وقد وعدهم أنهم سيهلكون بعد ثلاثة أيام، فلما مضى ثلاثة أيام ولم يهلكوا خرج عازما أنه لا يرجع إليهم بوجه كذاب، ركب في سفينة فلما توسطت السفينة البحر هاج بهم البحر حتى كادوا أن يغرقوا، فقال أهل السفينة: سفينتنا هذه ما وقع لها هذا قط إلا إذا ركب فيها عبد آبق، لابد أن نقترع هل فينا عبد آبق؟ فاقترعوا، فوقعت القرعة على يونس، قالوا: هذا ليس هو وقلبوا وكرروا مرارا وتكرارا فعادت القرعة عليه، فلما تكرر هذا ألقى نفسه في البحر علم أنه هو العبد الآبق، فلما ألقى نفسه في البحر وغرق ابتلعه الحوت وابتلعته حوتة أخرى فبقي في ظلمة الحوت الذي في بطن حوت آخر في ظلمات البحر، في وسط الليل، فلما سمع حيتان البحر يذكرون الله تبارك وتعالى قال: "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" فألقاه الحوت بالعراء "فنبذناه بالعراء وهو سقيم" فرجع وجسده كأنه كله قرح فأنبت الله الدباء تظله أوراقها ويأكل من ثمرها ويجد فيه طعم جميع الأطعمة، وإذا أصبح الصبح تأتيه ظبية فيرضع منها اللبن حتى يروى، ومساء كذلك

حتى نبت جسمه ورجع كما كان[1] فنام يوما واستيقظ فوجد الأرضة أكلت أصل شجرة الدباء فيبست، ففزع وشكا إلى الله تبارك وتعالى، فقال الله تبارك وتعالى تجزع من موت دباءة ولا تجزع من هلاك مائة ألف من البشر[2]، عاتبه الله وأرسله إليهم فآمنوا جميعا "فأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين" تلك قصة يونس وقومه. ما توجه الهلاك إلى قوم وانصرف عنهم ما هلكوا إلا قوم يونس. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ إيمان الجميع ليس هو مراد الله تبارك وتعالى، المراد تباين الحظوظ، منهم شقي ومنهم سعيد، ولو أراد إيمان الجميع لكانوا كلهم مؤمنين. الإيمان بمشيئة الله تبارك وتعالى ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ الرسول صلى الله عليه وسلم يحب أن يكون كل الناس مؤمنين، فخوطب: هل تقدر على إجبارهم على ذلك؟ لا، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ﴾ العذاب ﴿عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة ﴿انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي الذي في السماوات والأرض من الآيات الدالة على وحدانية الله تبارك وتعالى. أمرنا الله تبارك وتعالى بالتفكر فيما في السماوات وما في الأرض لم يقل: انظروا السماوات والأرض، لا، ما أمرنا بالنظر إلى السماوات لأنها غير وغيرية، إنما أمرنا أن ننظر إلى ما في السماوات والأرض، القوة التي في السماء من بداية الخلق إلى يومنا هذا، والسماء تسكنها الملائكة، وتجري فيها الشمس والقمر والنجوم وكلها

---

[1] - ذكر القصة جلال الدين المحلي في تفسير الجلالين عند قوله تعالى "وأنبتنا عليه شجرة من يقطين" ج347/3.

[2] - تفسير القرطبي ج128/15.

أجرام من النار، ويتخالف فيها الليل والنهار والحر والبرد والأمطار إلى يومنا هذا هل ترى من فطور؟ لا ترى شقوقا ولا شيئا بقيت بحالتها، انظروا تلك القوة التي أمدت السماء حتى بقيت هكذا. والأرض من بداية الخلق إلى يومنا وبنو آدم يسكنون فيها يبنون ويهدمون ويحرثون ويقلبون ويحفرون، والمطر ينزل والليل والنهار والشمس والقمر والبرد لا ترى ثقبة ولا فسادا في الأرض، بقيت كما كانت. نحن إذا أنشأنا بناية لا تمضي سنون قلائل حتى تجد فيها خرابا وتجد فسادا في كل جانب، وليس هذا في السماوات ولا في الأرض ألا تنظرون إلى ذلك؟ وقوة هذا الإنسان، هذا الصغير الذي يسيطر على جميع الأكوان، يفرح ويغضب، يعبد الله، يعصي الله، يتجبر، يكون شيطانا، يكون سبعا، يكون بهيمة، يكون ملكا، انظروا إلى هذا ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ ولكن الآيات وإن عظمت ليس لها موقع إلا في قلوب العارفين ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ﴾ بتكذيبك ﴿إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿قُلْ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ من العذاب ﴿كَذَلِكَ﴾ الإنجاء ﴿حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وعد الله تبارك وتعالى بإنجاء النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين تعذيب المشركين، وكذلك كل مؤمن صادق الإيمان فالله متكفل بنجاته ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ﴾ أهل مكة ﴿إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾ أنه حق ﴿فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ وهو الأصنام لشككم فيه ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ بقبض أرواحكم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ﴾ قيل لي ﴿أَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ مائلا إليه ﴿وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلاَ تَدْعُ﴾ تعبد ﴿مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ﴾ إن عبدته ﴿وَلاَ يَضُرُّكَ﴾ إن لم تعبده ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ ذلك فرضا ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ وَإِنْ يَّمْسَسْكَ﴾ يصبك ﴿اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ كفقر

ومرض ﴿فَلاَ كَاشِفَ لَهُ﴾ لا رافع له ﴿إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ﴾ دافع ﴿لِفَضْلِهِ﴾ الذي أرادك به ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ بالخير ﴿مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ﴾ أهل مكة ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن وبال ضلاله عليها ﴿وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ بجبار فأجبركم على الهدى ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ﴾ على الدعوة وأذاهم ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ فيهم بأمره ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعدلهم، وقد صبر الرسول صلى الله عليه وسلم حتى حكم على المشركين بالقتال وأهل الكتاب بالجزية.

سورة هود

عليه الصلاة والسلام

مكية إلا "وأقم الصلاة" الآية إلا أو "فلعلك تارك" الآية "وأولئك يؤمنون به" الآية،

مائة واثنتان أو ثلاث وعشرون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَر﴾ الله أعلم بمراده بذلك هذا ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ﴾ بعجيب النظم وبديع المعاني ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بينت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ الذي هو الله تبارك وتعالى ﴿أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ﴾ بالعذاب إن كفرتم ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالثواب إن آمنتم. الأنبياء دعوقم واحدة فلهذا من آمن بواحد آمن بالجميع ومن كفر بواحد كفر بالجميع ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾ أمر الله تبارك وتعالى عباده بالاستغفار. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (طوبى لمن وجد في صحيفته

استغفارا كثيرا)[1] وأفضل صيغ الاستغفار سيد الاستغفار: (اللهم أنت ربي وأنا عبدك لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وعلى عهدك ووعدك ما استطعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)[2] هذا سيد الاستغفار من قاله في يوم ومات في ذلك اليوم دخل الجنة ومن قاله في ليلة ومات في تلك الليلة دخل الجنة. لا يزال عبدي يستغفر ولا أزال أغفر له ما استغفرني[3]. وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة)[4] حديث رواه أبو بكر وهو قليل الأحاديث «وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه» ارجعوا إلى الله تبارك وتعالى ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا﴾ هو الدنيا ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو الموت، سمى الدنيا متاعا حسنا، والدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا

---

1 – أخرج ابن ماجه في السنن عن عبد الله بن بسر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: (طوبى لمن وَجد في صحيفته استغفارا كثيرا) سنن ابن ماجه: كتاب الأدب/ باب الاستغفار (3808).

2 – أخرج البخاري في صحيحه عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) قال ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة. صحيح البخاري: كتاب الدعوات/ باب أفضل الاستغفار (6306)

3 – أخرج أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: قال إبليس أي رب لا أزال أغوي بني آدم ما دامت أرواحهم في أجسادهم قال (فقال الرب عز وجل لا أزال أغفر لهم ما استغفروني) مسند أحمد: مسند المكثرين/ مسند أبي سعيد الخدري (11304).

4 – (ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة) لأبي داوود عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وللترمذي عنه بلفظ "ولو فعله". سنن أبي داود: كتاب الصلاة/ باب في الاستغفار (1293)، وفي سنن الترمذي: كتاب الدعوات/ باب دعاء النبي (3482)

ذكر الله وما والاه[1]، ولكن ورد (نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح)[2] (الدنيا عند الصالحين مطية الآخرة)[3] فعلى هذا تسمى متاعا حسنا، أسواق الصالحين ومساجدهم ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ في الآخرة ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ تعرضوا ﴿فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هو يوم القيامة ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه الثواب والعذاب. ونزل كما رواه البخاري[4] فيمن كان يستحيي أن يتخلى أو يجامع فيفضي إلى السماء وكان يجعل ثوبا بينه وبين السماء لئلا يراه الله تبارك وتعالى ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ يستخفون منه من الله ﴿لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يتغطون بها ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ الله تبارك وتعالى يعلم السر وأخفى ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ليس ما يباشر العبد فقط من الأعمال بل يعلم ما في القلب الذي لم ينطق به ولم يخبر به أحدا. اللهم صل على سيدنا محمد وسلم.

---

[1] – أخرج الترمذي في سننه عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم) سنن الترمذي: كتاب الزهد/باب منه (2244).

[2] – طرف من حديث لأحمد في مسنده عن عمرو بن العاص. مسند أحمد: مسند الشاميين/ من حديث عمرو بن العاص (17096). تقدم في الدرسين 19 و22.

[3] – (لا تسبوا الدنيا فنعم المطية للمؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر) للديلمي عن ابن مسعود. الجامع الكبير ج891/1.

[4] – في صحيحه: حدثنا الحسن بن محمد بن صباح حدثنا حجاج قال قال ابن جريج أخبرني محمد بن عباد بن جعفر أنه سمع ابن عباس يقرأ "ألا إنهم تَثْنَوْني صدورهم" قال سألته عنها فقال أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء فنزل ذلك فيهم. صحيح البخاري: كتاب التفسير/ باب ألا إنهم يثنون صدورهم (4681).

الدرس الخامس والعشرون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيـــم

يا همة الشيخ احضري لنـــا بهذا المحضـــر
ولتعطفـــي بنظـــرة تأتي لنـــا بالظفـــر

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ الدابة ما دب على وجه الأرض أو كل دبيب سواء في البر أو في البحر، «إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا» إلا تكفل الله تبارك وتعالى برزقها فضلا منه تبارك وتعالى. وأتى بصيغة "على" والله تبارك وتعالى مستحيل أن يكون عليه شيء، ولكن حيث ضمن أرزاق العباد وهو كريم لا يخلف وعده أتى بصيغة على لنَزداد ثقة بوعده تبارك وتعالى. ذكر أن كل دابة في الأرض رزقها على الله تبارك وتعالى، فعلى هذا معتمد أهل السنة على أن الرزق قسمان: حلال وحرام، لأننا نرى إنسانا ينتفع بشيء حرام مدة حياته، لو قلنا إن ذلك ليس برزقه لخالف الآية وإذا كان هذا رزقه علمنا أنه رزق حرام، إذاً كل ما دخل في يد الإنسان وانتفع به فهو رزقه سواء حلال أم حرام، فلهذا يسألون الله تبارك وتعالى الرزق الحلال[1] ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ مسكنها في الدنيا أو الصلب ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ بعد الموت أو في الرحم ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ والله تبارك وتعالى المتكفل بالرزق

---

1 - لحديث علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الدعوات/ باب في دعاء النبي (3486) ولأحمد في مسنده: مسند العشرة المبشرين بالجنة/ مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه (1250).

لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء يعلم محل كل شيء من المخلوقات، محله في الدنيا ومحله في الآخرة، محله في صلب أبيه ومحله في رحم أمه، وفي حياته وفي موته. يروى أن موسى عليه الصلاة والسلام لما بعثه الله إلى فرعون وقد ترك أهله في تلك الحالة، تركهم في الفلاة وقد نفست زوجته فتعلق قلبه بهم وتساءل كيف يعيشون بعده لما أرسله الله إلى فرعون، فأوحى الله إليه أن يضرب بعصاه الحجر، فضرب الحجر الذي أمامه فانفلق فإذا بصخرة، فأمر بضربها أيضا فضربها فانفلقت فإذا بصخرة ثانية فأمر بضربها فضربها فإذا بدودة صغيرة في فمها بعض الحشرات الصغيرة تأكلها حتى امتلأ بطنها، فقالت إنها تحمد الله الذي لم ينسها وهي في صخرة في صخرة، لم ينسها و لم يجهل محلها. علم موسى أن القادر على إطعام هذه الدودة قادر على إطعام أهله، فاطمأن باله وذهب إلى فرعون وما تذكر أهله حتى هلك فرعون بعد أربعين سنة[1].

كان أنس وعبد الله بن مسعود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعا طائرا يتكلم، قال هل سمعتما ما يقول؟ قالا: لا، قال: قال: يا رب خلقتني أعمى وأنا جائع فأطعمني. قال هذا هو ما قاله هذا الطائر، فرأوا جرادة طارت ودخلت في فم الطائر فابتلعها فشبع، فتكلم أيضا قال الرسول صلى الله عليه وسلم: هل سمعتما ما قال؟ قالا: لا، قال إنه يحمد الله الذي لم يعجزه أن يطعمه في حالته وهو ضعيف

1 - قال الصاوي في حاشيته على الجلالين: فلما وصل موسى إلى تلك النار التي أبصرها خاطبه الله وأرسله إلى فرعون وخلف أهله بالموضع الذي تركهم فيه، فلم يزالوا مقيمين فيه حتى مر بهم راع من أهل مدين فعرفهم فحملهم إلى شعيب فمكثوا عنده حتى جاوز موسى ببني إسرائيل البحر وغرق فرعون وقومه فبعثهم شعيب إلى موسى بمصر. ج50/3. وفي روح البيان ج96/4.

أعمى[1]. الرزق على الله تبارك وتعالى. كان الحسين بن علي يكتب في سيفه: الرزق مقسوم، والحاسد محروم، والبخيل مذموم[2] ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ بين هو اللوح المحفوظ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ هم كانوا يثنون صدورهم ليستخفوا من الله تبارك وتعالى، فبين لهم أنه يعلم ما يسرون وما يعلنون وأنه عليم بذات الصدور، وأنه ما من دابة في الأرض إلا عليه رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين، أتى بحجة فوق ذلك كلا "وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام" الله المستحق للعبادة لابد أن يتصف بالعلم والقدرة. وصفه في الآية المتقدمة بيّن كونه عالما تبارك وتعالى حيث يعلم ما في الصدور، ويعلم ما يسرون وما يعلنون، ويعلم مستقر كل دابة ومستودعها، هذا يكفي أنه عالم بكل شيء، ولابد للإله من أن يكون قادرا أيضا فبيّن أنه هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة[3] ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ﴾ قبل خلقهما ﴿عَلَى الْمَاءِ﴾ والماء على متن الريح. الله تبارك وتعالى أول ما أوجد درة بيضاء وهي الحقيقة المحمدية، فنظر إليها نظر هيبة فصار منها البحار عرقا، فلم يزل البحر يرتعد من ذلك الوقت إلى يومنا هذا من شدة الهيبة التي نظر بها الجليل إلى الدرة البيضاء، فجعل الماء على متن الريح[4]، هذا قبل خلق السماوات والأرض، فخلق السماوات والأرض وخلق الكرسي وخلق العرش، والعرش فوق

---

1 – ذكرها البروسوي في روح البيان ج96/4.

2 – جاء في تفسير روح البيان ما نصه: قيل كان مكتوبا على سيف الحسين بن علي رضي الله عنه أربع كلمات: الرزق مقسوم والحريص محروم والبخيل مذموم والحاسد مغموم. ج97/4.

3 – قاله جلال الدين السيوطي في الجلالين انظر حاشية الصاوي ج208/2.

4 – نقله القرطبي عن كعب الأحبار، الجامع لأحكام القرآن ج9/ ص8.

جميع العوالم ومحيط بجميع العوالم، وهو أعظم المخلوقات الجسمانية بحيث أن جميع المخلوقات مندرجة تحت العرش[1]، فخلق السماوات السبع والأرضين السبع ووضعها على متن الحوت، حوت رأسه وذنبه يلتقيان عند العرش، وذلك الحوت على قرن ثور، جعل الحوت الذي حمل العوالم كلا بين قرنيه، والثور على صخرة والصخرة بيد الله تبارك وتعالى، وتلك الصخرة هي المذكورة في سورة لقمان "يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض" لما قال فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض علمنا أن تلك الصخرة ليست في السماوات ولا في الأرض، وهي الصخرة الخضراء التي بخضرتها انصبغت هذه السماء التي تلينا[2]، فإذا أراد الله فناء العالم يفتح الحوت فمه فتسيل البحار كلا في فمه وتصير يبسا في أسرع من لمحة، «وكان عرشه على الماء» قبل أن يخلق السماوات والأرض، الماء هو أول المخلوقات بعد الحقيقة المحمدية، وكون العرش فوق الماء لا يعني ملاصقتهما، ولكن كان الماء تحت والعرش فوق. وما بينهما غير موجود حتى خلق الله السماوات والأرضين وما فيهما من المخلوقات. فجعل الله آدم خليفة في الأرض وأسكنه فيها سكنها بنو آدم إلى آخر الدهر، والملائكة سكنوا السماوات، وأولوا العزم من الرسل سكنوا بأرواحهم الكرسي ، وروح خاتم الأنبياء سكن العرش، وهذا الروح الذي سكن العرش هو الحقيقة المحمدية وهو معنى "الرحمن على العرش استوى" الذي أتعب العلماء و لم يفهموه. الروح خاتم الأنبياء وهو الذي استوى على العرش وأرواح أولي العزم من الرسل

---

1 - القرطبي ج302/8 - 303.

2 - راجع حاشية الصاوي على الجلالين ج257/3.

على الكرسي، وباقي العوالم "وما منا إلا له مقام معلوم". العرش محيط بجميع العوالم عرش الرحمن، والذي سكن العرش هو رحمة الله تبارك وتعالى التي وسعت كل شيء، حيث أن الرحمة مظهرها الموجودات، والموجودات كلهم تحت العرش عبر بأن الرحمن فوق العرش، لأن مظهر تلك الصفة في العوالم التي تحت العرش والعرش فوق والشرع تحت. الشرع مقلوب العرش. العرش نزل عليه القرآن فنزل إلى الأرض فصار شرعا، فمن تمسك بهذا الشرع ترقى إلى ذلك العرش ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي خلقهما وما فيهما منافع لكم ومصالح ليختبركم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ قال المفسر[1]: أطوع لله. خلق الله تبارك وتعالى جميع العوالم ليبلو الخلق أيهم أحسن عملا. الإنسان إما أن يكون قصده بلسانه وبقلبه وبعمله هو الآخرة فهذا حسن نيةً وعملا، أو كان قصده بلسانه وبقلبه وبعمله الدنيا فهذا سيء عملا، وإما أن يكون قصده بقلبه هو الدنيا وبلسانه هو الآخرة فهذا هو المنافق، هذا أسوأ عملا، وإما أن يكون قصده بلسانه وبقلبه وبعمله هو وجه الله فهذا أحسن عملا. حسنٌ عملا، وسيءٌ عملا، وأسوأ عملا، وأحسن عملا. ﴿ وَلَئِن قُلْتَ﴾ يا محمد لهم ﴿إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ الكفار لكفرهم وعنادهم إذا وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم وعلمهم أنهم سيبعثون بعد الموت يقولون: هذا القرآن الذي ينطق بالبعث إنما هو سحر مبين. محمد ساحر والقرآن سحر، فلهذا أنكروا البعث، استغربوا الإعادة، والذي بدأ الخلق أولا قادر على إعادته عند كل عاقل، ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ﴾ أوقات ﴿مَّعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ كفر وراء كفر، قالوا إن القرآن سحر وإذا أخر الله عنهم

1 – هو جلال الدين السيوطي.

العذاب يقولون ما يحبس العذاب عن النزول، هلا نزل؟. الأمة جماعة من الناس إذا عاشوا زمنا يكون قرنا، وإذا انقضى قرن والعذاب لم ينزل يقولون إن هذا العذاب لم يأت، أي شيء يحبسه؟ يريدون بذلك تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى ﴿أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ بين لهم أن العذاب وإن استعجلوه سيأتي يوما وهو إذا أتى غير مندفع ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أنواع الاستهزاء التي يستهزئون بالنبي صلى الله عليه وسلم سيرون عاقبتها عند نزول العذاب ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ غنى وصحة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾ الله تبارك وتعالى إذا منّ على إنسان من الكفار بنعمة فأعطاه غنى وصحة وسلبه تلك النعمة بعد يكون الإنسان قانطا من رحمة الله تبارك وتعالى شديد الكفر، يقول إن الله ما أعطاني شيئا ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ﴾ فقر وشدة ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ﴾ المصائب ﴿عَنِّيَ﴾ كذلك إذا ذهبت الشدائد يقول ذهبت عني المصائب وفرح بما بيده ولا يتوقع زواله أيضا ولا يشكر الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ﴾ بطر ﴿فَخُورٌ﴾ على الناس بما أوتي ﴿إِلاَّ﴾ لكن ﴿الَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على الضراء ﴿وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ في النعماء ﴿أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أما الإنسان الذي إذا افتقر صبر وإذا وجد نعمة شكر الله تبارك وتعالى، فأولئك الذين لهم مغفرة لذنوبهم وأجر كبير هو الجنة ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ فلا تبلغهم إياه لتهاونهم به ﴿وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ بتلاوته عليهم، خاطب النبي صلى الله عليه وسلم، كان يتأسف لكفر قومه. والكفار يأتونه ويستهزئون به يقولون: آتنا بقرآن ليس هذا القرآن الذي يشتم آلهتنا ويسبنا ويسب آباءنا، آت بقرآن آخر غير هذا، هذا لا يمكن أننا نؤمن به أبدا، والرسول صلى الله عليه وسلم ينزل عليه القرآن ويشتم آلهتهم وهو يعلم أنه بتبليغ هذا يزدادون

استهزاء وتهاونا بالقرآن، ربما يضيق صدره بتبليغ بعض القرآن إليهم حذرا أن يتهاونوا به، وهو لابد أن يرتكب أحد الأمرين: إما عدم التبليغ وهو خيانة مستحيلة في حق الأنبياء، عدم التبليغ ما يمكن، وإذا بلغ يجد الإذاية من قِبلهم، فأمِر بارتكاب أخف الضررين، الخيانة لا سبيل إليها في حق الرسول صلى الله عليه وسلم، فليبلغ القرآن ولو لقي ما لقي منهم ﴿أَنْ يَّقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ يقولون يا محمد أنت فقير تدّعي أنك رسول الله وليس عندك شيء من المال؟ لا نؤمن بهذا، إذا كنت رسولا فليكن عندك المال الوافر وليأتنا ملَك يصدقك كما اقترحنا، ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ﴾ الله تبارك وتعالى خاطبه بأن لا عليك إلا البلاغ، ليس عليك الإتيان بما اقترحوه ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ حفيظ فيجازيهم به. لا يَعْظم عند أبناء الدنيا إلا أمر المال حتى يظنون أن النبي لا يستحق الرسالة إلا بكثرة المال، والنبي جاء ليزهد الناس في الدنيا ليقبلوا على الآخرة، فهو لا يبالي بالمال أصلا وهم يريدون أن يجد المال ليكون كبيرا له رئاسة وجاه فيستحق النبوة ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أم يقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي أتى بالقرآن من عنده ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾ فإنكم عرب فصحاء مثلي، تحداهم بها أولا ثم بسورة، هذا هو التحدي، النبي يأتي بشيء يعجز المخلوقات جميعا ويقول آتوا بمثل هذا ولا يأتون بمثله. تحداهم أولا بالقرآن جميعا "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا" أقروا بعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن. فتحداهم ثانيا «قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات» آتوا بعشر سور مثل القرآن، فعجزوا، فتحداهم بسورة واحدة "قل فأتوا بسورة من مثله" وإعجاز القرآن من باب الفصاحة، بلغ القرآن من الفصاحة مبلغا ما بلغه كلام أبدا، وكذلك البلاغة

وكذلك النظم، وكذلك الإخبار بالمغيبات، كل هذا إعجاز. ولكن تحداهم بالإعجاز حيث أنهم لم يأتوا بعشر سور مثله في الفصاحة مفتريات، وإن كان مضمون تلك السور أكاذيب، ولكن يكون في فصاحة القرآن بهذه المرتبة، وهم عاجزون عن ذلك، فلما عجزوا عن ذلك قامت الحجة عليهم أن القرآن من عند الله لو كان من عند النبي وهو عربي مثلهم وهم عرب مثله لقدروا أن يأتوا بمثل ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن عجزوا تماما، كل العرب أقروا بعجزهم عن أن ينطقوا بشيء يشاكل القرآن في الفصاحة والبلاغة، بعضهم دخل الإسلام بفصاحة القرآن فقط، سمع أعرابي قارئا يقرأ "فاصدع بما تؤمر" فسجد لله قالوا: لأي شيء؟ قال: لفصاحة "فاصدع"[1] ﴿وَادْعُواْ﴾ للمعاونة على ذلك ﴿مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ غيره ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنه افتراء ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾ من دعوتموهم للمعاونة ﴿فَاعْلَمُواْ﴾ خطاب للمشركين ﴿أَنَّمَا أُنزِلَ﴾ أنزل القرآن متلبسا ﴿بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ وليس افتراء ﴿وَأَنْ﴾ وأنه ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ بعد هذه الحجة القاطعة أسلموا ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بأن أصر على الشرك، وقيل هي في المرائين ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ جزاء ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحم ﴿فِيهَا﴾ بأن نوسع عليهم رزقهم ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ في الدنيا ﴿لاَ يُبْخَسُونَ﴾ لا ينقصون شيئا ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ﴾ ليس لهم جزاء في الآخرة ﴿وَحَبِطَ﴾ بطل ﴿مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ في الآخرة فلا ثواب له ﴿وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ﴾ يتبعه ﴿شَاهِدٌ﴾ له يصدقه ﴿مِنْهُ﴾ من الله وهو جبريل ﴿وَمِن قَبْلِهِ﴾ قبل القرآن

---

1 – الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، ج262/1.

﴿كِتَابُ مُوسَى﴾ التوراة شاهدا له أيضا ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ كمن ليس كذلك ﴿أُوْلَئِكَ﴾ أي من كان على بينة ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالقرآن فلهم الجنة ﴿وَمَنْ يَّكْفُرْ بِهِ﴾ القرآن ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ جميع الكفار ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِنْهُ﴾ من القرآن ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أهل مكة ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ كان أبو هريرة كلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا طلب مصداقه في القرآن ووجده، فجلس قوم يوما يتحدثون: عجبا لإبراهيم اتخذه الله خليلا، عجبا لموسى بن عمران كلمه الله تكليما، ما هو بأعجب من عيسى الذي خلق من روح الله تبارك وتعالى[1]، خرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم: والذي نفسي بيده لو عاش موسى بن عمران الذي أنزل عليه التوراة، وعيسى بن مريم الذي أنزل عليه الإنجيل ما وسعهما إلا اتباعي[2]، وكل من أدركني

---

1 – أخرج الترمذي والدارمي في سننهما واللفظ للترمذي عن ابن عباس قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه، قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم: عجبا إن الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلا اتخذ إبراهيم خليلا، وقال آخر: ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليما، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال: قد سمعت كلامكم وعجبكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجي الله وهو كذلك، وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر. الترمذي: كتاب المناقب/ باب في فضل النبي (3549) وفي سنن الدارمي: المقدمة (47). تقدم في الدرس 7.

2 – ذكره ابن كثير دون إسناد قال: وفي بعض الأحاديث (لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعي) ج379/1. ولأحمد في مسنده روايتان عن جابر بن عبد الله ففي إحداهما (...والذي نفسي بيده لو أن موسى صلى الله عليه وسلم كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني) وفي الأخرى (...فإنه لو كان موسى

ولم يتبعني فهو من أهل النار[1]، قال أبو هريرة فكنت أطلب دليل هذا في القرآن حتى وجدت هذه الآية[2] «ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه» كل من كان على أي دين كان ولو بلغ ما بلغ من التقشف والعبادات إن لم يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر وهو شقي من أهل النار «إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون» ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة في جملة الخلق ﴿وَيَقُولُ الأَشْهَادُ﴾ جمع شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالإبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب ﴿هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ المشركين ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ أُوْلَئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِي الأَرْضِ وَمَا

حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني) مسند أحمد: مسند المكثرين/ (14326)، وأيضا مسند أحمد/ مسند جابر بن عبد الله (14104) وللدارمي عن جابر (والذي نفس محمد بيده لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل ولو كان حيا وأدرك نبوتي لاتبعني) سنن الدارمي: المقدمة/ باب ما يتقى من تفسير قول النبي وقول غيره عند قوله (436). تقدم بعضه في الدرس 7.

1 – أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (218).

2 – ذكر ابن كثير في تفسيره عن سعيد بن جبير قال: كنت لا أسمع بحديث النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه إلا وجدت مصداقه أو قال تصديقه في القرآن فبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني فلا يومن بي إلا دخل النار" فجعلت أقول أين مصداقه في كتاب الله؟ قال: وقلما سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وجدت له تصديقا في القرآن حتى وجدت هذه الآية (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده). ابن كثير ج441/2.

كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ غيره ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أنصار ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ بإضلالهم غيرهم ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ للحق ﴿وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾ــه لفرط كراهتهم له كأنهم لم يستطيعوا ذلك ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ على الله من دعوى الشريك ﴿لاَ جَرَمَ﴾ حقا ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُواْ﴾ سكنوا واطمأنوا وأنابوا ﴿إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ صفة الفريقين الكفار والمؤمنين ﴿كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ﴾ الكافر بمنزلة الأعمى والأصم، هم عمي وصم ﴿وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ المسلم بمنزلة السميع البصير، المسلم سميع بصير، سميع لما يقال له بصير، والكافر أعمى وأصم ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾ لا، ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون.

كل سورة نزلت على كفار مكة لابد أن يأتي فيها قصص الأنبياء وذلك تعريض بهم أن الذين كذبوا الأنبياء هلكوا وأنتم كذبتم النبي فستهلكون ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ أول الأنبياء أنبياء الشرائع هو يشكر[1] سمي نوحا لكثرة بكائه يقول المفسرون إن سبب نياحته لما دعا على قومه "رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا" ندم على ذلك فصار يبكي، وقيل بكى لطلب نجاة ولده كنعان كما سيأتي، وقيل بكى لأنه عاب كلبا يوما قال له: ما أقبحك، أوحى الله إليه: عبته أم عبتني أنا خالقه؟ فصار يبكي[2]. وعلى كل فسمي نوحا لكثرة نياحته، أرسله الله إلى قومه ابن أربعين سنة فمكث تسعمائة وخمسين سنة يدعوهم إلى الله

1 – القرطبي: كان اسمه يشكر، ج334/13.
2 – وردت هذه الأقوال في حاشية الصاوي على الجلالين ج80/2.

تبارك وتعالى، فكفروا فدعا عليهم فهلكوا بالطوفان، وعاش بعد الطوفان ستين سنة ﴿إِنِّي﴾ بأني ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بين الإنذار ﴿أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللَّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ﴾ الملأ هم الأشراف، من ملأ إذا امتلأ، سمي الأشراف من الجماعة ملأ لأهم يملأون عيون الناس أو يملأون المجالس أو يملأون الملابس، على كل فالملأ هم الأشراف من قومه ﴿مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ يا نوح لا فضل لك علينا حيث تكون نبيا مرسلا ونحن لسنا بأنبياء وأنت بشر مثلنا فقط. ألقوا ثلاث شُبَهٍ: الشبهة الأولى ما نراك إلا بشرا مثلنا ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ وأيضا لو كنت نبيا لأتبعك الأكابر والرؤساء، ولكن ما رأيناك اتبعك إلا أسافلنا، الفقراء والحاكة والأساكفة، وهؤلاء ليسوا بشيء ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ وهذا يراه الإنسان من غير تفكر، هذه هي الشبهة الثانية ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ ما رأينا عندكم فضلا في الخلق ولا في العقل ولا في أي شيء، كيف تكون نبيا ونحن لسنا بأنبياء؟ ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ هذا كلام الكفار، شبهة إبليس الأولى «ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا» «وما نرى لكم علينا من فضل» فتستحقون الإتباع منا، «بل نظنكم كاذبين» في دعوى الرسالة ﴿قَالَ يَاقَوْمِ﴾ هو يرد عليهم ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِن رَّبِّي وَءاتَانِي رَحْمَةً﴾ نبوة ﴿مِنْ عِندِهِ فَعَمِيَتْ﴾ خفيت ﴿عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ أنجبركم على قبولها ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ لا نقدر على ذلك. رد عليهم بأنه إذا أتاه نبوة من الله تبارك وتعالى وأعمى الله بصائرهم حتى لم يبصروا فليس له قوة على أن يجبرهم على قبولها ﴿وَيَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ﴾ رد شبهة أخرى بقوله: إن رأيتموني فقيرا ليس عندي مال فأنا لا أطلب منكم شيئا

أبدا «إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ» لا تخافوا من فقري تظنون أني أكلفكم رزقي أنا رزقي على الله تبارك وتعالى. ورد على الشبهة الثالثة ﴿وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الأراذل الذين أشرتم إلى أني أطردهم ما أنا بطاردهم ﴿إِنَّهُم مُّلاَقُواْ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث فيجازيهم ويأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم ﴿وَلَكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ ولكن الذي أعلم أنكم جهلة لا تعلمون عاقبة أمركم، عمي البصائر. الكفار ما رأيت أشد من حماقتهم، إنسان كامل عاقل متصف بجميع الكمالات لا يستحق الرسالة والإتباع، وحجر لا يعقل ولا يسمع ولا يبصر يستحق الألوهية والعبادة، ما أشد حماقتهم. نوح ليس إلا بشرا فقط ولكن بشر كامل العقل متصف بالكمالات لا يستحق أن يكون متبوعا فقط والحجر يستحق أن يكون إلها يعبد! ﴿وَيَاقَوْمِ مَنْ يَنصُرُنِي﴾ يمنعني ﴿مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ﴾ لا ناصر لي ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ تكلموا بكثير من الاستهزاء، يقولون تبدل لنا الجبال ذهبا وتأتينا بالملائكة وتفعل وتفعل، قال لهم لا أقول لكم إني قادر على شيء من ذلك ﴿وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ قلوبهم ﴿إِنِّي إِذًا﴾ إن قلت ذلك ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا﴾ خاصمتنا ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ لما رد على شبههم حتى لم يبق بيدهم شيء إلا أبطله بحجته قالوا له إن جداله كثير فليأت بالعذاب فقط ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ﴾ تعجيله لكم فإن أمره إليه لا إلي أنا ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ فائتين الله تبارك وتعالى ﴿وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِيَ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ إغواءكم ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قال تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أم يقول الكفار إن النبي صلى الله عليه وسلم افترى هذا القرآن ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ

إِجْرَامِي﴾ إثمي ﴿وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ من إجرامكم بنسبة الافتراء إلي ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ أوحى الله تبارك وتعالى إلى نوح أن القوم طبعوا على الكفر فلا يؤمنون أبدا. سبق من آمن منهم، انتهى ذلك، بعد هذا لن يؤمن أحد منهم ﴿فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ لا تحزن بإذايتهم لك، فلما تبين له أنهم لا يؤمنون بعدُ دعا عليهم بقوله "رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا" هكذا الكفار مع الأنبياء، وهكذا المنكرون لأولياء الله مع أولياء الله تبارك وتعالى، والله تبارك وتعالى يأمرهم بالتخلق بالخلق الحسن «فلا تبتئس بما كانوا يفعلون»، في البداية يحتملون ويصبرون وفي الوسط لا يرون الإساءة منهم إذا تم التوحيد، الفاعل هو الله، وفي النهاية يرون كل إساءة إحسانا، فلا يبتئسون بهذا. الكدر لا يرفع من الدنيا ولا يرفع عن أحد إنما يرفع التكدر. الأكدار تجري دائما ولكن العبد يبلغ مبلغا لا يتكدر بالأكدار، وتلك هي العافية. العافية هي الرضا بالقضاء[1]. قالوا إن المصطفى طلب العافية، ومات مسموما، وأبو بكر طلب العافية من الله ومات ملدوغا، وعمر طلب العافية ومات مقتولا، وعثمان مات مذبوحا، وعلي مات مقتولا. كلهم طلب العافية من الله ووجدها، وكلهم آخره كما نرى هذا لا يشبه العافية عند العامة ولكنهم هم لا يتكدرون

---

1 – قال سيدي علي حرازم في جواهر المعاني ج136/2: وسألته رضي الله عنه عن معنى العافية وحقيقتها فقال: اعلم أن حقيقة العافية هي القيام مع الله تعالى في مطابقة مراده بكمال الرضى والتسليم والتفويض والاستسلام وسقوط التدبير والحيل ودوام التبري من جميع الملاحظات والمساكنات والمصاحبات والمرادات حتى لا يكون له غير الله في كل نفس أبدا دائما سرمدا وصحة ذلك ومصداقه بأن لا يخطر غير الله على قلبه دائما فهذه هي العافية، وإذا سألت العافية من الله فاسأله العافية من حيث يعلمها لك عافية لا فيما تريده وتختاره.

بهذه الأكدار. ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ أوحى الله إلى نوح أنه سيهلك قومه بالطوفان، وأنه يصنع سفينة ينجو بها هو ومن آمن به. قال: كيف أصنع سفينة وأنا لست بنجار وما خالطت نجارا قط؟ قال: بأعيننا ﴿وَوَحْيِنَا﴾ الله هو الذي يأمره بكيفية صنع السفينة ويحفظه عن الغلط. قيل جاء جبريل يملي عليه، وقيل بل أوحى الله إلى الفأس، إذا ضرب بالفأس وقع كما ينبغي أن يقع فقط لمصلحة السفينة[1]. ومن الغرائب أن نوحا عليه الصلاة والسلام أول من اتخذ كلبا للحراسة، كان كلما صنع شيئا من السفينة جاء قومه وأفسدوه، فأوصاه جبريل أنه يتخذ كلبا، فاتخذ كلبا إذا جاؤوا نبح الكلب فطردهم نوح[2]، غرس الأشجار وصنع السفينة في أربع سنوات. طول السفينة ثلاثمائة ذراع وعرضها ثمانون ذراعا وارتفاعها في الهواء ثلاثون ذراعا على ثلاث طبقات: طبقة سفلى للهوام والوحوش، والوسطى للدواب، والعليا جلس فيها هو ومن معه. وقيل سألوا عيسى عليه الصلاة والسلام أن يبعث لهم من رأى سفينة نوح فأخذ قبضة من الأرض قال لهم: تعلمون هذا؟ قالوا: لا، قال: هذا كعب بن حام بن نوح، فناداه فأجابه فوقف رجلا شائبا، قال: من أنت؟ قال: أنا كعب بن حام بن نوح. قال له: كيف شبت وأنت مت قبل وجود الشيب؟ قال: لما ناديتني ظننت أن القيامة قد قامت فشبت من ذلك. قال له: كم طول سفينة نوح؟ قال: ألف ذراع ومائتا ذراع في ستمائة، فقال له: ارجع فرجع كما كان قبضة من الأرض فقط[3]. فعلى هذه الرواية يكون

---

1 - القرطبي ج9/31.

2 - روح البيان ج4/123.

3 - جاء في تفسير ابن كثير: ذكر الإمام أبو جعفر بن جرير أثرا غريبا من حديث علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن عبد الله بن عباس أنه قال: قال الحواريون لعيسى بن مريم: لو بعثت لنا

طولها ألفاً ومائتي ذراع وعرضها ستمائة. ﴿وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ حكاية حال ماضية ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ﴾ جماعة ﴿مِن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ﴾ استهزأوا به، يقولون: سبحان الله صرت نجارا بعدما كنت نبيا ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ سنجازيكم على سخريتكم، هذا بمنزلة "وجزاء سيئة سيئة مثلها" أما السخرية فلا تصدر من الأنبياء ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَّأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم ﴿حَتَّى إِذَا جَا أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ للخباز بالماء وكان ذلك علامة لنوح ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا﴾ في السفينة ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ ذكرا وأنثى ﴿اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ أي زوجته وأولاده ﴿إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ منهم بالهلاك وهو زوجته الكافرة

رجلا شهد السفينة فحدثنا عنها، قال فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب بكفه فقال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا كعب بن حام بن نوح، قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم بإذن الله فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه قد شاب، قال له عيسى عليه السلام أهكذا هلكت؟ قال: لا ولكني مت وأنا شاب ولكنني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت. قال: حدثنا عن سفينة نوح. قال: كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات: فطبقة فيها الدواب والوحوش، وطبقة فيها الإنس، وطبقة فيها الطير. فلما كثرت الدواب أوحى الله عز وجل إلى نوح عليه السلام أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث، فلما وقع الفأر بجوف السفينة يقرضها وحبالها أوحى الله إليه أن أضرب بين عيني الأسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفأر. فقال له عيسى عليه السلام: كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت؟ قال: بعث الغراب يأتيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها فدعا عليه بالخوف فلذلك لا يألف البيوت، قال: ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجلها فعلم أن البلاد قد غرقت قال فطوقها الخضرة التي في عنقها ودعا لها أن تكون في أنس وأمان فمن ثم تألف البيوت. قال فقلنا: يا رسول الله ألا ننطلق به إلى أهلينا فيجلس معنا ويحدثنا؟ قال: كيف يتبعكم من لا رزق له؟ قال فقال له: عد بإذن الله فعاد ترابا. ابن كثير ج2/445.

وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاث ﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ قيل كانوا ستة رجال ونساءهم، وقيل جميع من كانوا في السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء[1]، هذا هو الصحيح، هم الذين بنوا قرية الثمانين قرب الموصل هناك بالعراق[2]. أوحى الله تبارك وتعالى إلى نوح أن القوم سيهلكون بالطوفان، فطلب علامة فأخبره الله تبارك وتعالى بأنه إذا رأى التنور المحل الذي يخبز فيه عيشه إذا رآه يفيض ماء فذلك علامة هلاك القوم، فلما أصبح وجد التنور يفيض ماء علم أن الهلاك قد قرب فدخل في السفينة، فقال الله إنه يدخل من كل صنف زوجين ذكرا وأنثى فقال: كيف أفعل هذا؟ فحشر الله جميع الأشياء إلى نوح إذا مد يده اليمنى دخل ذكر واليسرى أنثى فيدخلهم في السفينة حتى أدخل جميع الأشياء[3]، آخر ما دخل الحمار، لما أدخل يديه تمسك إبليس بذنَبه فلم يقدر على الدخول فقال له نوح: ادخل فتأخر، ادخل فتأخر، ادخل يا ملعون فدخل ودخل إبليس. رأى شيخا كبارا في السفينة ما عرفه قال له: من أنت؟ من أدخلك سفينتي؟ قال: أنت، قلت للحمار ادخل يا ملعون وليس ثم ملعون إلا أنا فدخلت، بهذا دخل إبليس في السفينة فقال له نوح: لابد أن تخرج. قال: لا تخرجني إن الله تبارك وتعالى علمني خمسة أشياء هي التي يفسد بها بنو آدم،

---

1 – قولان ذكرهما جلال الدين السيوطي في تفسير الجلالين ج216/2.

2 – في تنوير المقباس من تفسير ابن عباس قال "وما آمن معه إلا قليل" ثمانون إنسانا. وفي تفسير القرطبي قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما آمن من قومه ثمانون إنسانا منهم ثلاثة من بنيه وثلاث كنائن له (امرأة الإبن أو الأخ) ولما خرجوا من السفينة بنوا قرية وهي اليوم تدعى قرية الثمانين بناحية الموصل. القرطبي ج35/9.

3 – راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج44/9.

وأنا أعلمك منها ثلاثة، اثنان لا أعلمكهما. أوحى الله إلى نوح: خل عنك الثلاثة ويعلمك الاثنين فقط، قال علمني الاثنين واترك الثلاثة: قال: الحسد به لُعِنتُ والحرص به خرج آدم من الجنة[1]. فلما دخل جميع الحيوانات في السفينة وفاض الماء حتى أتى إلى أصلاب الناس وفاض حتى جاء في تراقيهم، البشرية لا تفارق الإنسان، أشفق نوح على ولده كنعان، فدعاه أنه يأتي يؤمن بالله ويركب في السفينة، فأجابه بالجواب الآتي: "سآوي إلى جبل يعصمني من الماء". فدخلوا في السفينة هذا في رجب، جرت بهم السفينة ستة أشهر: رجب شعبان رمضان شوال ذو القعدة ذو الحجة يوم عاشوراء رست السفينة بالجودي بالموصل، فلما كانوا في السفينة تكاثر الفئران فشكا نوح إلى مولاه، فأمره أن يمسح جبهة الأسد، فمسح جبهة الأسد فعطس فخرجت الهرة فأكلت جميع الفئران[2]، وكانوا يخشون على حبال السفينة، فلما كثر الغائط في السفينة أمره الله تبارك وتعالى أن يمسح جبهة الفيل فخرج منه خنزير، هرتان وخنزيران أو هرة وخنزير فصار يأكل العذرة من السفينة، فلما طال بهم الزمن قال نوح إنه يحذر جميع الذكور من القرب من إناثهم لئلا يقع النسل و لم يدروا متى يخرجون من السفينة، فكلهم اعتزل أنثاه إلا الكلب أتاها فنم به السنور فأنكر، فدعا عليه نوح، فلما عاد بقي على حالته التي تقع له الآن[3] لم يقدر على النزع حتى علم به نوح، فدعا هو على السنور أنه فضحه والله يفضحه فاستجيب له دعاؤه في السنور كلما وقع على أهله افتضح وكل الناس يسمعونه. إن كان الله

---

1 – تفسير روح البيان ج127/4.

2 – انظر هامش الصفحة 902.

3 – قصص الأنبياء المسمى بالعرائس ص34.

يستجيب الدعوة من الكلب فمن باب أولى من مسلم موحد، نسألك من فضلك العظيم. فلما رسوا بالجودي يوم عاشوراء صامه نوح عليه الصلاة والسلام شكرا لله تبارك وتعالى، وجمع بقية ما عندهم من الزاد فطبخوا وأكلوا، فهذا أصل عاشوراء، وبنوا قرية بالموصل وسموها الثمانين لأنهم ثمانون، إلى الآن اسم القرية ثمانون ولكن الله تبارك وتعالى عقم أرحام أولئك الناس، قطع نسلهم لم يقع النسل إلا لأولاد نوح، فصار نوح هو آدم الثاني[1] كل ما وقع بعده من الذرية فمن ذريته هو، أولاده ثلاثة سام وحام ويافث. سام ولد رمز "عرف": العرب والروم وفارس. وحام "سبق": السودان والبربر والقبط. ويافث "صيت": الصقالبة، ويأجوج ومأجوج، والترك. الترك والهند والصين وهند الصين تلك البلاد كلا من بقايا يأجوج ومأجوج. ترى أن العرب والروم وفارس أولاد سام، وحام ولد السودان والبربر والقبط، السودان والبربر والقبط كلهم سودان أو سود الجلود أو حمر، يروى عن حام بن نوح أنه نام نوح وتجرد فانكشفت عورته فجاء يضحك من ذلك حتى جاء سام وستره، فدعا نوح على حام فبذلك اسودت جلود أبنائه، هذه القصة من الإسرائيليات التي لا أصل لها. إنما السواد والحمرة والبياض بحسب الأغذية والهواء والبلدان والمناكح فقط، رأيت القبط وهم سودان رأيت فرعون وهو أسود، والسودان وفارس سودان. ﴿وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ أوحى الله إلى نوح أن يركبوا في السفينة بسم الله، "بسم الله" بها تجري السفينة وبها ترسو ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث لم يهلكنا. ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم (أنا في أمتي بمنزلة سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن لم يركب فيها

---

1 – القرطبي عن ابن عباس ج48/9.

هلك)[1] كذلك الرسول صلى الله عليه وسلم من اتبع دينه نجا في الدنيا والآخرة ومن لم يتبعه فلا نصيب له من نعيم الآخرة أبدا ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ في الارتفاع والعظم ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ كنعان كان ولده هذا كافرا ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ عن السفينة ﴿يَا بُنَيِّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ أمره بالركوب أي أمره بالإيمان الذي به يستحق ركوب السفينة معهم ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي﴾ يمنعني ﴿مِنَ الْمَاءِ قَالَ﴾ نوح ﴿لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ عذابه ﴿إِلاَّ﴾ لكن ﴿مَن رَّحِمَ﴾ الله، فهو المعصوم قال تعالى ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ﴾ عندما تجاوبا جاء موج فحمل كنعان فألقاه في الطوفان ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾. مكثوا في السفينة ستة أشهر ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ الذي نبع منك فشربته دون ما نزل من السماء فصار أنهارا وبحارا ﴿وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ امسكي عن المطر فأمسكت ﴿وَغِيضَ﴾ نقص ﴿الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ تم أمر هلاك قوم نوح ﴿وَاسْتَوَتْ﴾ السفينة ﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾ جبل بالجزيرة بقرب الموصل بالعراق ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ذكر أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى نوح أنه سيرسي سفينته على أحد الجبال، فتطاول كل جبل رجاء أن ترسو السفينة عليه: الطور وأحد وقبيس وثبير كلهم يرى أنه هو الذي يستحق هذا، فتواضع الجودي فقال إنه يعلم أنه لا يستحق هذا، فلهذا رست السفينة على الجودي، جبل صغير متواضع جدا بالقرب من الموصل. من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي﴾ كنعان ﴿مِنْ أَهْلِي﴾ وقد وعدتني نجاهم

---

1 – أخرج الحاكم في المستدرك (مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق) ج373/2

﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ الذي لا خلف فيه ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعلمهم وأعدلهم ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الناجين، إنه ليس من أهلك الذين ينجون أو إنه ليس من أهل دينك ﴿إِنَّهُ﴾ أي سؤالك إياي نجاته ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ فإنه كافر ولا نجاة للكافرين. الأنبياء معصومون ولكن يصدر منهم ما لا يليق بمنصبهم وهو سيئاتهم. حسنات الأبرار سيئات المقربين[1]. البشرية اقتضت منه الشفقة على ابنه وطلب نجاته يظن أن ذلك يمكن، فلما عوتب بأن ذلك لا سبيل إليه رجع إلى الله تبارك وتعالى بالتوبة، ولا ذنب حقيقة إلا إذا كان حسنات الأبرار سيئات المقربين. أو «إنه» كنعان «عمل» صاحب عملٍ «غير صالح» له أعمال غير صالحة، أو إنه عمِلَ غيرَ صالحٍ[2] أو "إنه عمل" ولد "غير صالح" ولد ليس بصالح (إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه)[3] "تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب" الكسب هنا معناه الولد. الولد يسمى عملا، فعلى هذا تأويلات. ﴿فَلاَ تَسْأَلْنِّ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ من إنجاء ابنك الكافر ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بسؤالك ما لم تعلم ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ

---

1 – (حسنات الأبرار سيئات المقربين) نقله في عون المعبود (شرح سنن أبي داود) عن القاري ج90/9 باب ما جاء في يمين النبي ما كانت و لم ينسبه للحديث. وأورده في كشف الخفاء/ حرف الحاء تحت الرقم 1137 وقال معلقا عليه: هو من كلام أبي سعيد الخراز وهو من كبار الصوفية (ت280) وعده بعضهم حديثا وليس كذلك. وقد ذكره الإمام الغزالي في مجموع رسائله ص469. وتكرر ذكره عند الصاوي في حاشيته دون عزو ج218/2.

2 – على قراءة ابن عباس وعروة وعكرمة ويعقوب والكسائي. القرطبي ج46/9.

3 – (إن أطيب ما أكلتم من كسبكم وإن أولادكم من كسبكم) للترمذي وللنسائي وابن ماجه كلهم عن عائشة. حديث صحيح. سنن الترمذي: كتاب الأحكام/ باب ما جاء أن الوالد يأخذ من مال ولده (1278)، وفي سننَ ابن ماجه: كتاب التجارات/ باب ما للرجل من مال ولده (2281).

أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي﴾ ما فرط مني ﴿وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ﴾ انزل من السفينة ﴿بِسَلاَمٍ﴾ بسلامة أو بتحية ﴿مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ﴾ خيرات ﴿عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ في السفينة أي من أولادهم وذريتهم وهم المؤمنون ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بشره الله تبارك وتعالى بأنه ينزل ومعه البركات وأن أولاده سيكون فيهم المؤمنون وسيكون فيهم أبناء الدنيا يعطيهم متاعا في الدنيا وفي الآخرة لهم عذاب أليم، فنزل نوح. يروى أنه لما أراد أن يعرف هل قرب انكشاف الماء بعث بغراب يذهب ينظر له ما فعل الماء فذهب ورأى جيفة واشتغل بها ونسي رسالة نوح، فلما طال الزمان أرسل نوح الحمامة، وأول ما غيض من الماء ما يلي الكعبة بمكة، فأتت الحمامة فألصقت يدها بتراب ورجعت إلى نوح وأرته ذلك، قيل ذهبت أولا فأخذت شيئا من ورق الشجر فأرته نوحا فعلم أن الماء نزل حتى بلغ الأشجار، وبعد زمن رجعت وأرته ترابا لصق بيدها فطوقها هذا الطوق ودعا لها بالأمن، فلهذا بقيت الحمامة آمنة لا تخاف شيئا، ولما جاء الغراب دعا عليه بعدم الأمن[1] فهم يتشاءمون به دائما أن اسمه من الغربة. لما نزل يوم عاشوراء صام ذلك اليوم، فلما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء قال: ولِمَ صمتموه؟ قالوا: كان يصومه موسى عليه الصلاة والسلام فصمناه، قال: (نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه)[2]. إن الله أكرم فيه عشرة من الأنبياء

---

1 – تفسير القرطبي ج44/9.

2 – أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى قال: (فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه) وفي رواية أخرى له: (أنتم

فسمي عاشوراء: نوح نزل من السفينة يوم عاشوراء[1] وأخرج إبراهيم من النار يوم عاشوراء، وأغرق فرعون ونجا موسى ومن معه يوم عاشوراء، وخرج يوسف من السجن ورجع ملكا يوم عاشوراء، واستجاب الله دعوة داود يوم عاشوراء، ورجع ملك سليمان إلى سليمان كذلك يوم عاشوراء، ورفع الله عيسى بن مريم إلى السماء يوم عاشوراء، وكشف بلاء أيوب كذلك يوم عاشوراء، ولقي يعقوب يوسف بمصر كذلك يوم عاشوراء، فبإكرام عشرة من الأنبياء سمي يوم عاشوراء[2] فقال النبي صلى الله عليه وسلم (نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه) ويقول (صيام يوم عاشوراء إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، وصيام

أحق بموسى منهم فصوموا) ولفظ ابن ماجه عن ابن عباس (نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه) صحيح البخاري: كتاب الصوم/ باب صيام يوم عاشوراء (2004)، وفي سنن ابن ماجه: كتاب الصيام/ باب صيام يوم عاشوراء (1724).

1 – أخرج أحمد في مسنده عن أبي هريرة قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بأناس من اليهود قد صاموا يوم عاشوراء فقال: ما هذا من الصوم قالوا: هذا اليوم الذي نجى الله موسى وبني إسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي فصامه نوح وموسى شكرا لله تعالى، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم فأمر أصحابه بالصوم. مسند أحمد: مسند المكثرين/ (8360)

2 – أخرج الحاكم في المستدرك: ولد عيسى بن مريم يوم عاشوراء. ج2/648 حديث رقم (4205) وفي كنز العمال: – إن نوحا هبط من السفينة على الجودي يوم عاشوراء فصام نوح وأمر من معه بصيامه شكرا لله تعالى وفي يوم عاشوراء تاب الله تعالى على آدم وعلى أهل مدينة يونس، وفيه فلق البحر لبني إسرائيل، وفيه ولد إبراهيم وابن مريم. (أبو الشيخ في الثواب عن عبد الغفور بن عبد العزيز بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل عن أبيه عن جده). كنز العمال: 24256.

يوم عرفة إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده)[1]. ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ﴾ في عبادتكم الأوثان ﴿إِلاَّ مُفْتَرُونَ﴾ كاذبون ﴿يَاقَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التوحيد ﴿أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ إن أجري إلا على الله، الله تبارك وتعالى عادته يبعث الأنبياء فقراء ولكن مع فقرهم لا يطلبون بتبليغ الرسالة أجرا، كلهم يقول إن أجري إلا على الذي فطرني خلقني ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُواْ﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ المطر وكانوا قد منعوه ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ كثير الدرور ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ مع قوتكم بالمال والولد ﴿وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾ مشركين ﴿قَالُواْ يَاهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ برهان على قولك ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ لقولك ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِن نَّقُولُ﴾ في شأنك ﴿إِلاَّ اعْتَرَاكَ﴾ أصابك ﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ نحن اعتقادنا أن آلهتنا التي تسبها هي التي خبلت عقلك فقط فصرت تهذي، هذا هذيان المجنون فقط ﴿قَالَ إِنِّيَ أُشْهِدُ اللَّهَ﴾ علي ﴿وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي﴾ احتالوا في هلاكي ﴿جَمِيعًا﴾ أنتم وأوثانكم ﴿ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ﴾ لا تمهلوني، لا يبالي بهم ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ﴾ نسمة تدب على الأرض ﴿إِلاَّ هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ مالكها أو قاهرها فلا نفع ولا ضرر إلا بإذنه ﴿إِنَّ رَبِّي

---

1 – أخرجه مسلم في صحيحه طرفا من حديث أبي قتادة وفيه قال: (صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله) صحيح مسلم: كتاب الصيام/ باب استحباب صوم ثلاثة أيام من كل شهر (1976).

عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ طريق الحق والعدل ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ تعرضوا ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ بإشراككم ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ رقيب ﴿وَلَمَّا جَا أَمْرُنَا﴾ عذابنا ﴿نَجَّيْنَا هُودًا﴾ نبي الله ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ﴾ هداية ﴿مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ نجا هو ومن آمن به وهم أربعة آلاف[1] ﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ إشارة إلى آثارهم فسيحوا في الأرض فانظروا إليها، ثم وصف أحوالهم فقال ﴿جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ﴾ لأن من عصى رسولا عصى جميع الرسل لاشتراكهم في أصل ما جاؤوا به وهو التوحيد ﴿وَاتَّبَعُواْ﴾ أي السفلة ﴿أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ معاند للحق من رؤسائهم ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ من الناس ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لعنة على رؤوس الخلائق ﴿أَلاَ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ﴾ جحدوا ﴿رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا﴾ من رحمة الله ﴿لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ﴾ ابتدأ خلقكم ﴿مِنَ الأَرْضِ﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ جعلكم عمارا تسكنون بها ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ كانوا يشتغلون بعمارة الدنيا يبنون في الصخور ويبنون في السهول، وكل ما أعطى الله لابن آدم له لا عليه إلا شيئا صرفه في الماء والطين، البنيان. البنيان قسمان: من بنى قدر حاجته وقدر حاجة عياله ومنازل الضيف، هذا بنيان صالح، لا يسكن فيه هو ولا عياله ولا أحد من خلق الله إلا وكتبت له حسنات حتى يؤول خرابا، ومن بنى فوق حاجته وتطاول في البنيان إنما يهلك ماله في الماء والطين ويكون حسرة عليه يوم

---

1 – قاله الخازن في تفسيره ج338/2، ومثله للصاوي في حاشيته ج220/2.

القيامة، وهم استعمرهم الله في الدنيا اشتغلوا بعمارة الدنيا ﴿قَالُواْ يَاصَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ يا صالح أنت لما كنت صغيرا كنا نرجو أنك إن عشت ستكون سيدا، رجاء محقق ﴿قَبْلَ هَذَا﴾ الذي صدر منك، قبل أن تقول هذا كنت مرجوا فينا ﴿أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا﴾ تريد أن تمنعنا من عبادة الأوثان ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ وهذا التوحيد الذي تدعو إليه نحن لا نثق به ﴿مُرِيبٍ﴾ موقع في الريب ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِن رَّبِّي وَءَاتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ نبوة ﴿فَمَنْ يَّنصُرُنِي﴾ يمنعني ﴿مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ بأمركم لي بذلك ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ تضليل ﴿وَيَاقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ قالوا له إنهم لا يؤمنون به حتى تتمخض تلك الهضبة وتلد ناقة مع ولدها نحلب ما نشاء من اللبن، فقال لهم احضروا فحضروا فدعا فتمخضت الهضبة وخرجت الناقة وخرج فصيلها معها فقال لهم ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ عقر ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ إن عقرتموها ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عقرها قُدار بأمرهم ﴿فَقَالَ﴾ صالح ﴿تَمَتَّعُواْ﴾ عيشوا ﴿فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثم تهلكون ﴿ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ قالوا له عقرنا الناقة وقتلناها وتقاسمنا اللحم وأكلنا ما تقول؟ قال: وما فعلت؟ قالوا: صاح فصيلها ثلاث مرات[1]، قال لهم: بقي لكم ثلاثة أيام، ستهلكون بعدها. قالوا: آتنا بعلامة، قال لهم: اليوم يوم الأربعاء غدا يوم الخميس تكون مصفرة وجوهكم، وبعد غد يوم الجمعة تكون محمرة، ويوم السبت تكون مسودة، ويوم الأحد ينزل عليكم العذاب فكان كما قال[2]. ﴿فَلَمَّا جَا أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿نَجَّيْنَا

---

1 – أي الفصيل، قاله القرطبي ج60/9.

2 – القرطبي ج60/9.

صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ﴾ وهم أربعة آلاف[1] ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَ﴾ نجيناهم ﴿مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ أنزل الله عليهم الخزي وما سلم إلا من آمن بصالح ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ باركين على الركب ميتين ﴿كَأَنْ﴾ كأنهم ﴿لَمْ يَغْنَوْاْ﴾ يقيموا ﴿فِيهَا﴾ في دارهم ﴿أَلاَ إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ جاءت رسل الله وهم الملائكة أتوا بالبشرى إلى إبراهيم بشروه بإسحاق ولدا ويعقوب ولدَ ولدٍ ﴿قَالُواْ سَلاَمًا﴾ سلمنا عليك سلاما ﴿قَالَ سَلاَمٌ﴾ قال: عليكم سلام، إبراهيم كان مكرما للضيوف، لما دخل الضيف وسلموا عليه خرج إبراهيم ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ ذهب وأخذ عجلا سمينا كما قال في سورة أخرى[2] وشواه وأتاهم به مشويا ﴿فَلَمَّا رَءَا أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ فنظر إلى الضيف ما تناولوا الطعام، لم يأكلوا، والمضيف إذا رأى الضيف يمتنع من طعامه يخاف منه، نكرهم خاف منهم ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أضمر في نفسه خيفة هل أتوا بخير أم بشر ﴿قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ لنهلكهم، بشروه أنهم أتوا لهلاك قوم لوط ولوط ابن أخيه هاران وكان تلميذا له أرسله الله إلى قرى ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ امرأة إبراهيم سارة ﴿قَائِمَةٌ﴾ تخدمهم ﴿فَضَحِكَتْ﴾ استبشارا بهلاك قوم لوط، أو فضحكت حاضت[3] فرحت حتى خرج منها الحيض ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ بشرها الملائكة بأن ستجد ولدا اسمه

---

[1] – قاله جلال الدين السيوطي في تفسير الجلالين. حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ج221/2.

[2] – هي سورة الذاريات الآية 26 "فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين".

[3] – ذكر الخازن هذه الأقوال كلها ج340/2.

إسحاق ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾ وإسحاق هذا سيولد له ولد اسمه يعقوب، وهي تعيش حتى ترى ولد ولدها الذي هو يعقوب ﴿قَالَتْ يَاوَيْلَتَا﴾ كلمة تعجب ﴿ءَأَلِدُ﴾ أنا ألد ﴿وَأَنَاْ عَجُوزٌ﴾ لي تسع وتسعون سنة ما ولدت قط، ألد بعد هذا؟ ﴿وَهَذَا بَعْلِي﴾ إبراهيم ﴿شَيْخًا﴾ إبراهيم له مائة وعشرون سنة ليس لنا ولد، أيمكن أننا نجد ولدا بعد هذا؟ ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ أن يولد ولد لهرمين ﴿قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قدرته ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ إن الله ينزل رحمته وبركته على أهل بيت إبراهيم ﴿إِنَّهُ﴾ الله ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود ﴿مَجِيدٌ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ زال الخوف من قلب إبراهيم ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ وأتته البشارة بالولد أخذ ﴿يُجَادِلُنَا﴾ يجادل رسلنا ﴿فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ في شأن قوم لوط ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ كثير الأناة ﴿أَوَّاهٌ﴾ رجّاع إلى الله ﴿مُنِيبٌ﴾ بطاعة الله تبارك وتعالى. والمجادلة هاهي: قال لهم: أهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا؟ قالوا: لا، قال: أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا؟ قالوا: لا، قال: أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا، قال: إن فيها لوطا[1]، إذا لا تهلكوهم لأن فيها لوطا. قالوا: نحن أعلم بمن فيها، فلما أطال إبراهيم مجادلة الملائكة قالوا ﴿يَاإِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الجدال ﴿إِنَّهُ قَدْ جَا أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ تكلم سلطان الألوهية: اعرض عن هذا يا إبراهيم. هؤلاء هلاكهم أتى ولا مرد له، حتى الخليل لا ينفع في هذا ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾

---

1 – المحاورة نقلها ابن كثير في تفسيره عن سعيد بن جبير ج453/2. وفي الجلالين راجع حاشية الصاوي على الجلالين ج223/2.

جاء القوم وهم ملائكة إلى لوط فحزن لما رآهم، التجليات واحدة وكل مشاهد يشاهد ما يناسب حاله، أتوا إلى إبراهيم بالبشرى وأتوا إلى لوط بأي شيء؟ سِيءَ بهم. إبراهيم وجد البشارة لما رآهم قالوا سلاما قال سلام، ولوط لما رآهم سيئ بهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ كما وقع جمال لإبراهيم وقع جلال للوط، كما وجد إبراهيم البسط وجد لوط القبض، كما وجد إبراهيم الأنس وجد لوط الهيبة. جاؤوا وهم حسان الوجوه، أحسنهم جبريل عليه الصلاة والسلام، كلهم مرد حسان ﴿وَقَالَ﴾ لوط ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ شديد علي. كان قوم لوط هم أول من ارتكبوا هذه الفاحشة، يجلسون في ناديهم إذا جاء ضيف يأخذونه ويطأونه في الدبر، يتناوبونه إذا فرغ هذا قام هذا، إذا فرغ هذا قام هذا حتى يفعلوا كلهم. وإذا جلسوا ولم يجدوا ضيفا حمل بعضهم على بعض فتعاملوا بهذه فنهاهم لوط فلم ينفع، فانتقل مهاجرا وزوجته واهلة كافرة عدو قلبها مع الكفار. لما خرج لوط إلى الهجرة خافوا من ذلك أنهم لا يجدون ضيفا يفعلون به ما يشتهون، قالت لهم المرأة: لا تخافوا لا يفوتكم شيء، إذا جاءه ضيف إن كان ليلا فأنا أوقد نارا، إذا رأيتم نارا بالليل فاعلموا أن هنالك ضيفا، وإذا كان نهارا أدخن أوقد نارا إذا رأيتم دخانا نهارا فاعلموا أن هناك ضيفا. فجاء ضيوف شبان مرد حسان أحسنهم جبريل، فحزن لوط يخاف أن القوم سيعملون كعادتهم فدخنت المرأة ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ﴾ لما علموا بهم ﴿يُهْرَعُونَ﴾ يسرعون ﴿إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئهم ﴿كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ وهي إتيان الرجال في الأدبار ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿يَاقَوْمِ هَؤُلاَءِ بَنَاتِي﴾ اتركوا ضيفي وتزوجوا بناتي، لوط ليس له من الأولاد إلا البنات. أمرهم بتزويج بناته بشرط الإسلام، أسلموا فأزوجكم بناتي فتستغنون بهن عن إتيان الرجال في الأدبار. أو يعني بناتي بنات الأمة كلا لأن الرسول كل بنات الأمة بناته، اكتفوا

بزوجاتكم اللاتي هن كلا بناتي ولا تتعرضوا لأضيافي ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَلاَ تُخْزُونِ﴾ لا تفضحوني ﴿فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ من حاجة، لا حاجة لنا في بناتك ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ من إتيان الرجال في أدبارهم ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ طاقة ﴿أَوْ ءَاوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ عشيرة تنصرني لبطشت بكم، قال لوط لو كان لي قوة أو كان لي عشيرة لبطشت بكم. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (رحم الله أخي لوطا كان يأوي إلى ركن شديد)[1]. من ذلك الوقت ما أرسل الله نبيا إلا في عشيرة قوية ﴿قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَّصِلُواْ إِلَيْكَ فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ الَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ قال الملائكة للوط لا تخف هؤلاء لا يصلون إلينا فاسر أنت بأهلك فقط إذا جن الليل فاخرج ولا يلتفت أحد من جماعتك لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم لأن من رأى العذاب ربما أذاق منه، إلا امرأتك فهي من الكفار مصيبها ما أصابهم. لم يخرج بها وقيل خرجت والتفتت فقالت واقوماه فجاءها حجر فقتلها. لما أتى القوم نهارا هرولوا إلى الضيف وفي مقدمتهم جبريل وهو أجملهم فجاء رجل وأخذ جبريل يريد أن يعمل به العمل فمسح جبريل وجهه فرجع الوجه كالقفا كل من دنا منه مسح

---

1 - أخرج الترمذي في سننه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، قال: ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم جاءني الرسول أجبت ثم قرأ "فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن" قال ورحمة الله على لوط إن كان ليأوي إلى ركن شديد إذ قال "لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد" فما بعث الله من بعده نبيا إلا في ذروة من قومه. سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ باب ومن سورة يونس (3041).

وجهه فصار كالقفا فلم يبق لهم عين ولا أذن ولا فم ولا شيء، بقوا يموجون ويقولون لوط هذا سحرنا[1] هذا أول ما ذاقوا في النهار، وخرجوا ليلا سأل لوط ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ فقال لوط: أريد أعجل من ذلك، قالوا ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ فَلَمَّا جَا أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا﴾ قراهم ﴿سَافِلَهَا﴾ لما جاء الليل نزل جبريل فأخذ خمس مدن من مدنهم الكبار وحملها على ريشه إلى أن بلغ عنان السماء فقلب القرى فصارت عاليها سافلها وأغرقهم في البحر وأمطروا أثناء ذلك بحجارة من السماء أيضا. عُثر في هذه السنين الأخيرة على تلك القرى التي أغرقها جبريل في البحر ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ جبريل وحده رفع تلك القرى بكاملها إلى أن بلغت السماء ما صاح ديك ولا نهق حمار ولا نبح كلب و لم يستيقظ أحد منهم حتى دمرهم جميعا. بهذا تعلم أن نزول خمسة آلاف من الملائكة يوم بدر إكرام للمصطفى فقط، وأما هلاك الكفار فيكفيه جبريل وحده، هم نزلوا تعظيما لشأن المصطفى وإكراما له، لو قُصد هلاكهم لكفى جبريل وحده لهلاك جميع الأمم، فهو الذي أهلك جميع من تقدم من الأمم «وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ» طين طبخ بالنار ﴿مَنضُودٍ﴾ متتابع ﴿مُسَوَّمَةً﴾ معلَّمة عليها اسم من يُرمَى بها ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ وهذا وقع عند الله تبارك وتعالى، عند الله أي في حكم الله، الله ليس له ظرف مكان ولا زمان، عنده أي في حكمه فقط، هذا حكم الله ﴿وَمَا هِيَ﴾ الحجارة أو بلادهم ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أهل مكة ﴿بِبَعِيدٍ﴾ وآثار تلك القرى مرئية لقريش في أسفارهم إلى الشام يمرون بقرى القوم الذين هلكوا، هلا تدبروا أنهم سيهلكون كهؤلاء. اللهم صل على سيدنا محمد.

---

1 – ذكره الصاوي في حاشيته ج224/2.

الدرس السادس والعشرون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيـــم

يا همة الشيخ احضري   لنـــا بهذا المحضـــر
ولتعطفـــي بنظـــرة   تأتي لنـــا بالظفـــر

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ مدين ابن إبراهيم بَنَى بلدة فسميت به أو مدْين قبيلة، إما أن يكون اسم المدينة أو اسم القبيلة سواء، أرسل الله إليهم شعيبا ابن ابن مدين ﴿قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾ دعا قومه إلى ما يدعو إليه الأنبياء والرسل جميعا وهو التوحيد وعبادة الله تبارك وتعالى وحده، فهذا أصل الدين. ونهاهم عما كانوا يتناولون من النقص في المكيال والميزان ﴿وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ بكم يهلككم ﴿وَيَاقَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ أتموهما ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئا ﴿وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره. كانوا إذا اكتالوا من الناس أتوا بمكيال كبير ليأخذوا كثيرا من عند الناس وإذا كالوا للناس أتوا بمكيال صغير ليبخسوهم، وكذلك في الميزان، وهذا جور وظلم، ونهاهم عن ذلك نبي الله شعيب أنهم إن فعلوا ذلك يخاف عليهم عذابا، العذاب من عذب إذا منع، ومنه الماء العذب لمنعه العطش، ومنه العذاب لأنه يمنع الإثم[1]. وعظهم أنهم إن استمروا على نقص المكيال والميزان

---

1 – في اللسان: عذَبَه عنه عذْبًا: منعه وفطمه عن الأمر

أن الله يحيطهم بعذاب من عنده ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ﴾ رزقه الباقي لكم بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بقية الله إضافة تشريف، إذا تركوا نقص المكيال والميزان وتركوا التطفيف والرباوات التي كانوا يأخذونها مما ليس لهم، فالذي يبقى بأيديهم هو الحلال وهو الذي سماه الله بقية الله، إضافة تشريف ما بقي من رزق الله، إضافة تشريف كناقة الله وبيت الله، ما يبقى من رزق الله لكم خير لكم من هذا الذي تأخذونه من أموال الناس ظلما لأن الظلم مآله إلى الهلاك فقط، فإن الله تبارك وتعالى يقبل أن يستقيم الملك في الدنيا مع الكفر لأن الكفر عقابه النار فقط، ولا يقبل الظلم ولا الجور، هذا ينتقم من أهله في الدنيا قبل الآخرة، فلهذا تجد كافرا إذا عدل يستقيم له الملك لأن عنده من العقاب ما يكفيه وهو النار، وإذا جار هلك ﴿وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ رقيب أجازيكم بأعمالكم ﴿قَالُواْ يَاشُعَيْبُ﴾ استهزاء ﴿أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ بتكليف ﴿أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ هذا أمر باطل لا يدعو إليه داع بخير. كان كثير الصلوات فلما أرادوا الاستهزاء به قالوا له: لعل صلواتك هي التي تأمرك بمثل هذا أن نترك ما يعبد آباؤنا وأموالنا لنا نتصرف فيها كما نحب، أنت صلواتك تأمرك بهذا ﴿إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ﴾ الأحمق ﴿الرَّشِيدُ﴾ السفيه. قلبوا له الحقيقة أرادوا أن يصفوه بأنه غاو وسفيه فوصفوه أنه عاقل ورشيد، أو إنك لأنت الحليم العاقل الرشيد في زعمك ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ حلالا أفأشوبه بالحرام من البخس والتطفيف؟ ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾ وأذهب ﴿إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ فأرتكبه ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ﴾ لكم بالعدل ﴿مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيَ﴾ قدرتي على ذلك وغيره من الطاعات ﴿إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ارجع ﴿وَيَاقَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ لا يكسبنكم

﴿شِقَاقِيَ﴾ خلافي ﴿أَنْ يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ لا يحملنكم حبكم لمخالفتي أن يقع فيكم الهلاك كما وقع في هؤلاء ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ﴾ منازلهم وزمن هلاكهم ﴿مِنكُم بِبَعِيدٍ﴾ ببعيد منكم فاعتبروا ﴿وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ بالمؤمنين ﴿وَدُودٌ﴾ محب لهم لولا وده لما استمر الرزق والبقاء على ما يرتكبون من المعاصي ﴿قَالُواْ يَاشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ ذليلا، وصفوه بأن قلوبهم لا تفقه شيئا مما يقول لعدم مبالاتهم به وأنهم لا يعتبرونه عزيزا فيعتبرون كلامه ﴿وَلَوْلاَ رَهْطُكَ﴾ عشيرتك ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ بالحجارة ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ كريم. أبناء الدنيا العظمة عندهم بالمال والجاه، وأهل الدين المعتبر عندهم العلم والعمل به، فمن كان عالما عاملا بعلمه فهو الجليل عند العقلاء، وإن كان فقيرا، وإن كان ليس له جاه عند الناس، بعكس أبناء الدنيا كل من عنده رئاسة وجاه وأموال يعتبرونه جليلا وإن كان ليس عنده علم ولا عبادة، وإليه يشير حديث (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)[1] حيث أنهم عمي البصائر نظروا إلى نبي الله شعيب أنه ضعيف حقير ولكن رهطه الذين عندهم الأموال هم الأعزاء ولولا عزة رهطه عندهم لقتلوه بالحجارة ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَهْطِيَ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ﴾ فتتركون قتلي لأجلهم ولا تحفظوني لله؟ ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾ الله ﴿وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ منبوذا خلف ظهوركم لا تراقبونه ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ إن ربي محيط علما بما تعملون فيجازيكم ﴿وَيَاقَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ أي حالتكم ﴿إِنِّي

---

1 – أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب/ باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره... (4651)

عَامِلٌ﴾ على حالتي ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ أنا أم أنتم ﴿وَارْتَقِبُواْ﴾ انتظروا عاقبة أمركم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ منتظر ﴿وَلَمَّا جَا أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ﴾ صاح بهم جبريل ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ باركين على الركب ميتين ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ﴾ كأنهم لم يغنوا يقيموا ﴿فِيهَا﴾ هلكوا حتى صاروا هباء منثورا كأنهم لم يقيموا في ديارهم قط ﴿أَلاَ بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ هلكوا. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ برهان بين ظاهر ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ سديد ﴿يَقْدُمُ﴾ يتقدم ﴿قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فيتبعونه كما اتبعوه في الدنيا ﴿فَأَوْرَدَهُمْ﴾ أدخلهم ﴿النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ وَأُتْبِعُواْ فِي هَذِهِ﴾ الدنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لعنة ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ﴾ العون ﴿الْمَرْفُودُ﴾ رفدهم ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْهَا﴾ القرى ﴿قَائِمٌ﴾ هلك أهله دونه ﴿وَ﴾ منها ﴿حَصِيدٌ﴾ هلك بأهله فلا أثر له كالزرع المحصود بالمناجل ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالشرك ﴿فَمَا أَغْنَتْ﴾ دفعت ﴿عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَا أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عذابه ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾ بعبادتهم ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ تخسير ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الأخذ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾ أريد أهلها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ بالذنوب فلا يغني عنهم من أخذه شيء ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ الرسول

صلى الله عليه وسلم «وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد»[1] هؤلاء اتبعوا فرعون فغرقوا في البحر ووردوا النار مع فرعون. ذكر القرآن سبعة أنفار اتبعوا سبعة أشياء وكلهم وجد نتيجة اتباعه: قابيل اتبع نفسه "فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين" "فأصبح من النادمين" طاعة النفس لا يجنى منها إلا الخسران والندامة، ووصف واحدا من علماء بني إسرائيل بلعام بن باعوراء "أخلد إلى الأرض واتبع هواه" فسلب ما منحه الله تبارك وتعالى فصار كافرا وصار "مَثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث" لا يميز بين الكرامة والإهانة. وذكر قوما اتبعوا الشهوات "فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا" وقوم اتبعوا رؤساء الضلالة "إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب" مآلهم إلى الحسرات يوم القيامة. وقوم فرعون «اتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار» وإبليس اتبعه قوم "إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين وإن جهنم لموعدهم أجمعين" طاعة إبليس هذا مآلها. وقوم اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله" أما اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فيجنى بسببه محبة الله. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي (يا عبادي إني حرمت الظلم على

---

1 – أخرج الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته قال ثم قرأ "وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد") صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب قوله وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى" (4686)، وفي رواية مسلم (إن الله عز وجل يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب/ باب تحريم الظلم (4680). تقدم في الدرسين 10 و20.

نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)[1] «وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد» إن الله تبارك وتعالى ليملي للظالم، يملي يمهل ولا يهمل، يملي ربما يمهل الظالم لأنه لا يفوته شيء ولا يعجزه شيء عندما يأخذه لم يفلته ولكن لا يهمل، عدله تبارك وتعالى يأبى ذلك ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من القصص ﴿لَآيَةً﴾ لعبرة ﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ﴾ يوم القيامة ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ﴾ فيه ﴿النَّاسُ﴾ يوم يجمع فيه الناس جميعا ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ يشهده جميع الخلائق ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ لوقت معلوم عند الله تبارك وتعالى لا عند غيره

---

1 – أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى بلفظه. صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب/ باب تحريم الظلم (4674).

﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ذلك اليوم ﴿لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾ لا تتكلم نفس ﴿إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ تبارك وتعالى ﴿فَمِنْهُمْ﴾ الخلق ﴿شَقِيٌّ وَ﴾ منهم ﴿سَعِيدٌ﴾ كتب كل في الأزل. إن الله تبارك وتعالى فرغ من أربعة: من رزق الإنسان وأجله وشقي أو سعيد[1]، رفعت الأقلام وجفت الصحف[2]. واعملوا فكل ميسر لما خُلق له[3]. من خلقه الله للسعادة يوفقه لعمل أهل السعادة حتى يختم بعمل أهل السعادة فيسعد، ومن كتب الله عليه الشقاوة – نعوذ بالله – يخذله ويتركه يعمل عمل أهل الشقاوة حتى يختم بعمل أهل الشقاوة فيشقى. سعادة العبد بفضل الله ورحمته (لن يدخل أحدكم الجنة عمله)[4]، وشقاوة العبد بعدله لأن الظلم لا يتأتى من الله تبارك وتعالى. الظلم التصرف في

---

1 – لحديث الشيخين عن ابن مسعود رضي الله عنه واللفظ للبخاري: قال عبد الله حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق/ باب ذكر الملائكة (3208)، صحيح مسلم: كتاب القدر/ كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة أجله (4781).

2 – (رفعت الأقلام وجفت الصحف) طرف من حديث أخرجه الترمذي في سننه عن ابن عباس، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (2440) وقد سبق تخريجه في الدرس 17.

3 – سبق تخريجه في الدرس 18 والدرس 20 من صحيح البخاري: كتاب التفسير/ باب فسنيسره للعسرى (4949) ومن صحيح مسلم: كتاب القدر/ كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (4787).

4– في صحيح البخاري عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قال: (سددوا وقاربوا واعلموا أن لن يدخل أحدا عمله الجنة. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة). صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب القصد والمداومة على العمل (6467) وقد سبق ذكره في الدرسين 18 و24.

ملك الغير، فإنما ندخل الجنة برحمة الله تبارك وتعالى، ونتقاسم درجاتها بأعمالنا، ونكون فيها خالدين أبدا بنياتنا. والأشقياء يدخلون النار بعدل الله تبارك وتعالى، ويتقاسمون دركاتها بأعمالهم السيئة، ويخلدون فيها بنياتهم[1] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ﴾ في علمه تبارك وتعالى ﴿فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ صوت شديد ﴿وَشَهِيقٌ﴾ صوت ضعيف، صوت الحمار أوله زفير وآخره شهيق ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ مدة دوامهما في الدنيا فالمراد سماوات الدنيا وأرضها ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ غير ما شاء ربك من الزيادة على مدتهما مما لا منتهى له، والمعنى خالدين فيها أبدا، هذا تفسير جلال[2]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ﴾ غير ﴿مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ كما تقدم ودل عليه فيهم قوله ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي مقطوع. إن الله تبارك وتعالى وصف الخلود في الجنة، الخلود في كلام العرب ليس خلودا أبديا، المكث الطويل يطلق عليه العرب الخلود، فلهذا إذا أرادوا أن يكون خلودا أبدا يصفونه بِأَبَداً، وصف أهل الجنة وأهل النار بأنهم خالدون فيها في الجنة وفي النار أبدا ما دامت السماوات والأرض. كان العرب إذا أرادوا أن يعبروا بالخلود يقولون ما دامت السماوات والأرض لاعتقادهم أنهما خالدان، والقرآن جاء على لغتهم وعباراتهم فجاءت هذه الآية "ما دامت السماوات والأرض" يعني أبدا، أو ما دامت السماوات والأرض سماوات الآخرة وأرض الآخرة، لأن كل ما يظلك فهو سماء

---

1 - راجع تفسير روح البيان ج40/4.

2 - انظر الصفحة 228 من ج2 من حاشية الصاوي على تفسير الجلالين.

وكل ما يقلك فهو أرض، والمراد خالدين فيها أبدا إلا ما شاء ربك يقول المفسر[1]: أوقات خروجهم من الجحيم إلى الزمهرير. والحق أن أهل الجنة خالدون فيها أبدا كما وصف القرآن وأهل النار خالدون فيها أبدا كما وصف القرآن. وأهل الجنة سوف يستمرون في الجنة في التنعم والترقي في النعم حتى يصلوا إلى حالة تشبه حالتهم في الأزل، وأهل النار يبقون في الامتحانات والعذاب حتى يصلوا إلى حالة تشبه حالتهم في الأزل، عندما تجلى الأزل في الأبد كنا في علم الله في الأزل كما كنا في الدنيا، وكما سنكون في الجنة سنرجع إلى تلك الحالة أخيرا فيكون الأبد مرآة الأزل ويكون الباقي هو الله تبارك وتعالى "هو الأول والآخر والظاهر والباطن" لابد أن اسمه الآخر يتجلى آخر كل شيء مع خلود أهل الجنة في الجنة وخلود أهل النار في النار ﴿فَلاَ تَكُ﴾ يا محمد ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاَءِ﴾ من الأصنام، إنا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم، وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿مَا يَعْبُدُونَ إلاَّ كَمَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُهُمْ﴾ أي كعبادهم ﴿مِن قَبْلُ﴾ وقد عذبناهم فكيف بهم ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ﴾ مثلهم ﴿نَصِيبَهُمْ﴾ حظهم من العذاب ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ تاما ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ بالتصديق والتكذيب كالقرآن ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي المكذبين به ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ موقع في الريبة ﴿وَإِن كُلاًّ﴾ كل الخلائق ﴿لَمَا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ يوفي لهم جزاء أعمالهم جميعا ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم ببواطنه كظواهره ﴿فَاسْتَقِمْ﴾ يا محمد على العمل بأمر ربك والدعاء

---

1 – يعني الصاوي في حاشيته ج2/229.

إليه ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾ أمر الله نبيه أن يستقيم كما أمره ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ وليستقم من تاب معك. رسول الله صلى الله عليه وسلم سارعه الشيب، شاب رأسه قبل وقت الشيب، كلموه: يا رسول الله قد أسرع إليك الشيب؟ قال: (شيبتني هود وأخواها)[1] قالوا: بقصص الأنبياء وهلاك الأمم؟ قال: لا، بقوله «فاستقم كما أمرت». أمره الله تبارك وتعالى أن يستقيم كما أمره الله تبارك وتعالى، "فاستقم" الاستقامة أن يستقيم لسان العبد وتستقيم جوارحه وقلبه وروحه وكله. المصطفى صلى الله عليه وسلم اتصف بذلك وأمر من اتبعه أن يستقيموا كذلك، فلابد من ترك الدنيا والإقبال على الله تبارك وتعالى حتى تحصل الاستقامة التي هي نصف التقوى ونصف الصدق والإخلاص ﴿وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ﴾ تميلوا ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بموادات أو مداهنة أو رضى بأعمالهم ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ إن لله أمناء من خلقه وهم العلماء فهم أمناء الله تبارك وتعالى وورثة أنبيائه ما لم يخالطوا السلاطين، فإذا خالطوهم بموادات ومداهنة ورضى

---

1 – أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله قد شبت قال: (شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت). سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ باب من سورة الواقعة (3219). وفي الجامع الصغير (شيبتني هود وأخواها: الواقعة والحاقة وإذا الشمس كورت) للطبراني في الكبير عن سهل بن سعد. رقم 4912.

ونقل النووي عن ابن عباس في قوله تعالى «فاستقم كما أمرت» قال: ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين قالوا: قد أسرع إليك الشيب فقال شيبتني هود وأخواها. شرح النووي ج9/2.

بأعمالهم فقد خانوا الله والرسول[1]. ومخالطة العالم للسلطان على قسمين: أن يكون العالم هو الطالب، إذاً العالم هو الذي مال إلى الدنيا فهذا هو المذموم، أو يكون السلطان هو الطالب للعالم يريد منه الهداية والخير، هذا غير مذموم ولا ضرر فيه. فلهذا ورد شر العلماء من يأتي السلاطين وخير السلاطين من يأتي للعلماء[2] «فتمسكم النار» ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ غيره ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ يحفظونكم منه ﴿ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾ تمنعون من عذابه. إن الله تبارك وتعالى لا يقبل الظلم من الملِك أي ملِك كان، سواء ملك كافر أو مسلم. الدولة تستقيم مع الكفر ولا تستقيم مع الجور لأن الكفر جزاؤه النار فقط، وأما الظلم فلا بد أن ينتقم الله من الظالم في الدنيا. فلهذا تجد ملكا كافرا إذا عدل لا يضر ذلك ملكه، جزاء كفره عقابه في الآخرة، وأما إذا ظلم الناس فلابد أن يهلك. كان أنوشروان ملكا عادلا كتب إليه أحد عماله: إن البلاد أخصبت في هذا العام والمال كثير، تأذن لي أن أزيد في العشر ثلاثة أرباع؟ فما أجابه، فكتب ثانيا فما أجابه وثالثا فكتب إليه: كان في سكوتي عن جوابك ما يزجرك عن هذا والآن لما أبيت إلا جوابي فاقطع أذنك اليمنى

1 – جاء في كشف الخفاء: (العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان ويداخلوا الدنيا فإذا خالطوا السلطان وداخلوا الدنيا فقد خانوا الرسل فاحذروهم) رواه الحسن بن سفيان عن أنس. كشف الخفاء (1748) وفي الجامع الصغير بلفظه عن أنس رقم 5701.

2 – قال في بهجة المجالس: كان يقال شر الأمراء أبعدهم من العلماء وشر العلماء أقربهم من الأمراء. ص332.

وأرسلها إلي عقابا لبراواتك. ولما مات حُمل على سريره عاما كاملا يدورون به في مملكته يطلبون من يطالبه بحق فما رأوا أحدا يطالبه بحق[1] وهذا كان كافرا.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ سبب نزول هذه الآية أن واحدا من الأنصار يقال له أبو اليسر كان تاجرا فأتت امرأة جميلة تشتري تمرا فنظر إليها فأعجبته، فقال لها: التمر الجيد في داخل البيت ادخلي فدخلت، فأهوى إليها وفعل بها كل شيء ما عدا الجماع، ثم ندم على ذلك وتأسف وجاء إلى أبي بكر وأخبره القصة قال له: استر على نفسك واستغفر الله، فذهب إلى عمر فأخبره، قال له عمر: استر على نفسك واستغفر الله، فما ملك نفسه حتى أتى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فأخبره، فقال له صلى الله عليه وسلم: لعلها زوجة مجاهد تنتظرون حتى يخرج المسلمون إلى الجهاد تبقون في بيوتهم وتفعلون وتفعلون؟ غضب الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ولكني أنتظر الوحي، فلما صلوا العصر نزلت هذه الآية[2]

---

1 - عدالة أنوشروان وحمله بعد موته بحثا عمن يطالبه بحق ذكره البروسوي دون عزو في روح البيان ج201/4.

2 - أخرج الترمذي في سننه عن أبي اليسر قال: أتتني امرأة تبتاع تمرا فقلت: إن في البيت تمرا أطيب منه، فدخلت معي في البيت فأهويت إليها فتقبلتها، فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له قال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا، فلم أصبر فأتيت عمر فذكرت ذلك له فقال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا فلم أصبر، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال: أخلفت غازيا في سبيل الله في أهله بمثل هذا، حتى تمنى أنه لم يكن أسلم إلا تلك الساعة حتى ظن أنه من أهل النار قال وأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى أوحى الله إليه "وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل" إلى قوله "ذكرى للذاكرين" قال أبو اليسر فأتيته فقرأها علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أصحابه: يا رسول الله ألهذا خاصة أم للناس عامة؟ قال: بل للناس عامة. سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ باب من سورة هود (3040). وجاء في فتح الباري عند شرح الحديث رقم4687 قوله: وللطبري من طريق الأعمش عن

«وأقم الصلاة طرفي النهار» الغداة والعشي هذا الصبح والظهر والعصر، «وزلفا من الليل» طائفة من الليل: المغرب والعشاء. هذه الصلوات الخمس كما في آية أخرى[1] ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ﴾ الصلوات الخمس ﴿يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ يكفرن الذنوب الصغائر، فلما نزلت دعاه الرسول صلى الله عليه وسلم قال له: صليت العصر معنا؟ قال نعم، قال: فإن الله قد غفر لك، فقالوا: هذا لأبي اليَسَر وحده أم لنا عامة؟ قال: بل لكم عامة. (أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقي من درنه؟ قالوا: لا يُبقي من درنه شيئا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا)[2] «إن الحسنات يذهبن السيئات» ﴿ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ عظة للمتعظين ﴿وَاصْبِرْ﴾ يا محمد على أذى قومك أو على

إبراهيم النخعي قال: "جاء فلان بن معتب الأنصاري فقال : يا رسول الله دخلت على امرأة فنلت منها ما ينال الرجل من أهله إلا أني لم أجامعها " الحديث، وقد جاء أن اسمه كعب بن عمرو وهو أبو اليسر بفتح التحتانية والمهملة الأنصاري أخرجه الترمذي والنسائي والبزار من طريق موسى بن طلحة عن أبي اليسر بن عمرو أنه أتته امرأة وزوجها قد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعث فقالت له : بعني تمرا بدرهم، قال فقلت لها وأعجبتني: إن في البيت تمرا أطيب من هذا، فانطلق بها معه فغمزها وقبلها ثم فرغ فخرج فلقي أبا بكر فأخبره فقال: تب ولا تعد ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم الحديث، وفي روايته أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم العصر فنزلت.

[1] – هي قوله تعالى: "فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون" سورة الروم الآية 16-17.

[2] – أخرج الشيخان (واللفظ للبخاري) عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقي من درنه قالوا لا يبقي من درنه شيئا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة/ باب الصلوات الخمس كفارة (528)، وفي صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا (1071).

الصلاة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالصبر على الطاعة ﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم الماضية ﴿مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾ أصحاب دِين وفضل ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ﴾ هلا كان هذا؟ هلا كان بعض العلماء وبعض أهل الفضل وبعض أهل الدين يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿إِلاَّ﴾ لكن ﴿قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ قليل منهم نهوا عن المنكر فنجوا ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بالفساد وترك النهي ﴿مَا أُتْرِفُواْ﴾ نعموا ﴿فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾ منه ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ مؤمنون إن الله تبارك وتعالى لا يهلك القرى وأهلها مصلحون أي مؤمنون ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أهل دين واحد ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في الدين ﴿إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ أراد لهم الخير فلا يختلفون يتفقون على أصل الدين الذي هو الإيمان ﴿وَلِذَلِكَ﴾ أي لأجل الاختلاف ﴿خَلَقَهُمْ﴾ إن الله خلق الخلق وأراد اختلافهم منهم شقي وسعيد كما تقدم، والاختلاف المذموم هو الاختلاف في العقائد، أما إذا اتفقوا على أصل التوحيد واختلفوا في الفروع فذلك خير، وإليه يشير (اختلاف أمتي رحمة)[1] إذا كان الاختلاف في الفروع فهذا لا يضر وأما الاختلاف في العقائد والحق واحد فهذا محل الضرر. (افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ما أنا عليه وأصحابي)[2] أي الذين

---

1 – (اختلاف أمتي رحمة) في الجامع الصغير ج1 رقم 288 عن نصر المقدسي في الحجة والبيهقي في الرسالة الأشعرية بغير سند. تقدم في الدرسين 9 و 14.

2 – أخرج أبو داود في سننه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث

تمسكوا بالسنة مع الجماعة ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وهي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ﴾ الجن ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ وَكُلاًّ﴾ أي كل ما يحتاج إليه ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ﴾ نُطَمئن ﴿بِهِ فُؤَادَكَ﴾ قلبك. أخبر الله تبارك وتعالى نبيه أنه يقص عليه من أنباء رسله ما يثبت به فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم، فلهذا تجد حكايات الصالحين نافعة للسامعين، قالوا: إن الحكاية جند من جنود الله يؤيد بها قلب من شاء من عباده بدليل «وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك» ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ الأنباء أو الآيات ﴿الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ جاءك الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين خصوا بالذكر لانتفاعهم به فلا بد من الجمع بين الشريعة والطريقة والمعرفة والحقيقة، «الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين». تعمل بالشريعة وتسلك الطريقة بمعرفة تامة حتى تصل إلى الحقيقة. كان أبو بكر غالب المعرفة، وكان عمر غالب الشريعة، وكان عثمان غالب الطريقة، وكان علي غالب الحقيقة. كلهم بحر في كل هذه ولكن ما يغلب على حال كل واحد منهم هكذا. أبو بكر دائما تجد أحواله تطابق المعرفة، وعمر الشريعة وعثمان الطريقة وعلي الحقيقة ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ على حالتنا تهديد لهم ﴿وَانتَظِرُواْ﴾ عاقبة أمركم ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ وعَظ الكفار أنهم

وسبعين فرقة) سنن أبي داود: كتاب السنة/ باب شرح السنة (3980). وأخرج الترمذي عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي) سنن الترمذي: كتاب الإيمان/ باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (2565). سبق في الدرسين 9 و14.

يعملون على حالتهم ونحن نعمل على حالتنا وننتظر النتيجة. قال الصوفية: طلبنا أربعة فوجدناها في أربعة: طلبنا رضى الله فوجدناه في طاعته، من أراد رضى الله فليكثر من طاعة الله تبارك وتعالى، قالوا: وطلبنا السعة في الرزق فوجدناها في صلاة الضحى، وطلبنا نور القبر فوجدناه في صلاة الليل، وطلبنا سلامة الدين فوجدناها في حفظ اللسان[1]. ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ علم ما غاب فيهما ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ﴾ يرد ﴿الأَمْرُ كُلُّهُ﴾ فينتقم ممن عصى ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ وحِّدْه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ ثق به فإنه كافيك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وإنما يؤخرهم لوقتهم.

---

1 – روح البيان عن أبي بكر الوراق ج199/4.

سورة يوسف عليه السلام

مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ سبب نزولها أن اليهود أرسلوا إلى أهل مكة: سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبب انتقال بني إسرائيل من الشام إلى مصر، لا يعرفه أبدا، وسلوه عن قصة يوسف، فنزلت هذه السورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتتهم بقصة يوسف بكاملها، وكانت من مكنون علمهم، والذي يأتي بها رجل أمي نشأ في البادية ما جالس عالما قط، ولا كتب ولا قرأ، فأتاهم بما كان مكنونا في كتبهم. نزلت هذه السورة ﴿أَلَر﴾ الله أعلم بمراده بذلك، أصح التفاسير فيه ذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر للحق من الباطل ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ أنزلنا هذا القرآن بلغة العرب ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تَعْقِلُونَ﴾ تفهمون معانيه. هذا شرف العرب، القرآن نزل بلغة العرب، فلهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل خلق السماوات سبعا فاختار العلى منها فأسكنها من شاء من خلقه ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضرا، واختار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم، فأنا من خيار إلى خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم)[1] ويقول: (أحبوا العرب لأني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة

1- روى البيهقي في الدلائل عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إنا لقعود بفناء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو سفيان مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط النتن. فانطلقت المرأة فأخبرت رسول

عربي)[1] ولما جاء القرآن عربيا وصفه بقوله «لعلكم تعقلون» لهذا فإن تفسير القرآن يأتي منقولا ويأتي معقولا، منقولا لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي وكله الله أن يبين لنا القرآن "لتبين للناس ما نزل إليهم" فكل ما نقل عنه به نفسر القرآن، وكذلك العقل أعطانا أن نتعقل لما قال «قرآنا عربيا لعلكم تعقلون» فما وافق العقل من تفسير القرآن أيضا نقبله كذلك، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ أخبره أنه يقص عليه أحسن القصص وهي قصة يوسف. لِمَ تكون قصة يوسف أحسن القصص؟ لأنه الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم)[2]. يوسف نبي الله، يعقوب نبي الله، إسحاق نبي الله، إبراهيم خليل الله، ما تناسل ولد من ثلاثة أنبياء غير يوسف، فلما كان هو أحسن الناس صورة، ونسبه أحسن الأنساب وصف الله قصته بأنها أحسن القصص، أو

الله صلى الله عليه وسلم فجاء يعرف في وجهه الغضب فقال: (ما بال أقوال تبلغني عن أقوام، إن الله جل وعز خلق السماوات سبعا فاختار العلى منها فأسكنها من شاء من خلقه ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشا، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا من خيار إلى خيار فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم). دلائل النبوة ج1 ص 134، وأخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن عمر بألفاظ مشابهة: كتاب معرفة الصحابة/ باب ذكر فضائل قريش (7031)

1 - (أحبوا العرب لثلاث لأني عربي، والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي) أخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس: كتاب معرفة الصحابة/ باب حب العرب إيمان وبغضهم نفاق (7077).

2 - أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قوله تعالى لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين (3382).

ذكر أنها أحسن القصص لأنها قصة يوسف وهو أجمل الأنبياء ما عدا نبينا صلى الله عليه وسلم، فهو أعطي شطر الحسن[1] وأُعطِي نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن كاملا، ولكن يوسف أعطي الملاحة وأعطي الرسول صلى الله عليه وسلم الجمال مع الجلال. يوسف جماله تجرد عن الجلال، فلهذا راودته النساء، والرسول صلى الله عليه وسلم مع جماله مهاب من رآه بديهة أهابه ومن خالطه أحبه، فهو أجمل من يوسف ولكنه أجل منه، فلم يقع للنساء مع نبينا صلى الله عليه وسلم مثلما وقع لهن مع يوسف عليه الصلاة والسلام. أحسن القصص: جبريل أحسن الملائكة، والقرآن أحسن الكتب، ويوسف صاحب القصة أحسن الأنبياء، ونزل على محمد أحسن الناس مطلقا. لا جرم أن سميت أحسن القصص. أو أحسن القصص لأن فيها حسد إخوة يوسف ليوسف ومحاولتهم لقتله وإلقاءه في الجب وبيعه حتى صار عبدا وغربته وسجنه ودخل في خبره خبر تزويجه بزليخا، فرقة ووصلة، وعشق وعاشق ومعشوق، وفراق ووصال، كل قصة تضمنتها قصة يوسف حتى صار ملكا سائسا بعدما كان عبدا مملوكا، وحسده إخوته فعفا عنهم من غير مؤاخذة "لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم" فلهذا قال ابن عباس: علموا أرقاءكم سورة يوسف، ما قرأها محزون إلا فرج الله عليه. ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا﴾ بإيحائنا ﴿إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ الجاهلين بخبر يوسف. اذكر ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوب ﴿يَاأَبَتِ﴾ يا أبي ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ في المنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾ تأكيد ﴿لِي سَاجِدِينَ﴾ أي له، رأى في المنام أولا اثني

---

1 – رواه مسلم في صحيحه عن أنس من حديث الإسراء وفيه قال صلى الله عليه وسلم (فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم إذا هو قد أعطي شطر الحسن ... الحديث) صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم (234).

عشرة خشبة طوالا ركزت على الأرض فخرجت خشبة صغيرة منها وتغلبت على الإحدى عشرة حتى قلعتها. قصها على أبيه فقال له: لا تقص هذه الرؤيا[1]، فرأى بعد ذلك هذه الرؤيا التي ذكرها القرآن، قال إنه رأى في المنام أحد عشر كوكبا والشمس والقمر يسجدون له فسمعته ضرة أمه وقصت القصة على إخوته فقالوا ما رضي أن يسجد له إخوته حتى يسجد له أبوه وأمه، سيرى وهموا بقتله. سمي يعقوب يعقوب لأنه ولدته أمه توأما، كان يعقوب وعيص توأمين فلما حضرت ولادهما أراد يعقوب أن يسبق فعرض له عيص وقال له: إذا أردت أن تسبقني فسأعترض في بطن أمي فتموت أمنا ونموت جميعا، فتأخر يعقوب وخرج عيص فتبعه يعقوب، فلهذا سمي يعقوب، فصار يعقوب أحب إلى أمه، وعيص أحب إلى أبيه إسحاق، فلما قربت وفاة إسحاق، لكل نبي دعوة مستجابة، دعا عيصا وكان عيص حرفته الصيد، ويعقوب يربي الحيوانات، قال إسحاق لعيص: صد لي وحشا واشو لي لحمه وآتني به أدع لك الدعوة التي ادخرت، فسمعته أمه وذهبت إلى يعقوب فقالت له: اذبح شاة واشوها الآن وأت بها إلى أبيك لتأخذ هذه الدعوة، وكان إسحاق قد كف بصره، فشوى يعقوب وأتى بالشوى ولبس جلد الشاة، وقال له: أنا ابنك عيص جئتك بالشوى، لمسه فقال: اللمس لمس عيص ولكن الرائحة رائحة يعقوب ولكن أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل النبوة والرسالة في ذريتك، فلما خرج يعقوب جاء عيص بالصيد مشويا قال له: جئت ها هو اللحم، قال له: سبقك يعقوب، ولكن ادخرت دعوة أخرى أسأل الله أن يكثر من ذريتك حتى يكونوا كالتراب، فكان عيص والد الروم الذي خرج من صلبه هؤلاء

1 – رؤيا يوسف عليه السلام بالأغصان ذكرها الثعلبي في قصص الأنبياء (العرائس) ص65.

الأوربيون جميعا، بقيت الكثرة والقوة في أولاد عيص، والرسالة والنبوة في أولاد يعقوب. فحسد عيص يعقوب يريد أن يقتله فلما قربت وفاة إسحاق قال: احملوا يعقوب إلى بلاد أخواله في الشام، يخاف أن يقتله عيص. فلما حمل إلى الشام وجد خاله عنده بنتان ليَا وراحيل فخطب من خاله إحدى البنتين قال له: هل عندك مال؟ قال: لا، قال له: إذاً ترعى لي سبع سنوات وأزوجك، فرعى له سبع سنوات وكان يحب راحيل فزوجه ليَا الكبيرة، فلما دخل بها أتى لخاله وقال له: خنتني وخدعتني إنما كنت أخطب راحيل وأنت أعطيتني ليا، قال: عادتنا لا نزوج صغيرة ما دامت كبيرتها لم تتزوج، ولكن ترعى لي سبع سنوات أخرى أزوجك راحيل معها، كان الجمع بين الأختين جائزا في شرعهم، فرعى سبع سنوات وتزوج راحيل[1]. ولدت لايا له ستة أولاد: يهودا، روبيل، شمعون، لاوى، ربالونَ، يشجر. وكلتا البنتين زودت بأمة فصار عند يعقوب زوجتان ليا وراحيل وأمتان، أما ليا فولدت ستة بنين، والجاريتان كل جارية ولدت ابنين دانٍ ونفتالى من أمة، جاد وآشر من أمَة أخرى. هؤلاء عشرة أولاد وبقيت راحيل ما ولدت حتى ولدت يوسف وولدت بنيامين وماتت في نفاسها على بنيامين. هؤلاء أولاد يعقوب الإثنا عشر: يوسف أصغرهم ما عدا بنيامين. فكان من الجمال كما وصف القرآن. فأحبه يعقوب حبا شديدا، وكان يلازمه دون بنيه، فلما رأى هذه الرؤيا وقصها على أبيه عرف الوالد تفسير الرؤيا، الأشياء إذا ريئت في الغيب تأتي على خلاف ما تظهر، أحد عشر كوكبا هو أحد عشر أخاً، والشمس والدته والقمر أبوه، والدته

---

1 – قصة التوأمين يعقوب والعيص وما كان بينهما عند ولادهما ودعوة إسحاق التي سبق إليها يعقوب بحيلة من أمه وغضب العيص وتوعده أخاه بالقتل ورحيل يعقوب إلى خاله ورعيه له وتزويجه إياه ابنتيه ليا وراحيل، مبسوطة في تفسير روح البيان ج4/ 211- 212.

ماتت ولكن خالته قامت مقام الوالدة. وهذه الرؤيا رآها يوسف وبقي ثمانين سنة[1] قبل أن تتحقق، فلهذا الرؤيا الصالحة يتأخر ظهور تفسيرها لأنها بشارة أراد الله أن يطلعك على ما يسرك قبل إبانه، بخلاف الرؤيا السيئة فإنها تظهر عاجلا، ولأنها إساءة يؤخرها الله تبارك وتعالى إلى قرب ظهورها فلا ترى رؤيا سيئة إلا وجاءت قريبا. فبين بداية الرؤيا وتأويلها مكث يوسف ثمانين سنة. لما رأى الكواكب وهي إخوته، والشمس وهي خالته، والقمر وهو أبوه، كان كما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه يذبح بقرا ورأى ثلما في سيفه في غزوة أحد فكان تأويل ذلك ما وقع في أحد من استشهاد المسلمين، والهزيمة التي وقعت للمسلمين هو الفل الذي وقع في سيف النبي صلى الله عليه وسلم[2]، هكذا الرؤيا ولهذا يصعب تأويل الرؤيا إلا لمن يعلم العربية جدا ويعلم القرآن والحديث، ويكون نير القلب، هذا ربما إذا عبر الرؤيا يكون موافقا، على أن الرؤيا لأول عابر[3]، فلهذا من رأى رؤيا يكتمها عن أعدائه لأنه إذا عبر بشيء يقع كما عُبر ولو كان غير ذلك، ﴿قَالَ يَا بُنَيِّ لاَ

---

[1] – هو قول من جملة أقوال ذكرها المفسرون، راجع جلال والصاوي في حاشيته عليه ج260/2 والقرطبي ج264/9 وابن كثير ج492/2، والخازن ج43/3.

[2] – أخرج أحمد في مسنده عن ابن عباس قال: (تنفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ذا الفقار يوم بدر وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد فقال رأيت في سيفي ذي الفقار فلاًّ فأولته فلاًّ يكون فيكم ورأيت أني مردف كبشا فأولته كبش الكتيبة ورأيت أني في درع حصينة فأولتها المدينة ورأيت بقرا تذبح فبقر والله خير، فبقر والله خير فكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) مسند أحمد: مسند بني هاشم/ مسند عبد الله بن عباس (2318).

[3] – روى ابن ماجه في سننه عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اعتبروها بأسمائها وكنوها بكناها والرؤيا لأول عابر) سنن ابن ماجه: كتاب تعبير الرؤيا/ باب علام تعبر به الرؤيا (3905).

ماتت ولكن خالته قامت مقام الوالدة. وهذه الرؤيا رآها يوسف وبقي ثمانين سنة[1] قبل أن تتحقق، فلهذا الرؤيا الصالحة يتأخر ظهور تفسيرها لأنها بشارة أراد الله أن يطلعك على ما يسرك قبل إبانه، بخلاف الرؤيا السيئة فإنها تظهر عاجلا، ولأنها إساءة يؤخرها الله تبارك وتعالى إلى قرب ظهورها فلا ترى رؤيا سيئة إلا وجاءت قريبا. فبين بداية الرؤيا وتأويلها مكث يوسف ثمانين سنة. لما رأى الكواكب وهي إخوته، والشمس وهي خالته، والقمر وهو أبوه، كان كما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه يذبح بقرا ورأى ثلما في سيفه في غزوة أحد فكان تأويل ذلك ما وقع في أحد من استشهاد المسلمين، والهزيمة التي وقعت للمسلمين هو الفل الذي وقع في سيف النبي صلى الله عليه وسلم[2]، هكذا الرؤيا ولهذا يصعب تأويل الرؤيا إلا لمن يعلم العربية جدا ويعلم القرآن والحديث، ويكون نير القلب، هذا ربما إذا عبر الرؤيا يكون موافقا، على أن الرؤيا لأول عابر[3]، فلهذا من رأى رؤيا يكتمها عن أعدائه لأنه إذا عبر بشيء يقع كما عُبر ولو كان غير ذلك، ﴿قَالَ يَا بُنَيِّ لاَ

---

[1] – هو قول من جملة أقوال ذكرها المفسرون، راجع جلال والصاوي في حاشيته عليه ج260/2 والقرطبي ج264/9 وابن كثير ج492/2، والخازن ج43/3.

[2] – أخرج أحمد في مسنده عن ابن عباس قال: (تنفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ذا الفقار يوم بدر وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد فقال رأيت في سيفي ذي الفقار فلاًّ فأولته فلاًّ يكون فيكم ورأيت أني مردف كبشا فأولته كبش الكتيبة ورأيت أني في درع حصينة فأولتها المدينة ورأيت بقرا تذبح فبقر والله خير، فبقر والله خير فكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) مسند أحمد: مسند بني هاشم/ مسند عبد الله بن عباس (2318).

[3] – روى ابن ماجه في سننه عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اعتبروها بأسمائها وكنوها بكناها والرؤيا لأول عابر) سنن ابن ماجه: كتاب تعبير الرؤيا/ باب علام تعبر به الرؤيا (3905).

﴿تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾ يحتالوا في هلاكك حسدا لعلمهم بتأويلها من أنهم هم الكواكب والشمس أمك والقمر أبوك ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ أسند الأمر إلى الشيطان لأنه تجلي اسمه المضل، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما رأيت ﴿يَجْتَبِيكَ﴾ يختارك ﴿رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ بالنبوة ﴿وَعَلَى ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ أولاده ﴿كَمَا أَتَمَّهَا﴾ بالنبوة ﴿عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه. ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ﴾ في خبر يوسف ﴿وَإِخْوَتِهِ﴾ وهم أحد عشر ﴿ءَايَاتٌ﴾ عبر ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ عن خبرهم. اذكر ﴿إِذْ قَالُواْ﴾ بعض إخوة يوسف لبعضهم ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ شقيقه بنيامين ﴿أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جماعة ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ﴾ خطإ ﴿مُبِينٍ﴾ بين بإيثارهما علينا ﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾ الدواء في هذا أن تقتلوا يوسف ﴿أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ أو تطرحونه بأرض بعيدة. ساوى بين القتل والتغريب. فعلى هذا التغريب الذي كان يقع من النصارى لأبناء المسلمين بمنزلة القتل ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ مقصودهم بقتل يوسف أن ينسى يوسف ويخلو لهم وجه أبيهم فيقبل عليهم ولا يلتفت لغيرهم، هذا مقصودهم ﴿وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ﴾ بعد قتل يوسف أو طرحه ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ تتوبون إلى الله تبارك وتعالى فتصيرون من الصلحاء ويوسف قد هلك. هذا الحسد سبق لإخوة يوسف. الإخوة على قسمين أخ يحسد أخاه ويحاول قتله وهلاكه كما وقع لإخوة يوسف في البداية، ويوجد أخ صاف يحب لأخيه ما يحب لنفسه كما وقع لموسى أرسله الله فطلب أن يشاركه أخوه في الرسالة حتى أرسل رسولا مع موسى، هذا غاية في محبة الأخ لأخيه، حتى صار نبيا بسبب أخيه. الإنسان ينبغي أن يكون في الصنف الثاني لا في الأول ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ وهو يهودا ﴿لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ﴾

اطرحوه ﴿فِي غَيَابَاتِ الْجُبِّ﴾ مظلم البئر ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ المسافرين ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ما أردتم من التفريق فاكتفوا بذلك. كان أشدهم محبة فيه يهودا للقرابة بينهما هما أبناء خالة ﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ أتوا إلى أبيهم وقالوا له: لماذا لا ترسل يوسف أبدا يمشي معنا؟ ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إلى الصحراء ﴿يَرْتَعِ وَيَلْعَبْ﴾ ينشط ويتسع ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ نحن نحفظه لا يصيبه شيء ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ﴾ ذهابكم به لفراقه ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ كانت أرضهم كثيرة الذئاب ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ مشغولون. والسبب في هذا أن يعقوب رأى في المنام أحد عشر ذئبا أخذوا يوسف وأرادوا قتله حتى تغيب عنه يوسف وما رآه بعد ذلك[1]، لهذا قال لهم أخاف أن يأكله الذئب، والبلاء موكل بالمنطق[2]، حيث قال إنه يخاف أن يأكله الذئب سيأتيه الخبر أنه أكله الذئب، لاسيما وهو من أهل الله من خواص الحضرة لما خاف من غير الله عاتبه الله على ذلك، فلذلك يأتيه الخبر الآن أن الولد أكله الذئب ﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جماعة ﴿إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ عاجزون نحن عشرة رجال عندهم صغيرهم يأخذه الذئب إذًا فنحن عاجزون، أرسلْه معنا فقط. على ما رأى وعلى ما قال أرسله معهم ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ﴾ عزموا ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَاتِ الْجُبِّ﴾ نزعوا قميصه وضربوه ففر إلى أحدهم فضربه وفر إلى آخر فضربه، وفر إلى آخر فضربه، وخلعوا ثوبه وجردوه فصار يصيح يقول: يا يعقوب

---

1 - القرطبي ج140/9.

2 - (البلاء موكل بالمنطق) للقضاعي عن حذيفة وابن السمعاني في تاريخه عن علي. الجامع الصغير ج1/ رقم 3219.

لو رأيت ما يفعل بي أبناء الإماء، فأخذوه وألقوه في البئر بعدما قيدوه، فلما وقع في البئر وهو ابن سبع عشرة سنة أو دونها دعا الله تبارك وتعالى: يا شاهدا غير غائب، يا قريبا غير بعيد يا غالبا غير مغلوب فرج علي[1]، ليس بصبي فجاءه جبريل ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ في الجب ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ﴾ بعد اليوم ﴿بِأَمْرِهِمْ﴾ بصنيعهم ﴿هَذَا﴾ أوحى الله إليه قبل سن الوحي عادة الله أنه لا ينزل الوحي إلا على ابن أربعين سنة، كذلك الولاية لا تتكامل في الشخص إلا بعد أربعين سنة والعلم والعقل كذلك، أوحى الله إلى يوسف وهو ابن سبع عشرة سنة، ويحيا ابن ثلاث سنين، وعيسى عندما ولِد، ما سوى هؤلاء من الأنبياء ما نُبئ إلا بعد أربعين. فلما دخل في الجب كل ما كان فيه من الحيات والحشرات لجأت إلى زاوية أخرى إكراما ليوسف عليه الصلاة والسلام ما عدا الأفعى فإنه تعرض له فحال جبريل بينه وبينه وألقى على أذنيه الصمم، فلذلك تجد الأفعى أصم دائما[2]. أوحى الله إليه «لَتُنَبِّئَنَّهُمْ» بعد اليوم «بِأَمْرِهِمْ» بصنيعهم «هَذَا» أوحى الله إليه وهو صغير تطمينا لقلبه أنه سيلقى إخوته ويخبرهم بهذه القضية ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ لا يشعرون لأن حاليكما متباينان في ذلك الوقت، عندما تلتقون مرة أخرى تلتقون في أحوال متباينة حتى هم لا يعرفونك. ووقع ذلك، التقوا وهو ملك وهم صعاليك فما شعروا أنه يوسف ﴿وَجَاءُو أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ فلما فعلوا ما فعلوا تأخروا إلى الليل، فلما جن الليل دخلوا على يعقوب كلهم يبكي ﴿قَالُواْ يَاأَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ نرمي ﴿وَتَرَكْنَا

---

1 – ذكره في زاد المسير ج4/ 190، وفي روح المعاني ج12/ 197، كلاهما عن محمد بن مسلمة الطائفي. وزاد في زاد المسير قوله فما بات فيه.

2 – روح البيان ج4/224.

يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا﴾ ثيابنا ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ قال أكله الذئب؟ قالوا: نعم، قال: آتوني بقميصه، أتوا بالقميص فإذا هو ملطخ بالدم فصار يشم القميص ويقول ما أحلم هذا الذئب قتل ولدي وما شق قميصه، قالوا ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ﴾ بمصدق ﴿لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ تتهمنا في هذه القصة لمحبة يوسف ﴿وَجَاءُو عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها ونسوا أن يشقوا القميص ﴿قَالَ﴾ يعقوب لما رآه صحيحا وعلم كذبهم ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زينت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ ففعلتموه ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ لا جزع، أمري صبر جميل ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ على ما تذكرون من أمر يوسف.

يحكى أن يعقوب كان عنده بقرة يحلبون لبنها ليوسف، ولحرص يعقوب على يوسف ذبح العجل ليبقى اللبن متوفرا ليوسف، فعاتبه الله من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين[1]، أنه فرق بين العجل وأمه فهو سيفرق بينه وبين يوسف. ومن جانب يوسف، يوسف نظر في مرآة يوما فرأى جماله فأعجب به فقال: لو كنت عبدا يباع لجئت بثمن لا يعرف قدره إلا الله تبارك وتعالى فابتلاه الله وبيع بثمن بخس ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ مسافرون من مدين إلى مصر فنزلوا قريبا من جب يوسف ﴿فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ﴾ الذي يرد الماء ليستقي منه ﴿فَأَدْلَى﴾ أرسل ﴿دَلْوَهُ﴾ في البئر، فتعلق بها يوسف فأخرجه فلما رآه ﴿قَالَ يَا بُشْرَايَ﴾ البشرى احضري هذا وقتك ﴿هَذَا غُلاَمٌ﴾ يوسف لما دعا بدعوته السابقة ما بات في الجب: يا شاهدا غير غائب، يا قريبا غير بعيد، يا غالبا غير مغلوب فرج علي، ما بات في البئر، جاءت سيارة في ذلك اليوم والإخوة قريب من البئر يرتقبون ماذا سيكون من أمر يوسف،

1 ـ سبق تخريجه في الدرس 25 عن كشف الخفاء (1137)

فلما سمعوا الوارد تكلم: هذا غلام، جاء إخوته وعلموا أنه يوسف فأتوه ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ أخفوا أمره جاعليه ﴿بِضَاعَةً﴾ قالوا له هذا عبدنا، عبد آبق ضل علينا ونحن نريد أن نبيعه لك ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ قال له المبتاع: أنت عبد؟ فسكت يوسف. أنت عبد؟ فعلم أنه إن قال لا، يتركه ولكن يتركه لإخوته فيقتلونه أو يحاولون قتله مرة ثانية، قال: نعم أنا عبد، وهو ينوي أنا عبد لله تبارك وتعالى[1] ﴿وَشَرَوْهُ﴾ باعوه ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ ناقص ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عشرين درهما فقط ﴿وَكَانُواْ﴾ إخوته ﴿فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ زهدوا فيه حتى باعوه بثمن بخس عشرين درهما فقط. خرج الرسول صلى الله عليه وسلم يوما إلى المسجد، فتلقاه الصبيان فقالوا له: كن لنا بعيرا كما تكون للحسن والحسين، قال لسلمان: ادخل البيت إذا وجدت فيه شيئا آتني به أفد نفسي من هؤلاء الصبيان، أتاه بثمان جوزات فدفعها للصبيان فرضوا، فقال: إن كان يوسف بيع بثمن بخس فهؤلاء كذلك باعوني بثمان جوزات[2] «وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ» فجاءت به السيارة إلى مصر فباعه الذي اشتراه بعشرين دينارا أو زوجي نعل وثوبين، بيع أيضا بثمن بخس مرة ثانية، فلما رأوا حسنه وجماله نادوا لبيعه فتنافس فيه جميع الأغنياء، فكل أهل مصر حضروا لأن يشتروا يوسف حتى عجوز ما كان عندها إلا شيء من الخيوط أتت بخيوطها تريد أن تشتري يوسف، فتنافسوا فيه حتى اشتري بوزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه عودا ووزنه مسكا ووزنه حريرا وكان أربعمائة كيل، الآن غلا الثمن

---

1 - حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ج237/2.

2 - الحكاية ذكرها صاحب روح البيان غير أنه أبدل سلمان ببلال. تفسير روح البيان ج229/4.

ما استطاع أن يشتريه إلا عزيز مصر فاشتراه[1] ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ﴾ وهو قطيفير العزيز ﴿لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ مقامه عندك ﴿عَسَى أَنْ يَّنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ تفرس فيه، حقق الله فراسته. أصدق الناس فراسة عزيز مصر الذي قال في يوسف «أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا» وآسية بنت مزاحم قالت مثل ذلك في موسى "عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا" وأبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما حضره الوفاة قال: إني خلفت فيكم عمر بن الخطاب وأظن أنه سيعدل فإن كان كما أظن فالحمد لله وإن كان غير ذلك "فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون" فراسته في عمر أيضا صدقت. زليخا بنت طيموس ملك المغرب كانت بنتا باهرة الجمال، فخطبها الملوك كلا فلم تقبل، لأنها رأت في المنام شابا جميلا ما ريئ قط مثل جماله فسألت عنه فقيل لها هذا عزيز مصر فقالت لأبيها إنها لا تتزوج إلا بعزيز مصر، فصارت تأتي الرسائل من جميع الملوك والأغنياء والكبراء، إذا عرض لها أبوها رسالة تقول: وعزيز مصر ما كتب؟ حتى مرضت وظهر فيها العشق، حتى ظن أنها مجنونة أو مريضة، سلموها للأطباء فما رأوا فيها مرضا، قالت داياها إنها عاشقة تحب رجلا لم تره فكتب أبوها إلى عزيز مصر أنه يزوجه بنته وليرسل وفدا يأخذونها إليه، فأتى رسل عزيز مصر فجهزها أبوها بالعبيد والإماء والأموال وركبت إلى مصر، فتلقاها زوجها قطيفير فلما نظرت إليه فإذا هو ليس الذي رأت في المنام فحزنت حزنا شديدا صارت تبكي ليلا ونهارا، فإذا الزوج عنين لا يأتي النساء، فبقيت هذه المدة عند عزيز مصر، فإذا بيوسف

---

1 – ذكره القرطبي نقلا عن وهب بن منبه. ج158/9.

دخل عليها غلام لها فنظرت إليه فإذا هو الرؤيا التي رأت من قبل[1] ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ تعالى لا يعجزه شيء ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لاَ يَعْلَمُونَ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وهو ثلاثون سنة ﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وَعِلْمًا﴾ فقها في الدين قبل أن يبعث نبيا ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ وكان يوسف قسم أيامه ثلاثة أقسام: قسم يعبد ربه تبارك وتعالى، وقسم يبكي، وقسم يسبح لله تبارك وتعالى[2]. حاولته زليخا بكل محاولة فلم تجد سبيلا إليه، فأمرت داياها أن يبنوا لها قصرا مزخرفا بأنواع الزينة والطيب لتجد مرادها في يوسف، فلما تم البناء أدخلت زوجها فأعجبه جدا حسن القصر وقال لها: سميه بيت السرور فسموه بيت السرور. أرسلت إلى يوسف وزينته أيضا بأنواع الملابس، وتزينت هي، عليها سبع حلل، وجعلت على رأسها الدر واليواقيت، وكانا آية في الجمال، قالت: أدخلوا يوسف وإذا دخل فأغلقوا الباب من ورائه. فأدخلوه بيتا وقفلوه وأدخلوه آخر فقفلوه حتى قفلوا البيت السابع، بقيت هي وهو فقط قالت له: يا يوسف ما أحسن عينيك! قال: هما أول ما يسيل ماء مني ويرجع إلى التراب. قالت: ما أحسن شَعرك! قال: هو أول ما ينتشر مني. قالت: ما أحسن وجهك! قال: هو أول ما يصير دما وصديدا، قالت: يوسف انظر إلي فقد حرقت قلبي بالمحبة. قال: زوجك أحق بذلك[3]. ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ هي زليخا

---

[1] - روح البيان ج234/4.

[2] - روح البيان ج236/4.

[3] - القرطبي ج165/9.

﴿عَن نَّفْسِهِ﴾ طلبت منه أن يواقعها ﴿وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ﴾ للبيت ﴿وَقَالَتْ هِيتَ لَكَ﴾ هلم إلي، أخيرا قالت هذه العبارة «هيت لك» ﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أعوذ بالله من ذلك ﴿إِنَّهُ﴾ أي الذي اشتراني ﴿رَبِّيَ﴾ سيدي ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ مقامي فلا أخونه في أهله ﴿إِنَّهُ﴾ الشأن ﴿لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الزناة. امتنع يوسف ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ قصدت منه الجماع ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ قصد ذلك ﴿لَوْلاَ أَن رَّءا بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ قال ابن عباس: لجامعها، وهذا التفسير غير سديد. الصواب أن في الآية تقديما وتأخيرا «ولقد همت به» زليخا هذا واضح ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها أيضا[1]. يوسف ما همّ لأنه رأى برهان ربه[2]. البرهان قيل إنه رأى يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته[3]، وقيل رأى ديوان الأنبياء وقيل له إن وقع في هذا يمحى من ديوان الأنبياء[4] ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أريناه البرهان ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ الخيانة ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ الزنا ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ في الطاعة. بلغ الغاية في الإخلاص ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ بادرا إليه يوسف للفرار وهي للتشبث فأمسكت ثوبه وجذبته إليها ﴿وَقَدَّتْ﴾ شقت ﴿قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا﴾ وجدا ﴿سَيِّدَهَا﴾ زوجها ﴿لَدَا الْبَابِ﴾ لما وقعت هذه القضية فإذا بقطيفير بالباب، فنزهت نفسها ثم ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ زنا ﴿إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ﴾ يحبس ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

---

1 – قال القرطبي في الجامع: "ولقد همت به الآية" قال أبو عبيدة: هذا على التقديم والتأخير كأنه أراد: ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها. القرطبي ج166/9.

2 – وهو أحد قولي الصاوي وقد رجحه. حاشية الصاوي 240/2.

3 – نقله جلال الدين السيوطي عن ابن عباس، حاشية الصاوي ج240/2، والقرطبي عن سعيد بن جبير ج180/9.

4 – القرطبي عن قتادة ومجاهد والحسن والضحاك وأبو صالح وسعيد بن جبير، ج169/9.

بأن يضرب، لا تذكر عقابا شديدا ﴿قَالَ﴾ يوسف متبرئا ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ كذبها وقال الحق، وقع نزاع ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ في ذلك الوقت ولدت جارية فنطق الولد عندما سقط، هو الذي شهد بهذا[1] ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ قدام ﴿فَصَدَقَتْ وَهُوَ﴾ يوسف ﴿مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ خلف ﴿فَكَذَبَتْ﴾ زليخا ﴿وَهُوَ﴾ يوسف ﴿مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ المولود الذي ولد الآن هو الذي نطق بهذه الجملة ﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ زوجها ﴿قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ﴾ أي قولكِ «ما جزاء من أراد» ﴿مِن كَيْدِكُنَّ﴾ أيها النساء ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ هذا من كيد النساء فقط فهم الزوج القضية، علم أنها هي التي تراوده، وأن ما قالت كذب كلا ثم قال ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ قطيفير رجل صاحب مروءة، أعرض عن هذا الأمر لا تذكره لا يسمع أحد هذا الخبر ﴿وَاسْتَغْفِرِي﴾ يا زليخا ﴿لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ الآثمين، حاول كتمان الخبر، فاشتهر الخبر في البلد وشاع ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ مدينة مصر، هن امرأة الخباز وامرأة الطباخ وامرأة الساقي حضرن القضية، فقصصن القصة على الناس وصرن يتكلمن في سيدهن ﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا﴾ عبدها ﴿عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ دخل حبه شغاف قلبها ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ﴾ خطإ ﴿مُبِينٍ﴾ ما كان ينبغي من زليخا أن تتعلق بحب عبد لها فقط ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ غيبتهن لها ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ﴾ أعدّت ﴿لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ طعاما يقطع بالسكين للإتكاء

---

1 – أخرج الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لم يتكلم في المهد إلا أربعة: عيسى بن مريم، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وابن ماشطة بنت فرعون» . هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. المستدرك: كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين أجمعين/باب ذكر أفضل نساء العالمين (4211)

وهو الأترج ﴿وَءَاتَتْ﴾ أعطت ﴿كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ﴾ ليوسف ﴿اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ فلما جلس النساء كل واحدة بيدها سكين تقطع الأترج خرج يوسف ووقف بين أيديهن، ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ عظمنه ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ بالسكاكين كلهن اشتغلت بقطع يدها ولم تشعر بالألم من شدة محبة يوسف ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ تنزيها لله ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ يوسف هذا ليس من بني آدم ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ هذا ملك وليس كل ملك هكذا. ملك كريم من الملائكة لما حواه من الحسن الذي لا يكون عادة في النسمة البشرية. وفي الصحيح أنه أعطي شطر الحسن[1]. الله تبارك وتعالى من رحمته بنا ما أرانا صور الملائكة لو رأينا صور الملائكة وما فيها من الجمال لفتنا بهذا، والشاهد على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى جبريل على صورته في بداية النبوة سقط مغشيا عليه[2]، يوسف كان جميلا، إذا مشى في الزقاق ونظرت إليه تراه يتلألأ كأنه برق، فلما فعلت النساء ما فعلن وقلن هذا الكلام ﴿قَالَتْ﴾ امرأة العزيز ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ هذا هو الذي لمتنني في حبه، بيان لعذرها ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ أنا التي راودته وامتنع هو ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ﴾ خلعت جلباب الحياء، الآن لما رأت ما وقع في النساء قالت: لا بد أن يفعل ما آمره به «وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ» به ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ الذليلين فقلن له: أطع مولاتك. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: إن المؤمن يهون الله عليه سكرات الموت حتى يخرج روحه

---

1 – جاء في صحيح مسلم من حديث الإسراء أنه مر صلى الله عليه وسلم بيوسف عليه السلام في السماء الثالثة قال: "...إذا هو قد أعطي شطر الحسن..." صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض الصلوات (234)

2 – ذكره القرطبي نقلا عن الثعلبي عن ابن عباس. الجامع في أحكام القرآن ج241/19.

ولا يحس بالألم[1]، رأى عالم من العلماء الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له: هذا الذي قلت إن المؤمن يخرج روحه ولا يحس بسكرات الموت أين هو في القرآن؟ قال له: هو في القرآن. قرأ المصحف من أوله إلى آخره وما رآه فرأى المصطفى صلى الله عليه وسلم ثانية فقال له: قرأتُ المصحف كله وما رأيتُ فيه هذا، قال له المصطفى صلى الله عليه وسلم: اقرأه أيضا إذا قرأته تجده فيه، فقرأه ثالثة فرأى المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال إنه ما رآه، قال له: اطلب هذا في سورة يوسف. فقرأ حتى بلغ قصة النساء، لما قطعن أيديهن ولم يشعرن بالألم لجمال يوسف، علم أن الله يقدر أن يهون سكرات الموت على عبده حتى يخرج روحه وليس له شعور بالألم[2] ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ﴾ أصر ﴿مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ المذنبين. لما رأى يوسف شدة تعلق النساء به فر إلى الله تبارك وتعالى، طلب من الله أن يدخله السجن ويحفظه من النساء، وهذا قبل كماله، لو بلغ الكمال في ذلك الوقت لطلب من الله تبارك وتعالى أن يقيه شر النساء ويقيه شر السجن. إن الله قادر على ذلك. فعلى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم إذا دعوت فلتجزم أعزم في الدعاء ادع

---

1 – جاء في مسند أحمد من حديث البراء بن عازب قوله صلى الله عليه وسلم "...إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء ...الحديث". مسند أحمد: مسند الكوفيين/ حديث البراء بن عازب (17803).

2 – وردت الحكاية في تفسير زوح البيان ج136/5.

جازما فإن الله لا مستكره له[1]، لا يفعل إلا ما يريد، من ذلك ما يقول العبد اللهم اعطني كذا إن كان خيرا لي، لا، سل الله أن يعطيك ما تحب ويجعله خيرا لك هو قادر على كل شيء. يوسف كان لو طلب من الله أن ينجيه من النساء ومن السجن لفعل، ولكن اختار السجن، لما اختار السجن سلم من النساء ولكن دخل السجن ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾ دعاءه ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثُمَّ بَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ﴾ الدلالات على براءة يوسف أن يسجنوه ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ قالوا لا بد من دخول السجن حتى ينقطع الكلام، فسجن فتحول السجن إلى زليخا، صارت تطلع وتجلس على سقف بيتها تنظر إلى السجن فقط ليلا ونهارا لشدة محبتها ليوسف، يوسف في راحة وزليخا في عذاب، تحول السجن إليها ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ غلامان للملك أحدهما ساقيه والآخر صاحب طعامه فرأياه عبر الرؤيا، فقالا لنختبرنه ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ وهو الساقي ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ عنبا ﴿وَقَالَ الآخَرُ﴾ صاحب الطعام ﴿إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا﴾ خبرنا ﴿بِتَأْوِيلِهِ﴾ بتعبيره ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ﴾ يوسف ﴿لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾ في منامكما ﴿إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ في اليقظة ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ تأويله ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيَ﴾ فيه حث على إيمانهما ثم قواه بقوله ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ﴾ دين قوم ﴿لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَاءِيَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ﴾

---

1 – جاء في الصحيحين واللفظ لمسلم عن أنس: (إذا دعا أحدكم فليعزم في الدعاء ولا يقل اللهم إن شئت فأعطني، فإن الله لا مستكره له) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب العزم في الدعاء ولا يقل إن شئت (4837) وفي صحيح البخاري: كتاب الدعوات/باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له (6338).

ينبغي ﴿لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ لعصمتنا ﴿ذَلِكَ﴾ التوحيد ﴿مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لاَ يَشْكُرُونَ﴾ الله فيشركون، ثم صرح بدعائهما إلى الإيمان فقال ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾ ساكني السجن ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ﴾ غيره ﴿إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا﴾ سميتم بها أصناما ﴿أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ بعبادتها ﴿مِن سُلْطَانٍ﴾ حجة وبرهان ﴿إِنِ الْحُكْمُ﴾ القضاء ﴿إِلاَّ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ﴾ التوحيد ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ المستقيم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لاَ يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه ﴿يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾ الذي هو الساقي فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ﴾ سيده ﴿خَمْرًا﴾ على عادته ﴿وَأَمَّا الآخَرُ﴾ فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ هذا تأويل رؤياكما. كان صاحب طعام الملك اكتراه رجل ممن يريد مقام الملك بشيء من الذهب أن يجعل السم في الطعام إذا مات الملك يتولى هو الملك ويفعل له ويفعل له، فاطلع الساقي على ذلك، فلما أراد الملك أن يتناول الطعام وفيه سم أشفق عليه الساقي، قال له لا تأكل الطعام فإن فيه سما[1]، قال له صاحب الطعام وأنت شرابك فيه سم أيضا. قال لا، قال الملك لصاحب الشراب: اشرب، فشرب شرابه، وقال لصاحب الطعام كل: فامتنع، فعلم براءة الساقي ولكن جعلهما معا إلى السجن مع يوسف، فلما رأيا رؤياهما وقصا أنهما رأيا رؤيا عبر لهما يوسف أن الساقي سيخرج ويرجع إلى مكانته، وصاحب الطعام سيخرج ويقتل، قالا له ما رأينا شيئا كنا نختبرك فقط، قال «قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ

1- ذكره الصاوي في حاشيته على الجلالين ج243/2.

تَسْتَفْتِيَانِ» تم الأمر هكذا ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾ أيقن ﴿أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ وهو الساقي ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ سيدك. فقل له إن في السجن غلاما محبوسا ظلما. فلما خرج جاء جبريل فقال له: أنت يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، إبراهيم ألقي في النار فطلبناه نحن الملائكة هل لك من حاجة؟ قال: أما إليكم فلا وأما إلى الله فبلى، قلنا له: سل الله ينجيك من هذا، قال: علمه بحالي يغني عن سؤالي[1]، وهذا جدك إسحاق ذبح حتى فداه الله بكبش، وهذا يعقوب نزل به ما نزل فلم يستغث بمخلوق، وأنت أيام في السجن فقط تستغيث بمخلوق وأنت ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم؟ عاتبه جبريل[2]، ستمكث في السجن مدة حروف اذكرني عند ربك، اثنتي عشرة سنة، فبقي في السجن اثنتي عشرة سنة ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ البضع من الثلاثة إلى التسعة ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ ملك مصر الريان بن الوليد ﴿إِنِّي أَرَى﴾ رأيت في المنام ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ﴾ يبتلعهن ﴿سَبْعٌ﴾ من البقر ﴿عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ﴾ سبع سنبلات ﴿يَابِسَاتٍ﴾ قد التوت على الخضر وعلت عليها ﴿يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ﴾ بينوا لي تعبيرها ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ فاعبروها ﴿قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ﴾ أخلاط أحلام فقط ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ من الفتيين وهو الساقي ﴿وَادَّكَرَ﴾ تذكر ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ بعد

1- القرطبي ج303/11.

2 - جاء في تفسير القرطبي ما نصه: قال عبد العزيز بن عمير الكندي: دخل جبريل على يوسف النبي عليه السلام فقال: يا أخا المنذرين مالي أراك بين المخطئين؟ فقال جبريل عليه السلام: يا طاهر ابن الطاهرين يقرئك السلام رب العالمين ويقول أما استحييت إذ استغثت بالآدميين وعزتي لألبثنك في السجن بضع سنين، فقال يا جبريل أهو عني راض؟ قال: نعم، قال: لا أبالي الساعة. ج195/9.

حين ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ فأرسلوه فأتى يوسف فقال يا ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ أي كثير الصدق ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾ الملك وأصحابه ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ قَالَ تَزْرَعُونَ﴾ ازرعوا ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ متتابعة وهي تأويل السبع السمان ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ﴾ اتركوه ﴿فِي سُنبُلِهِ﴾ لئلا يفسد ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ فادرسوه ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ السبع المخصبات ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ مجدبات صعاب ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ من الحب المزروع في السنين المخصبات ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ تدخرون ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ السبع المجدبات ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ بالمطر ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ الأعناب ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ لما جاءه الرسول وأخبره بتأويلها ﴿ائْتُونِي بِهِ﴾ بالذي عبرها ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ يوسف وطلبه الخروج ﴿قَالَ﴾ قاصدا إظهار براءته ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي﴾ سيدي ﴿بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ﴾ هل وجدتن منه ميلا إليكن ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ﴾ وضح ﴿الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم[1]، لو لبثت في

1- الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قول الله تعالى "لقد كان في يوسف وإخوته آيات" (3382)

السجن ما لبث يوسف لأجبت لأول داع[1] هذا تواضع منه صلى الله عليه وسلم فهو أكمل من يوسف ﴿ذَلِكَ﴾ طلب البراءة ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ في أهله ﴿بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾.

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم.

1- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم أتاني الداعي لأجبته). صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قول الله تعالى "لقد كان في يوسف وإخوته آيات" (3387).

الدرس السابع والعشرون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيـــم

يا همة الشيخ احضري لنـــا بهذا المحضـــر
ولتعطفـــي بنظـــرة تأتي لنـــا بالظفـــر

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِيَ﴾ تواضع يوسف عليه السلام بعدما أظهر براءته وقال «وَمَاأُبَرِّئُ نَفْسِيَ» من الزلل ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوِّ﴾ جنس النفس صفتها أنها تأمر بالسوء كثيرا ﴿إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ﴾ إلا من رحم ربي فعصمه ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال أولا «وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن» وقال «وما أبرئ نفسي» لأن النفس أمارة بالسوء. الأمارة كثيرة الأمر بذلك، إن أمرت النفسُ بالسوء، تكون آمرة وإن أمرت به كثيرا تكون أمارة. والنفس هذه صفتها الأصلية، هو تواضعَ وقال: إن النفس كذلك مع علمه أن نفسه غير داخلة في هذا، فلهذا ما يجوز له أن يقول إن نفسي لأمارة بالسوء، بل قال «وما أبرئ نفسي» ولكن «إن النفس لأمارة بالسوء» ليست نفس يوسف من تلك الأنفس. النفس أصلا أمارة بالسوء إلا إذا أتتها عناية من الله تبارك وتعالى وهو قوله «إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ». إذا جاءت الرحمة من الحضرة الإلهية وفاضت على النفس تنتقل من النفس الأمارة بالسوء إلى النفس اللوامة. أقسم الحق تبارك وتعالى بتلك النفس، النفس اللوامة هي التي تلوم صاحبها عندما يصدر منه سوء، فإذا فاضت عليها فيضة أخرى من رحمة الله تبارك وتعالى

تكون ملهمة "فألهمها فجورها وتقواها" تكون نفسا ملهمة، لا تعتني إلا بالخير ولكنها غير متمكنة جدا، إذا استمرت عليها فيوضات الرحمة تصير مطمئنة بحضرة الله تبارك وتعالى لا تلتفت إلى غير ولا إلى غيرية فاستحقت النداء من الحضرة "يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية" إذا رجعت إلى حضرة الله تبارك وتعالى تصير راضية بجميع مجاري أحكامه، فإذا كانت راضية تصير مرضية عند الله تبارك وتعالى. الله هو الملك الحق، والإنسان عبد والعبد لا يزال يعترض على مولاه في جميع أفعاله، ما دام لم يرض عن الله فالله لا يرضى عنه، وإذا كان راضيا عن جميع ما صدرت به الأحكام الإلهية تكون نفسه نفسا راضية وتكون مرضية عند الله تبارك وتعالى فتصير كاملة. هي سبعة مقامات: النفس الأمارة بالسوء، النفس اللوامة، النفس الملهمة، النفس المطمئنة، النفس الراضية، النفس المرضية، النفس الكاملة. سلوك غير الأنبياء من النفس الأمارة بالسوء إلى أن تصل إلى الكمال، وسلوك الأنبياء من النفس المطمئنة إلى الكمال «إن النفس لأمارة بالسوء» تشير إلى معنى في الآية المتقدمة "وكذلك جعلنا لكل نبيئ عدوا شياطين الإنس والجن" شياطين الإنس على بعض التأويلات: نفس الإنسان هي شيطان الإنس، والشيطان الآخر إبليس وأعوانه. فإن النفس أمارة بالسوء، فهي أعدى عدو للإنسان، ولكن الإنسان فيه قلب وعقل وروح. الترتيب هكذا الروح هو السلطان والعقل هو الوزير والقلب هو المفتي. إذا اتفق هؤلاء الثلاثة تغلبوا على النفس الأمارة بالسوء فلا يصدر إلا خير. وإذا تدخلت النفس وعزلت واحدا من الثلاثة عن الباقين وتغلبت عليه تتغلب على آخر ثم تتغلب عليهم جميعا.

يحكى أن ثلاثة ثيران من البقر سكنوا في غيضة مخصبة ثور أصفر وثور أسود وثور أبيض، وبجوارهم أسد، كل ليلة يريد الأسد أن يقتل واحدا من الثيران فيجتمعون

عليه فيفر عنهم. في يوم من الأيام خلا بالثور الأصفر قال له: أنت أخي وجنسي جلدنا واحد، وهذه الغيضة فيها كل ما نريد من الخير ولكن الأشياء يخافون من هذا الثور الأبيض ما دام فينا لا يمكننا أن نجد شيئا أبدا، ولو تركتموني وإياه وقتلته لطاب لنا المقام. فقبل منه ذلك. فلما جاء الليل هم بالثور الأبيض فاعتزله أخواه وتركاه فأكله الأسد. وفي الغد رجع إلى الثور الأصفر وقال له: أنت وأنا شيء واحد ولكن هذا الثور الأسود أي شيء يجمعنا وإياه؟ هو أسود، ما كنا نخاف منه في الثور الأبيض هو كذلك واقع فيه، لا يطيب لنا المقام إلا إذا مات هذا الثور الأسود. قال له: أتركُه حتى تأكله. وفي الغد أتى على الثور الأسود فلم يأته الثور الأصفر فقتله وأكله، فلما مضى يوم جاء إليه قال له: من يمنعك مني اليوم؟ قال: احفظ العهد الذي كان بيننا. قال له: أي عهد بين الأسد والثور؟ قال: لابد تقتلني؟ قال: لابد أقتلك، قال: إذاً أقول كلمة قبل أن تقتلني، أقول: ألا إني أُكِلتُ يوم أُكل الثور الأبيض، فقتله[1]. هذا مثال النفس مع القلب والعقل والروح، إذا اتفقوا تغلبوا على النفس، وإذا غفلوا تدخلت بينهم ففرقتهم، فتقتل القلب ثم تقتل العقل ثم تستولي على الروح ولا منازع لها فيه. «إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم» ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ لما وقف الملك على تعبير يوسف للرؤيا قال: آتوني بهذا الذي عبر الرؤيا أجعله خالصا لي دون شريك فيه. وهذه عادة الملوك كلما حصل شيء مرغوب فيه وتنافس فيه الناس لابد أن الملك يريد أن يستولي عليه ويختص به، فجاءه الرسول قال له: أجب الملك، فقام يوسف واغتسل ولبس ثيابا حسانا وصلى وجمع أهل السجن وودعهم

---

1 – أورد القصة إسماعيل حقي في تفسيره روح البيان ج4/276.

ودعا لهم قال: اللهم أعطف قلوب الأخيار على المسجونين وأطلعهم على الأخبار[1]، فلهذا تجد كل خبر وقع في الدنيا يسبق إلى المسجونين قبل أن يشيع في الناس بدعوة يوسف، وكتب: هذا قبر الأحياء وشماتة الأعداء[2]. فخرج ودخل على الملك ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ ذو مكانة وأمانة على أمرنا. دخل عليه يوسف وهو ابن ثلاثين سنة وهو يتكلم باثنتين وسبعين لغة[3]. كلم الملك بالعبرانية قال له: ما هذا اللسان؟ قال: هذا لسان أبي، وكلمه بالعربية، قال له: ما هذا اللسان؟ قال هذا لسان عمي إسماعيل، وكلمه بسبعين لغة الباقية، وكان الملك يعلم سبعين لغة زاد عليه يوسف على حداثة سنه بلغتين: العبرانية والعربية فقال له هذا الكلام: «إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ» ماذا ترى أن نفعل؟ قال: اجمع الطعام وازرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وادخر الطعام في سنبله فسيأتي إليك الخلق ليمتاروا منك، فقال ومن لي بهذا؟ ﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ ذو حفظ وعلم بأمرها. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: يرحم الله أخي يوسف لو لم يطلب هذه المرتبة لوجدها في ذلك اليوم، ولكن لما طلبها من الملك أخر إلى سنة[4]. في العام القابل وجد هذه

---

1 – جاء في قصص الأنبياء للنيسابوري أن يوسف لما أراد الخروج إلى الملك دعا لأهل السجن بهذا الدعاء: اللهم عطف عليهم قلوب الأخيار ولا تعم عنهم الأخبار. ص126. ومثله في قصص الأنبياء المسمى بالعرائس للثعلبي ص74.

2 – انظر كتابيْ قصص الأنبياء للنيسابوري ص169، والثعلبي ص74.

3 – حاشية الصاوي ج247/2.

4 – القرطبي: عن جبير عن الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ولكن أخر ذلك عنه سنة) قال ابن

المرتبة فولاه الأمر كلا فجمع يوسف أهل البلاد وأمر بالزرع في السنين المخصبة، فاشتغل الناس بالزرع ولا يدرسون إلا قدر ما يأكلون فجمعوا الزرع في الخزائن حتى كثر الزرع في تلك السنين. أعطاه الملك أمر نفسه. قيل أسلم على يديه وصار خادما ليوسف فقط[1]، فصار أمر مصر كلا بيد يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كإنعامنا عليه بالخلاص من السجن ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿يَتَبَوَّأُ﴾ ينزل ﴿مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ بعد الضيق والحبس، وفي القصة أن الملك توَّجَهُ وختمه وولاه مكان العزيز وعزله ومات بعد، فزوجه امرأته فوجدها عذراء ولدت له ولدين وأقام العدل بمصر ودانت له الرقاب ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فلما كان من أمر يوسف هكذا توّجَهُ وختمه ونصب له سريرا من الذهب طوله ثلاثون ذراعا وجعل عليه سبعين فراشا[2]، قال يوسف أما السرير فسوف أجلس عليه أقوي مملكتك، والخاتم أقوي به مملكتك أيضا والتاج ليس من لباسي ولا من لباس آبائي. فلما كان كذلك وقع القحط في جميع البلدان، في العام الأول كان يوسف يقول: لا أبيع الزرع إلا بالدنانير والدراهم فقط، فباعوا له الدنانير والدراهم حتى لم يبق دينار ولا درهم في مصر إلا وملكه يوسف. وفي العام الثاني قال: لا أبيع إلا بالحلي والجواهر، باعوا له كل ما عندهم من الحلي والجواهر حتى لم يبق نقد في مصر إلا ملكه يوسف. وفي العام الثالث: لا أبيع إلا بالدواب فباعوا له ما عندهم من الدواب عن آخرهم، في العام

عباس لما انصرمت السنة من يوم سأل الإمارة دعاه الملك فتوَّجهُ ورداه (قلده) بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وضرب عليه حلة من إستبرق...الجامع ج213/9.

1 – قال مجاهد: أسلم الملك على يد يوسف. روح البيان ج279/4.

2 – تقدم ذكره، وقد ذكره الخازن في تفسيره ج26/3.

الرابع قال: لا أبيع إلا بالضياع والعقار، فباعوا له جميع ما عندهم من العقار والدور والأشجار حتى لم يبق بقعة إلا ملكها يوسف. وفي العام الخامس قال: لا أبيع إلا بالعبيد والإماء فباعوا له ما عندهم من العبيد والإماء حتى لم يبق أمة ولا عبد إلا وملكه يوسف. وفي العام السادس قال لا أبيع لكم إلا بأبنائكم، باعوا له أولادهم عن آخرهم. وفي العام السابع قال: لا أبيع لكم إلا برقابكم، فباعوا رقابهم فملكهم عن آخرهم. أتى للملك قال له: رأيت ما أعطاني الله تبارك وتعالى، أراه كل ما وجد، ففرح الملك بذلك ثم قال له: أشهدك وأشهد الناس كلا أني أعتقتهم عن آخرهم ورددت إليهم أملاكهم[1] ﴿وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ من أجر الدنيا ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ وهذا الإحسان الذي أولاه الله ليوسف يجد في الآخرة ما هو أكبر منه. الله تبارك وتعالى يجزي المحسنين ولا يضيع أجورهم. ﴿وَجَاءَ اخْوَةُ يُوسُفَ﴾ دخل القحط وأصاب أرض كنعان والشام الذي كان يسكن أبو يوسف وإخوته فجاعوا وأرسلوا أولاد يعقوب ليمتاروا لما بلغهم أن عزيز مصر يعطي الطعام بثمنه ﴿فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾ يوسف ﴿وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ عرفهم وهم لا يعرفونه لبعد عهدهم به وظنهم هلاكه، فكلموه بالعبرانية فقال لهم كالمنكر عليهم: ما أقدمكم بلادي؟ فقالوا: للميرة، فقال لعلكم عيون أي جواسيس؟ قالوا: معاذ الله، قال: فمن أين أنتم؟ قالوا له: من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبي الله. قال: وهل عنده أولاد غيركم؟ قالوا: نعم، كنا اثني عشر فذهب أحدنا فهلك في البرية، وكان أحبنا إليه وبقي شقيقه فاحتبسه ليتسلى به. فأمر بإنزالهم وإكرامهم. عرفهم يوسف عند الانتساب أو عرفهم عندما رآهم وهم

---

[1] - القرطبي ج219/9، حاشية الصاوي ج249/2

لا يعرفونه، تركوه صبيا صعلوكا أو عبدا ووجدوه ملكا جليلا عليه حجاب، فأنزلهم في بيوت وقال كل الأشقاء يسكنون وحدهم ويأكلون وحدهم ويبيتون وحدهم، ولكنه أسكنهم في دار فيها صورة يوسف لما كانوا يضربونه ويأوي إلى كل واحد منهم فيضربه، وفيها صورة يوسف عندما ألقي في الجب. حالتهم التي افترقوا عليها وجدوها مصورة في الدار التي أنزلوا فيها ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ وفّى لهم كيلهم ﴿قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ أراد أن يتصل شقيقه به. فقال لهم: أنتم ذكرتم أن أباكم له ولد غيركم. قالوا: نعم. قال: إثبات صدقكم عندي أن تأتوا بذلك الواحد فإن لم تفعلوا ذلك أعلم أنكم كاذبون وأنا لا أمير لكم ﴿أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾ أتمه من غير بخس ﴿وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ مضيف ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ قَالُواْ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ سنجتهد في طلبه ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ ذلك ﴿وَقَالَ لِفِتْيَتِهِ﴾ غلمانه ﴿اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ﴾ التي أتوا بها ثمن الميرة وكانت دراهم ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾ أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ﴾ وفرغوا أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلينا لأنهم لا يستحلون إمساكها، أدخلوا دراهمهم في أوعيتهم من غير شعور منهم ﴿فَلَمَّا رَجِعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ إن لم ترسل أخانا إليه ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ نمتر ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ لا يصيبه شيء ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ ما آمنكم عليه ﴿إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ﴾ يوسف ﴿مِن قَبْلُ﴾ وقد فعلتم به ما فعلتم ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا﴾ حافظا ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فأرجو أن يمن بحفظه ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَاعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ دراهمهم ﴿قَالُواْ يَاأَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ من كرم هذا الملك ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ رد لنا دراهمنا التي بعناها له نستظهر بها هذا معروف ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ عطف في القرآن لا يعرف المعطوف عليه، «هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ

أَهْلَنَا»، بضاعتنا ردت إلينا فنستظهر بها ونمير أهلنا[1] ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ لأخينا ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا﴾ عهدا ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ بأن تحلفوا بالله ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ بأن تموتوا أو تغلبوا فلا تطيقوا الإتيان به فأجابوه إلى ذلك ﴿فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ بذلك ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ نحن وأنتم ﴿وَكِيلٌ﴾ شهيد وأرسله يعقوب معهم ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ﴾ مصر ﴿مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ لئلا تصيبكم العين ﴿وَمَا أُغْنِي﴾ أدفع ﴿عَنكُمْ﴾ بقولي ذلك ﴿مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ من قدره وإنما ذلك شفقة فقط ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ قال لهم يعقوب لا تدخلوا من باب واحد يقال هؤلاء أحد عشر رجلا كلهم كامل الخلقة من رجل واحد، لئلا تصيبكم العين[2]، بعد ذلك تدارك أن ذلك شفقة منه ولكن لا يغني شيئا ولا يضر إلا الله تبارك وتعالى. والحق أن العبد يتوكل على الله فهو الفاعل المختار، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: العين حق[3]، العين ربما تدخل الإنسان القبر والبعير القدر[4]، ومن نظر إلى

---

1 – في كتاب الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل لمؤلفه بهجت عبد الواحد صالح المجلد الخامس ص337 ما نصه: "ونمير أهلنا" بمعنى نجلب لهم الميرة وهي ما يؤكل .. الجملة معطوفة على محذوف بتقدير: إن بضاعتنا ردت إلينا فنستظهر بها أي نقوى ونمير أهلنا في رجوعنا.

2 – راجع القرطبي ج226/9، وابن كثير ج485/2.

3 – صحيح البخاري: كتاب الطب/ باب العين حق (5740)، صحيح مسلم: كتاب السلام/ باب الطب والمرضى والرقى (4057)

4 – (العين تدخل الرجل القبر والبعير القدر) لابن عدي في الكامل ولأبي نعيم في الحلية كلاهما عن جابر. حديث صحيح. الجامع الصغير ج2/ رقم 5748.

شخص أو إلى شيء نظرة عين فليبارك فيه، يقول: اللهم بارك فيه، أو تكلم فيه بكلمة إعجاب يقول اللهم بارك فيه، إذاً لا تضره العين. والعين التي تضر هي أن ينظر بعين الإعجاب و لم يبارك فيه، أو يتكلم كلمة إعجاب و لم يبارك فيه. أما ما يقول الناس إن في بعض النفوس نفوسا شريرة تقدر أن تضر فذلك لا أصل له. إنما العين ربما تصدر من كل إنسان ومن كل لسان ومن كل عين، بيد أن الذين يخافون ذلك ويعتقدونه ربما يرون ضررا لذلك، وذلك الضرر إنما جاء من جهة الخوف. مثاله لو وضعنا خشبة على الأرض وحاول إنسان أن يمشي عليها يمشي عليها ولا يسقط لأنه لا يخاف، ولو رفعت في الهواء وأراد أن يمشي عليها وهي بعيدة من الأرض يسقط لأنه يخاف إنما أسقطه الخوف، كذلك هذا الذي يقال إنه يوجد إنسان يمص الدم لا تجد من يشكو هذا إلا النساء والصبيان لضعف إيمانهم يعتقدون أن ذلك يضر ويخافون منه فيرون ذلك. والجن ربما تستتر بالإنس تضر بالإنسان بواسطة إنسان يقول الإنسان أصابني فلان وفي الحقيقة إنما أصابه جني ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ أي متفرقين كل اثنين دخلوا من جهة ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ قضائه ﴿مِن شَيْءٍ إِلاَّ﴾ لكن ﴿حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ وهي إرادة دفع العين شفقة ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ لتعليمنا إياه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لاَ يَعْلَمُونَ﴾ إلهام الله لأصفيائه ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ ءَاوَى﴾ ضم ﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّيَ أَنَا أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ من الحسد وأمره ألا يخبرهم. لما رجعوا وجاءوا ببنيامين شقيق يوسف، قال يوسف كل أبناء أم يبقون في منزلهم وحدهم، فلما حضر الطعام بكى بنيامين قال يوسف: ما بال هذا؟ قالوا بكى لأننا كلنا أشقاء كل يأكل مع شقيقه وهو شقيقه هلك في البرية فلهذا بكى. قال: تعال لتأكل معي، أما تحب أن تأكل معي؟

قال: كل إنسان يحب أن يأكل معك، ولكنك لست ولدا ليعقوب ولا لراحيل، قال له: نعم كل معي فقط. فلما جاء العشاء بكى أيضا. فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا الذي بكى في الصباح هو الذي يبكي أيضا، قال: ما باله؟ قالوا: لأنه فقد شقيقه، قال له: تعال لتأكل معي. فلما حان المبيت كل أشقاء يبيتون في بيت وحدهم، بكى أيضا، قال له: تعال بت معي فبات معه فصار يسأله عن خبر يعقوب وأحوالهم بعده وسأله عن حاله هو وهل ولد له مولود؟ قال: نعم ولد لي أولاد، سأله عن أسمائهم، قال: واحد اسمه يوسف، واحد اسمه الدم، واحد اسمه الذئب[1]، قال: ما هذا؟ قال: إذا ذكرت الدم تذكرت يوسف، وإذا ذكرت الذئب تذكرت يوسف، قال له: أنا يوسف، فلما قال له أنا يوسف وأمره أن يكتم ذلك عن باقي إخوهما قال له: أنا لا أفارقك أبدا لا أرجع، قال له لا تفعل، قال: لا أرجع أبدا، قال: إذاً إذا كان والدنا في غم وحزن هذه المدة وكان يتسلى بك وجلست هكذا فقط يزداد غما، ولكن سأفعل حيلة حتى آخذك بحجة يكون ذلك أسهل على أبينا ولكن يكون فيه منقصة لك سأهمك بالسرقة لآخذك، قال افعل ما شئت أنا لا أذهب فقط.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾ هي صاع من ذهب مرصع بالجواهر، كان عند يوسف يشرب فيه الماء وكانت قيمته مائتا ألف دينار، كان يكتال لهم بهذا الصاع تكرمة لهم، فلما تم الكيل أدخله ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ من غير شعور منهم ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد بعد انفصالهم من مجلس يوسف ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ القافلة ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ قَالُواْ وَ﴾ قد ﴿أَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾ ما الذي

---

1 – وردت تسمية بنيامين أولاده الثلاثة: يوسف، الدم، الذئب في تفسير روح البيان ج4/297.

تفقدونه حتى تتهموننا بالسرقة ﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾ صاع الملك الذي كان يشرب فيه ﴿وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من أظهره يعطى حمل بعير من الطعام ﴿وَأَنَاْ بِهِ﴾ بالحمل ﴿زَعِيمٌ﴾ كفيل ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ ما سرقنا قط قالوا له ذلك لأنهم صاروا كُمّلا أكابر صلحاء حتى أنهم ربطوا أفواه دوابهم مخافة أن تتناول شيئا من نبات ليس لهم[1]، ﴿قَالُواْ﴾ المؤذن وأصحابه ﴿فَمَا جَزَآؤُهُ﴾ السارق ﴿إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾ في قولكم ما كنا سارقين ﴿قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ كان في شريعتهم أن السارق يُسترقّ، ثم أكد بقوله ﴿فَهُوَ﴾ السارق ﴿جَزَاؤُهُ﴾ جزاء المسروق لا غير وكانت سنة آل يعقوب، وليست سنة الملك، سنة الملك أن السارق يضرب ويغرم مثلي ما سرق، ولكن حكم يعقوب أن السارق يسترق ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِي﴾ القوم ﴿الظَّالِمِينَ﴾ بالسرقة فصُرفوا ليوسف، ردوا جميعا لتفتيش أوعيتهم ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ فتش يوسف وعاء كبيرهم روبيل و لم يجد شيئا وكلما فتش وعاء و لم يجد شيئا استغفر الله تبارك وتعالى ﴿قَبْلَ وِعَاء أَخِيهِ﴾ لو بدأ بوعاء أخيه لكانت فيه تهمة ولكن بدأ بالإخوة حتى وصل إلى الأخ أخيرا ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ السقاية ﴿مِن وِعَاء أَخِيهِ﴾ قال تعالى ﴿كَذَلِكَ﴾ الكيد ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ علمناه الاحتيال في أخذ أخيه ﴿مَا كَانَ﴾ يوسف ﴿لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ رقيقا من السرقة ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ دين ملك مصر إنما جزاء السارق الضرب وتغريم مثلي المسروق ﴿إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أخذه بحكم أبيه لم يتمكن من أخذه إلا بمشيئة الله بإلهامه سؤال إخوانه ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء﴾ بالإضافة ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ﴾ من المخلوقين

---

1 – ذكره الصاوي في حاشيته على الجلالين ج252/2. وللقرطبي ج234/9.

﴿عَلِيمٌ﴾ أعلم منه حتى ينتهي إلى علم الله ﴿قَالُواْ إِنْ يَّسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ إن سرق بنيامين فلا غرو فإن يوسف كان سارقا، والسرقة التي ادعوا على يوسف حكوا فيها حكايات كان جده لأمه يعبد صنما فأخذه يوسف وكسره وقالوا إن يوسف سارق، والصحيح أن عمته أخت يعقوب كانت تحب يوسف حبا شديدا وتطلب من يعقوب أن يرسل يوسف إليها فيقيم عندها أياما، فأحبت بقاء يوسف في يدها وكان عندهم قميص إبراهيم الذي وجده لما ألقي في النار، قميصه الذي جاء من الجنة توارثوه إلى أن وصل إلى عمة يوسف أخت يعقوب هذه هي الكبيرة هي المالكة للقميص في ذلك الوقت، جعلت القميص في شيء وطوقت به يوسف، ربطته في صلبه وأشاعت أن القميص قد سرق، ففتشوا يوسف فوجدوه مربوطا في صلبه وقالت يوسف سرق علي القميص إذاً يبقى رقيقا عندي، فبقي يوسف عند عمته بهذه الحيلة فلهذا قالوا إن يوسف كان سارقا وهو بريئ من السرقة، حيلة فعلتها عمته لتحظى ببقائه عندها فقط[1]، ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾ كتم هذا الذي قالوا، ساءه ولكن أخفى ذلك في نفسه ﴿وَلَمْ يُبْدِهَا﴾ أي يظهرها ﴿لَهُمْ قَالَ﴾ في نفسه لم يقل لهم ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ من يوسف وأخيه لسرقتكم أخاكم من أبيكم وظلمكم له ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ قَالُواْ يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ يحبه أكثر منا ويتسلى به عن ولده الهالك ويحزنه فراقه ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا﴾ استعبده ﴿مَكَانَهُ﴾ بدلا منه ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ في أفعالك ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ نعوذ بالله ﴿أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَّجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ﴾ نعوذ بالله من ذلك، لم يقل نعوذ بالله أن نأخذ إلا من سرق متاعنا لأنه يعلم براءة أخيه من

---

1 - القرطبي ج239/9، وابن كثير ج487/2، والصاوي ج253/2.

السرقة، ولكن الذي وجدنا متاعنا عنده تحرزا من الكذب ﴿إِنَّا إِذًا﴾ إن أخذنا غيره ﴿لَظَالِمُونَ فَلَمَّا اسْتَيْئَسُواْ﴾ يئسوا ﴿مِنْهُ خَلَصُواْ﴾ اعتزلوا ﴿نَجِيًّا﴾ يناجي بعضهم بعضا ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ سنا روبيل أو رأياً يهودا ﴿أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا﴾ عهدا ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ لما اعتزلوا يتناجون قالوا: نمشي فقط الرجل سرق وأُخذ، قال لهم روبيل: لا تقولوا هذا لا تنسوا أنكم أعطيتم عهدا وميثاقا لأبيكم ﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ قبل هذا فرطتم في يوسف حتى ضاع ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ﴾ أنا لا أفارق هذه ﴿الأَرْضَ﴾ أرض مصر ﴿حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي أَبِيَ﴾ بالعود إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ بخلاص أخي ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ارْجِعُواْ إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا﴾ عليه بالسرقة ﴿إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا﴾ تيقنا من مشاهدة الصاع في رحله ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾ لما غاب عنا ﴿حافِظِينَ﴾ عندما أعطيناك المواثيق ما كنا نعلم أنه سيسرق ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ هي مصر، أرسل إلى أهلها فاسألهم ﴿وَالْعِيرَ﴾ أصحاب العير ﴿الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ هم قوم من كنعان ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في قولنا فرجعوا إليه وقالوا له ذلك ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زينت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ ففعلتموه، اتهمهم لما سبق منهم من أمر يوسف ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ يعقوب صالح لا يقول إلا "صبر جميل" ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ أنا أرجو الله أن يأتيني بيوسف وبنيامين وروبيل أيضا جميعا ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بحالي ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ تاركا خطابهم ﴿وَقَالَ يَا أَسَفَى﴾ يا حزني ﴿عَلَى يُوسُفَ﴾ تذكر حزنه القديم، الحزن الجديد أثار حزنه القديم صار يبكي على يوسف، ما بكى على المفقودين الآخرين الآن ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ انمحى سوادهما وبدل بياضا من شدة بكائه ﴿مِنَ الْحُزْنِ﴾ من شدة حزنه ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مغموم مكروب دائما كان حزنه يساوي حزن سبعين

ثكلى[1] ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ لما ذكر يوسف قالوا أنت لا تزال تذكر يوسف ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ مشرفا على الهلاك لطول مرضك ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ لا تزال تذكر يوسف حتى تموت فقط ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا أَشْكُواْ بَثِّي﴾ وهو عظيم الحزن، البث هو الحزن الشديد الذي لا يمكن كتمانه، لابد لصاحبه أن يبثه ولا يصبر عليه حتى يبث إلى الناس ﴿وَحُزْنِيَ إِلَى اللَّهِ﴾ لا إلى غيره فهو الذي تنفع الشكوى إليه ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ من أن رؤيا يوسف صدق وهو حي، هو اعتمد على رؤيا يوسف أنه هو يوسف لا يموت حتى يسجدوا له جميعا. ثم قال ﴿يَابَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ اذهبوا اطلبوا خبرهما ﴿وَلاَ تَيْئَسُواْ مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾ من رحمته ﴿إِنَّهُ لاَ يَيْئَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ فانطلقوا نحو مصر ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ الضر الجوع ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ﴾ مدفوعة يدفعها كل من رآها لرداءتها ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ لما طلبوا الصدقة وهم أنبياء وعلم يوسف أنهم لا يليق بهم الصدقة، رق لهم وأدركته الرحمة فأراد أن يتعرف بنفسه لهم فرفع الحجاب بينه وبينهم ثم ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ﴾ من الضرب والبيع وغير ذلك ﴿وَأَخِيهِ﴾ من هضمكم له بعد فراق أخيه ﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ ما يؤول إليه أمر يوسف ﴿قَالُواْ﴾ بعد أن عرفوه لما ظهر لهم من شمائله ﴿أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾

---

1 – جاء في مصنف ابن أبي شيبة عن خلف بن حوشب قال دخل جبرائيل أو قال الملك على يوسف وهو في السجن فقال أيها الملك الطيب الريح الطاهر الثياب أخبرني عن يعقوب أو ما فعل يعقوب؟ قال: ذهب بصره. قال: ما بلغ من حزنه؟ قال: حزن سبعين ثكلى. قال: ما أجره؟ قال: أجر مائة شهيد. مصنف ابن أبي شيبة: كتاب الزهد/ باب كلام موسى عليه السلام (30078).

عرفوا بالدلائل أن هذا يوسف، كان بعيدا من أن يكون هذا هو يوسف عندهم، ولكن لما أمسك بنيامين غضب روبيل وهو كبيرهم وكان أولاد يعقوب أقوياء، وفيهم سر إذا غضب واحد منهم في بلدة وصاح أسقطت النساء كلا أجنتهن، هدد يوسف قال له: أيها الملك إن لم ترد إلي أخي سأصيح في مصر صيحة لا تترك فيها امرأة حبلى إلا ألقت جنينها، وهذا إذا هم واحد من أولاد يعقوب أن يفعله لا يمنعه إلا إذا مسه أحد من إخوته، قال يوسف لولد له صغير: اذهب إلى هذا الرجل ومسه خذ بأصابعه فقط، فلما هم بالصيحة أمسكه ولد يوسف فسكن الغضب وسكت. فقال: هذا يا أيها الملك شيء عجيب، أنا هذا الذي عزمت على فعله ما يحول بيني وبينه إلا ولد يعقوب، وهذا..، قال له: هذا ليس ولد يعقوب هو ولدي أنا داخله شك أولا، وعنده قوة المصارعة فقال للملك لابد أن تسلم إلي أخي وإلا فسأصرعك، أراد أن يسطو على يوسف، قام يوسف وحمله وصرعه، قال له: أنتم أولاد آل كنعان تظنون أن لا قوة إلا عندكم، فرأى من قوة يوسف ما لم يظن أنه يوجد في غير أولاد يعقوب، فلهذا قال له «أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي» وكتب يعقوب إلى يوسف رسالة: بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب إسرائيل الله عبد الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر أما بعد فإننا قوم وكل علينا البلاء، جدي إبراهيم ألقي في النار حتى أغاثه الله فصارت بردا وسلاما عليه، وأبي إسحاق سلط عليه الذبح حتى فداه الله بذبح عظيم وأنا يعقوب كان عندي ولد هو أحب أولادي إلي فذهب به إخوته فقالوا إنه هلك في البرية وبقي عندي أخوه الأصغر أتسلى به، وقيل لي إنك أمسكته عندك وتدعي أنه

سارق، وإنا لا نسرق ولا نلد سارقا ردّ إلي ابني وإلا سوف أدعو عليك بدعوة تدرك السابع من عقبك[1]. فلما قرأ يوسف البراوة كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف ملك مصر أما ما ذكرت من مآثر آبائك الصالحين فإنهم ابتلاهم الله فصبروا فنصرهم الله فاصبر كما صبروا. فقرأ الرسالة فقال: هذه ليست من رسائل الملوك، ليست هذه رسالة ملك، هذا كلام الأنبياء، هذا يوسف، هذا يوسف، قالوا له أنت مجنون. (..)[2]

﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ﴾ يخف الله ﴿وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالملك وغيره ﴿وَإِنْ﴾ إنا ﴿كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ آثمين في أمرك ﴿قَالَ لاَ تَثْرِيبَ﴾ عتب ﴿عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ خصه بالذكر لأنه مظنة التثريب فغيره أولى ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهْوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ وسألهم عن أبيه فقالوا: ذهبت عيناه، فقال ﴿اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا﴾ وهو قميص إبراهيم الذي لبسه حين ألقي في النار، كان في عنقه في الجب وهو من الجنة أمره جبريل بإرساله وقال إن فيه ريحا لا يلقى على مبتلى إلا عوفي ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ يصير بصيرا ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ خرجت من عريش مصر ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لمن حضر من بنيه وأولادهم ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ لما

---

1 - قال القرطبي في تفسيره: قال ابن عباس كتب يعقوب إليه يطلب رد ابنه وفي الكتاب: من يعقوب صفي الله ابن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر أما بعد فإنا أهل بيت بلاء ومحن ابتلى الله جدي إبراهيم بنمرود وناره ثم ابتلى أبي إسحاق بالذبح ثم ابتلاني بولد كان لي أحب أولادي إلي حتى كف بصري من البكاء وإني لم أسرق ولم ألد سارقا والسلام. القرطبي ج256/9.

2 - هنا سئل سيدنا الشيخ عن الذبيح فأجاب: [.. اختلاف فقط، تعلمون أنه مختلف فيه ولكن الراجح أنه إسماعيل، ولكن كلهم يدعىَ أنه.. ذرية إسحاق يدعون أنه إسحاق والصحيح أنه إسماعيل]

خرجوا من العريش وبين مصر والشام مسيرة ثلاثة أيام أو ثمانية أيام أو أكثر[1]، قال يعقوب: شممت رائحة يوسف، ذلك لأنه شم رائحة الجنة ويعلم أن شيئا من الجنة لم يكن إلا عند يوسف ﴿لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ تسفهوني لصدقتموني ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ﴾ خطئك القديم من إفراطك في محبته ورجاء لقائه على بعد العهد، ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ يهودا بالقميص وكان قد حمل قميص الدم أيضا فأحب أن يفرحه كما أحزنه ﴿أَلْقَاهُ﴾ طرح القميص ﴿عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ﴾ رجع ﴿بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ أما أخبرتكم أن يوسف حي؟ لأني علمت شيئا لا تعلمونه وذلك لأمور: أتاه ملك الموت قال له: أنت قبضت روح يوسف، قال لا، يوسف لم يمت هو حي[2]، يعقوب عنده هذا العلم، وأتاه الذئب يزوره قال له: أيها الذئب كيف أكلت ولدي؟ قال: معاذ الله أن نأكل شاة في حيك ولاسيما ولدك. قال له: يوسف قيل إنك أكلته؟ قال: لا يوسف ما أكلته هو حي[3]. وثالثا رؤيا يوسف هو يتحقق أنه لا يموت إلا إذا وقع مصداق تلك الرؤيا، فلهذا قال لهم علمت من الله ما لا تعلمون ﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أخر ذلك إلى السحر ليكون أقرب إلى الإجابة، أو إلى ليلة الجمعة[4]، أو إلى أن يلقى

---

1 – قاله جلال الدين السيوطي في تفسير الجلالين. راجع حاشية الصاوي ج258/2.

2 – محاورة يعقوب لملك الموت ذكرها القرطبي في الجامع ج251/9.

3 – ذكر هذه المحاورة التي جرت بين يعقوب والذئب القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج251/9.

4 – ذكر القولين السيوطي في الجلالين عند تفسير الآية.

يوسف لأنه صاحب الحق[1]، ثم توجهوا إلى مصر وخرج يوسف والأكابر لتلقيهم فأرسل إليهم وهم سبعون بيتا أرسل لهم سبعين بعيرا ليحملوا متاعهم وأهاليهم وياتوا، فخرج يوسف في استقبال أبيه على يمينه أربعة آلاف عبد وعلى يساره ومن خلفه ومن أمامه كلهم يملكهم[2] فخرج يوسف والجيش معه وهو يركب فرسا عليه تاجه، فلما قربوا من يعقوب هاجت الجيوش وصهل الخيل وتحرك الناس حركة كبيرة كأن القيامة قد قامت أتى جبريل وقال: يوسف انزل عن الفرس وامش تواضعا لأبيك فنزل يوسف ومشى على قدميه حتى استقبل والده يعقوب فسلم عليه قال له: هؤلاء العبيد كلا ستة عشر ألفا من الرقيق ملكي أعتقهم لله فرحا بلقائك، إن كان يوسف يعتق هذا من الرقاب فرحا بلقاء يعقوب فكم سيعتق الحق تعالى بلقاء حبيبه صلى الله عليه وسلم؟ ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا﴾ فخروا كلا وسجدوا تحية له في ذلك الزمان ﴿وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ﴾ هذه الرؤيا التي رأيت قبل ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِيَ﴾ إلي ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ لم يقل من الجب تكرما لئلا تخجل إخوته قال «إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ» لأن الجب هم الذين أدخلوه فيه لو ذكره لخجلوا ولأن الجب خرج منه إلى الرق والسجن خرج منه إلى الملك ولهذا شكر الله وتذكر خروجه من السجن لا من الجب ﴿وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ﴾ أفسد ﴿الشَّيْطَانُ

---

1 – هذا القول نقله القرطبي عن عامر الشعبي قال: "سوف أستغفر لكم ربي" أي أسأل يوسف إن عفا عنكم استغفرت لكم ربي. القرطبي ج263/9.

2 – خروج يوسف في استقبال يعقوب في خلق لا يعلمه إلا الله أورده القرطبي ج268/9.

بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بخلقه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه اعتذر له إخوته قال لهم: أنتم فعلتم لي شيئا كبيرا، أنا كنت أسمع دائما سبحان الله هذا كان عبدا فقط صار ملك مصر، ولما جئتم وأنتم إخوتي علموا أني لست بعبد، أنتم رفعتموني فعلتم بي من التكرمة شيئا لا يحصى، كان يسليهم بهذا. وأقام عنده أبواه أربعا وعشرين سنة، أو سبع عشرة سنة، وكانت مدة فراقه ثماني عشرة أو أربعين أو ثمانين وهذا هو الصحيح، وحضره الموت فوصى يوسف أن يحمله ويدفنه عند أبيه فمضى بنفسه ودفنه ثَم، ثم عاد إلى مصر وأقام بعده ثلاثا وعشرين سنة، ولما تم أمره وعلم أنه لا يدوم وتاقت نفسه إلى الملك الدائم قال: "رب قد ءاتيتني من الملك ...الآية"

لما أتوا قص عليه يوسف قصة زليخا حتى بلغ إلى خبر تزويجه بزليخا. وكيف وقع القحط وصار الناس يأتون إلى يوسف يمتارون، وكانت زليخا قد بكت من محبة يوسف حتى عميت وفرقت مالها، كل من ذكر يوسف أعطته جزء من مالها حتى افتقرت ولم يبق عندها شيء وصارت عجوزا بنت تسعين سنة، وكان يوسف إذا أصبح ركب الجواد وصهل فعلم الناس كلا أن يوسف قد خرج للميرة، يأتي طلاب الميرة يزدحمون فيكيل لهم إلى أن يجن الليل. إذا جن الليل يرجع إلى بيته ويلبس الصوف ويبيت يتعبد حتى الصباح، وكان يصوم النهار لئلا ينسى الجائعين. وقفت زليخا في الطريق وقالت: يا يوسف، يا يوسف ما سمع نداءها، وفي الغد فعلت ذلك ثانيا وثالثا فلم يسمع يوسف، فقالت: سبحان الله سبحان من أكرم العبيد بطاعته وأذل الملوك بمعصيته، فرفع الله هذا الكلام وأدخله في أذن يوسف فأمر يوسف قال: خذوا هذا المتكلم اذهبوا به إلى بيتي، فلما جن الليل رجع يوسف ودخل متعبده فتذكر، فقال: أين التي تكلمت آنفا؟ آتوا بها، فسلمت عليه وقالت

له: يا يوسف هل عرفتني؟ قال: لا ما عرفتك، قالت: سرعان ما نسيتني، يا يوسف نسيتني؟ قال: ما عرفتك قط. قالت: أنا زليخا. قال: سبحان الله أنت زليخا رأس الفتنة، أنت في قيد الحياة إلى الآن؟ قالت: يا يوسف أنا حياتي كلا ذهبت في محبتك تضن علي بالحياة؟ قال: يا غلام اذهب بهذه العجوز ولتذكر لك حاجتها واقضها لها. قالت: يا يوسف أنا حاجتي لا يقضيها إلا أنت. قال: ما هي؟ قالت: تسأل الله تبارك وتعالى أن يرد إلي شبابي وجمالي وتتزوجني فقط. سكت يوسف، فنزل جبريل وقال: ربك يقرئك السلام ويأمرك أن تقبل ما قالت زليخا. فدعا يوسف فتحولت شابة جميلة، فتزوجها وزفت إليه[1]، فوجدها عذراء ما اختبرها رجل قط، ولدت منه ولدين وبنتا أفرائيم وميشا[2] أفرائيم بلغتهم هو إبراهيم وميشا ورحمة، رحمة زوجة أيوب التي سيأتي ذكرها في سورة الأنبياء، ميشا هو الذي ولد نون والد يوشع صاحب موسى، وكانا في الجمال آية حتى أن الله كان يباهي بهما الملائكة[3]، كما كان عثمان بن عفان أجمل الناس ورقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك، تقول قريش في غنائها:

---

1 – قصة تزويج زليخا بيوسف ذكرها القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ج9/213.

2 – لوحظ في كتب التفسير اختلاف في ضبط أسماء ولدي يوسف عليه السلام من زليخا، ففي حاشية الصاوي: أفرائيم وميشا ج2/248. وللقرطبي: أفرائيم ومنشا ج9/214. وعند الخازن والنسفي: أفرائيم وميشا ج3/27. ولابن كثير: أفرايثيم وميشا ج2/483.

3 – ذكره في روح البيان ج4/282.

أحسن زوجين رأى إنسان   رقيــة وبعلهــا عثمـــان[1]

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لرقية: إن بعلك أشبه الرجال بجدك إبراهيم وأبيك محمد[2].

فلما أتى يعقوب أنزله يوسف في بيت زليخا، فدخل يعقوب فقال: هذا من الزخارف لا أطيقه، اجعلوا لي عريشا جنب البيت كمثل عريشي في كنعان أسكن فيه، جعلوا له عريشا من البند، خيمة فقط كخيام أهل البادية، سكن فيه مدة أربع وعشرين سنة فلما حضرته الوفاة أوصى يوسف أن يحمله إلى الشام، فحمله يوسف إلى الشام ووجد عيص توأمه مات في ذلك اليوم فجمعهما في قبر ودفنهما[3] ورجع إلى مصر وأقام بعدهما ثلاثا وعشرين سنة، فلما رأى أن كل شيء تكامل عنده علم أن وفاته قد قربت. إذا تم أمر بدا نقصه   ترقب زوالا إذا قيل تم[4]

---

1 – ورد هذا البيت في الإصابة في تمييز الصحابة في ترجمة سعدى بنت كرز بن ربيعة العبشمية خالة عثمان بن عفان دون عزو. وذكره القرطبي في الجامع عن نساء قريش بلفظ: أحسن شخصين... البيت. الجامع لأحكام القرآن ج242/14.

2 – جاء في كنز العمال: عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته أم كلثوم قال لأم أيمن هيئي ابنتي أم كلثوم وزفيها إلى عثمان وخفقي بين يديها بالدف، ففعلت ذلك، فجاءها النبي صلى الله عليه وسلم بعد الثالثة فدخل عليها فقال: كيف وجدت بعلك؟ قالت هو خير بعل فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أما إنه أشبه الناس بجدك إبراهيم وأبيك محمد). كنز العمال: المجلد الثالث عشر/ فضائل ذي النورين (36225).

3 – ذكر كل ذلك الثعلبي في قصص الأنبياء المسمى بالعرائس ص141.

4 – ورد هذا البيت في نور الأبصار ص95، ضمن أبيات منسوبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه:

وعش موسرا شئت أو معسرا   فلابد تلقى بدنيــاك غم
ودنيـــاك بالغـــم مقرونة   فلا يقطع العمر إلا بهم
حلاوة دنياك مسمومـــة   فلا تأكل الشهد إلا بسم

فلهذا دعا بهذا الدعاء ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي﴾ متولي مصالحي ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ قيل طلب الموت وهو أول من طلب الموت شوقا إلى الله تبارك وتعالى[1] أو طلب الموت على الإسلام ليس طلب الموت، فلما دعا هذا الدعاء عاش بعد ذلك أسبوعا ومات وله مائة وعشرون سنة، وتشاح المصريون في قبره فجعلوه في صندوق من مرمرٍ ودفنوه في أعلى النيل، لتعم البركة جانبيه فسبحان من لا انقضاء لملكه. ولما أراد موسى عليه الصلاة والسلام أن يخرج من مصر - وقد كان يوسف أوصى أن ينقل إلى الشام - تحيروا كلما أرادوا الخروج تحيروا حتى أتاه جبريل وقال له: لا يمكنك الخروج ما لم تحمل معك عظام يوسف، فطلب هل هنا أحد يعرف قبر يوسف فذُكِرت له عجوز عمياء، فلما جيئ بالعجوز قالت له: إن رد الله علي بصري أريك محل قبر يوسف فدعا موسى فرد الله بصرها فأرته قبر يوسف وقد غطاه البحر النيل فصار موسى يكتب الإسم أو الوفق على عصاه ويضرب فينكشف الماء حتى بلغ محل قبر يوسف فاستخرجه وحمله معه، فاهتدى إلى الطريق[2] فنقلوه إلى الشام لهذا صار قبر يوسف في الشام

محامـــدك اليوم مذمومـــة ... فلا تكسب الحمد إلا بذم

إذا تم أمــــر بدا نقصـــه ... توقع زوالا إذا قيـــل تم

1 - كان ابن عباس يقول: ما تمنى نبي قط الموت قبل يوسف عليه السلام. وكذا ذكر ابن جرير والسدي عن ابن عباس أنه أول نبي دعا بذلك. ابن كثير ج2/493.

2 - أخرج الحاكم في مستدركه من حديث أبي موسى الأشعري قال: نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعرابي فأكرمه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: تعهدنا إئتنا. فأتاه الأعرابي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما حاجتك؟ فقال: ناقة برحلها وأبجر ألبنها أهلي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عجز هذا أن يكون كعجوز بني إسرائيل. فقال له أصحابه: ما عجوز بني إسرائيل يا رسول الله؟

عند الخليل ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر يوسف ﴿مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ﴾ أخبار ما غاب عنك يا محمد ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ لدى إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ﴾ في كيده ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ لم تحضر فتعرف قصتهم فتخبر بها وإنما حصل لك علمها من جهة الوحي. هذا أدل دليل على رسالته ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أهل مكة ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ على إيمانهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ القرآن ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ تأخذه ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ﴾ دالة على وحدانية الله ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ يشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا يتفكرون فيها ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ﴾ حيث يقولون بأنه الخالق الرزاق ﴿إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ به بعبادة الأصنام ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك[1] ﴿أَفَأَمِنُواْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ﴾ نقمة تغشاهم ﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ بوقت إتيانها

فقال: إن موسى حين أراد أن يسير ببني إسرائيل ضل عنه الطريق فقال لبني إسرائيل ما هذا؟ قال فقال علماء بني إسرائيل إن يوسف عليه السلام حين حضره الموت أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج من مصر حتى تنقل عظامه معنا فقال موسى أيكم يدري أين قبر يوسف؟ فقال علماء بني إسرائيل: ما يعلم أحد مكان قبره إلا عجوز لبني إسرائيل، فأرسل إليها موسى فقال: دلينا على قبر يوسف قالت: لا والله حتى تعطيني حكمي فقال لها: ما حكمك؟ قالت: حكمي أن أكون معك في الجنة فكأنه كره ذلك قال فقيل له: أعطها حكمها فأعطاها حكمها فانطلقت بهم إلى بحيرة مستنقعة ماء فقالت لهم انضبوا هذا الماء فلما أنضبوا قالت لهم احفروا فحفروا فاستخرجوا عظام يوسف فلما أن أقلوه من الأرض إذا الطريق مثل ضوء النهار. المستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير/ تفسير سورة الشعراء رقم (3571).

1- أخرج مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان المشركون يقولون: لبيك لا شريك لك، قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ويلكم قد قد). فيقولون إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك. يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت. صحيح مسلم: كتاب الحج/ باب التلبية وصفتها ووقتها (2032) وقد انفرد به مسلم.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِيَ﴾ وفسرها بقوله ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ إلى دين الله ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ حجة واضحة ﴿أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ آمن بي ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ تنزيها له عن الشركاء ﴿وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً يُوحَى إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ من أهل الأمصار، كان الله يرسل الأنبياء من الأمصار ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ﴾ أهل مكة ﴿فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ آخر أمرهم من إهلاكهم ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ﴾ الجنة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ يا أهل مكة فتؤمنون ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ﴾ يئس ﴿الرُّسُلُ وَظَنُّواْ﴾ أيقن الرسل ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُواْ﴾ أي كذبتهم أممهم، ليس وظنوا أنهم قد كَذبوا، معاذ الله أن يظن الأنبياء أنهم كَذَبوا، إنما تيقنوا أن الأمم كذبتهم ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُنجِي مَن نَّشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ الرسل ﴿عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول ﴿مَا كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ يختلق ﴿وَلَكِنْ﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ﴾ تبيين ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم.

سورة الرعد

مكية إلا "ولا يزال الذين كفروا" الآية "ويقول الذين كفروا لست مرسلا" الآية
أو مدنية إلا "ولو أن قرآنا.." الآيتين. أربع وأربعون آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَمِّـر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءايَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ الذي هو القرآن ﴿الْحَقُّ﴾ لا شك فيه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أهل مكة ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ بأنه من عنده تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ رفع السماوات بلا عمد، بلا عمد أصلا أو بلا عمد ترونها، أو الله الذي رفع السماوات هو الذي رفع هذه السماوات ترونها، ها أنتم ترون السماوات بغير عمد، نحن نشاهد السماء نتحقق أن لا عمد فيها، وهذا لا يمكن من مخلوق، نحن إذا بنينا خيمة واحدة صغيرة لابد من أعمدة كثيرة، والذي رفع هذه السماء ونحن ننظر إليها وليس لها عمد تعلمون أن هذا هو الله المستحق للعبادة ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواء يليق به ﴿وَسَخَّرَ﴾ ذلل ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو يوم القيامة ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ يقضي أمر ملكه ﴿يُفَصِّلُ﴾ يبين ﴿الآيَاتِ﴾ دلالات قدرته ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ﴾ بالبعث ﴿تُوقِنُونَ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ﴾ بسط ﴿الأَرْضَ وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالا ثوابت ﴿وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ من كل نوع ﴿يُغْشِي﴾ يغطي ﴿الَّيْلَ﴾ بظلمته ﴿النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنع الله تبارك وتعالى ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ﴾ بقاع مختلفة ﴿مُتَجَاوِرَاتٌ﴾ متلاصقات فمنها طيب وسبخ وقليل

الريع وكثيره وهو من دلائل قدرته تبارك وتعالى ﴿وَجَنَّاتٌ﴾ بساتين ﴿مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنْوَانٍ﴾ جمع صنو وهن النخلات يجمعها أصل واحد وتتشعب فروعها ﴿وَغَيْرِ صِنْوَانٍ﴾ منفردة ﴿تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾ الله تبارك وتعالى أنزل المطر من السماء، المطر واحد نزل على الأرض فخرجت النباتات فخرجت الثمار فتجد ثمرات طيبة وتجد ثمرات غير طيبة والسقي واحد والمنبت واحد هذا من قدرته تبارك وتعالى، الصنوان أي نخلات كثيرة يجمعها أصل واحد[1]، ومن بني البشر من رجال أبوهم واحد أو جدهم واحد ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون ﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ يا محمد من تكذيب الكفار لك ﴿فَعَجَبٌ﴾ حقيق بالعجب ﴿قَوْلُهُمْ﴾ منكرين للبعث ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ هذا هو أعجب ما يسمع كونهم يتعجبون أن الله يقدر على إعادتهم بعدما تيقنوا أنه هو الذي أنشأهم ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ واستعجلوا العذاب استهزاء بالنبي قال ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ العذاب ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ الرحمة ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاَتُ﴾ العقوبات التي حلت بالمكذبين للأنبياء ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ مع ظلمهم وإلا لم يترك على ظهرها دابة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ هلا أنزل على محمد ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كالعصا واليد والناقة قال تعالى ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾ مخوف للكافرين وليس عليك الإتيان بالآيات ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ كل قوم لهم نبي يدعوهم إلى ربهم بما يعطيه من الآيات لا بما يقترحون قال الرسول

---

1 – كذا في لسان العرب مادة صنو.

صلى الله عليه وسلم: (تناكحوا تناسلوا فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة)[1] وقال (لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من حمر النعم)[2] من هدى واحدا فقد أكثر من سواد المسلمين وذلك كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك من تزوج حتى ولد له ولد يزيد في أمة محمد هو يكاثر الأنبياء يوم القيامة، لهذا يقول عمر بن الخطاب: والذي نفسي بيده لو علمت أن قد بقي لي من الدنيا ساعة واحدة وعلمت أني إذا تزوجت امرأة أجد منها ولدا لفعلت ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى﴾ من ذكر وأنثى وواحد ومتعدد وغير ذلك ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾ تنقص ﴿الأَرْحَامُ﴾ من مدة الحمل ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ منه ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ بقدر واحد لا يتجاوزه، الله تبارك وتعالى يخلق الولد في رحم الأم ولا يعلم أحد ما هنالك هل ذكر؟ أم أنثى؟ هل واحد؟ أم متعدد، أم غير ذلك، هل يولد الحمل في ستة أشهر، أم في تسعة أشهر أم في سنة أم في سنتين أم في خمس سنوات؟ قيل إن مقدار الحمل عند مالك خمس سنوات وبعض الأئمة عشر سنوات، وبعضهم ليس

---

1 - جاء في الجامع الصغير للسيوطي ج1/ رقم 3366 : (تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة) لعبد الرزاق في الجامع عن سعيد بن أبي هلال مرسلا. وأخرج أبو داود في سننه عن معقل بن يسار قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال وإنها لا تلد أفأتزوجها قال: لا ثم أتاه الثانية فنهاه ثم أتاه الثالثة فقال: (تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم) سنن أبي داود: كتاب النكاح/ باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء (1754) ومثله للحاكم في مستدركه: كتاب النكاح/ باب تزوجوا الودود الولود (2727).

2 - (لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من أن يكون لك حمر النعم) بقية حديث أخرجه البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد. صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير/ باب فضل من أسلم على يديه رجل (3009) وفي صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة/ باب من فضائل علي بن أبي طالب (4423).

له حد معدود[1]، مالك أقام في بطن أمه سنتين[2] كاملتين ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ على خلقه بالقهر ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ﴾ كان رجال يتكلمون في النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: أخفضوا أصواتكم إذا سمعكم رب محمد سيخبره، قالوا: أين هو؟ إن كان يسمع إذا رفعنا صوتنا لابد أنه يسمع إذا خفضنا صوتنا لأنه ليس هنا[3]، فنزلت هذه الآية ﴿سَوَاءٌ مِّنكُمْ﴾ في علم الله ﴿مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ﴾ الجهر والسر عنده سواء ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾ مستتر ﴿بِاللَّيْلِ﴾ بظلامه ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾ للإنسان ملائكة تتعقبه ﴿مِن بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ قدامه ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ ورائه ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ بأمره من الجن وغيرهم. الله تبارك وتعالى وكل على كل إنسان ثمانية من الملائكة يحفظونه النهار كله وإذا صلوا المغرب أتى ثمانية من الملائكة ويبيتون إلى الفجر ويصعد ملائكة الليل ويأتي ملائكة النهار، يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار،

---

1 - أورد القرطبي اختلاف العلماء في أكثر الحمل وفيه قوله: "... وعن الشافعي أربع سنين وروي عن مالك في إحدى روايتيه والمشهور عنه خمس سنين، وروي عنه: لا حد له ولو زاد على العشرة الأعوام". القرطبي ج9/ 287.

2 - القرطبي: ويذكر عن مالك أنه حمل به في بطن أمه سنتين وقيل ثلاث سنين. ج9/ 288.

3 - جاء في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي - أو ثقفيان وقرشي - كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين (4817).

ويجتمعون عند صلاة المغرب وعند صلاة الصبح[1] ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ لا يسلبهم نعمته ﴿حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ من الحالة الجميلة بالمعصية ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ عذابا ﴿فَلاَ مَرَدَّ لَهُ﴾ من المعقبات ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ لمن أراد الله بهم سوء ﴿مِن دُونِهِ﴾ غير الله ﴿مِنْ وَالٍ﴾ يمنعه ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ هذا نزل في عامر بن الطفيل كان احتال أنه يأتي يغتال الرسول صلى الله عليه وسلم فنزل به بلاء فمات، فقال تعالى «هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا» ﴿وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ بالمطر ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ﴾ الملَك الموكل بالسحاب يسوقه متلبسا ﴿بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ نار تخرج من السحاب ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ فتحرقه، نزل في رجل أراد أن يغتال الرسول صلى الله عليه وسلم[2] ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ﴾ يخاصمون النبي صلى الله عليه وسلم ﴿فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ القوة ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ مما يطلبونه

---

1 – ما ورد في الصحيح من روايات الحديث فيه ذكر صلاة العصر دون المغرب إلا ما كان من احتمال ذكره ابن حجر في فتح الباري عند شرح (تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون) قال: ويحتمل أن يكون المراد بقولهم (وهم يصلون) أي ينتظرون صلاة المغرب. انتهى منه. والحديث كما ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة/ باب فضل صلاة العصر (555) ولمسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة /باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (1001).

2 – ذكر القرطبي قصة عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وتآمرهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات أربد بصاعقة ومات عامر بغدة كغدة البكر. القرطبي ج9/ 297.

﴿إلاَّ﴾ استجابة ﴿كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ﴾ كاستجابة باسط كفيه ﴿إِلَى الْمَاءِ﴾ إلى البئر، هو رجل وقف على فم البئر ومد يديه ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ ليأتي الماء إلى فيه لا يجد مراده ﴿وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ ليس الماء ببالغ فيه، فكذلك ما هم بمستجيبين لهم، من يعبد الأصنام كمن يريد أن يطلع الماء من قعر البئر إلى فمه، لا يكون هذا أبدا ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ عبادتهم ﴿إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾ ضياع ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا﴾ كالمؤمنين ﴿وَكَرْهًا﴾ كالمنافقين ومن أكره بالسيف ﴿وَظِلاَلُهُمْ﴾ يسجد ظلالهم ﴿بِالْغُدُوِّ﴾ البكر ﴿وَالآصَالِ﴾ العشاء ﴿قُلْ﴾ يا محمد لقومك ﴿مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ﴾ غيره ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أصناما ﴿لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا﴾ وتركتم مالكها استفهام التوبيخ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ الكفر والإيمان ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ﴾ خلق الشركاء بخلق الله ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لا، فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم ليس الأمر كذلك، لا يستحق العبادة إلا الخالق ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا شريك له فيه، فلا شريك له في العبادة ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ لعباده ثم ضرب مثلا للحق والباطل فقال ﴿أَنزَلَ﴾ تعالى ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي مطرا ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ بمقدار ملئها ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ عاليا هو ما على وجهه من قذر ونحوه ﴿وَمِمَّا تُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ من جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس ﴿ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿حِلْيَةٍ﴾ زينة ﴿أَوْ مَتَاعٍ﴾ ينتفع به كالأواني ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾ مثل زبد السيل وهو خبثه الذي ينفيه الكير ﴿كَذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ مثلهما ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾ من السيل وما أوقد عليه من الجواهر ﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ باطلا ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ من الماء والجواهر

﴿فَيَمْكُثُ﴾ يبقى ﴿فِي الأَرْضِ﴾ زمانا ﴿كَذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ﴾ أجابوه بالطاعة ﴿الْحُسْنَى﴾ الجنة ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُ﴾ وهم الكفار ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْاْ بِهِ﴾ من العذاب ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ وهو المؤاخذة بكل ما عملوه لا يغفر منه شيء، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (من حوسب عذب) تقول عائشة ما معنى "فسيحاسب حسابا يسيرا" قال ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك[1]. من حاسبه الله حقيقة الحساب لا ينجو أبدا، ومن أراد الله به خيرا يجعل له العرض فقط يذكره بأفعاله ثم يعفو عنه ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ ضرب مثلا الحق والباطل، كلما ظهر حق قارنه كذب يشاكله، والباطل يعلو في بداية الأمر كما أن المطر إذا نزل وامتلأ الوادي من الماء تجد الزبد يعلو الماء، والزبد الذي ليس فيه فائدة هو الذي يعلو الماء ويغطيه حتى لا ترى وجه الماء ولكن بعد زمن يسير يذهب الزبد جفاء ويبقى الماء الذي ينفع الناس، كذلك في الذهب والفضة عندما يذاب بالنار يكون فوقه زبد ولكن الزبد سيذهب عاجلا والذي ينفع هو

---

1 – حدثنا سعيد بن أبي مريم قال أخبرنا نافع بن عمر قال: حدثني ابن أبي مليكة أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من حوسب عذب) قالت عائشة: فقلت أوليس يقول الله تعالى "فسوف يحاسب حسابا يسيرا" قالت فقال: (إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك). صحيح البخاري: كتاب العلم/ من سمع شيئا فلم يفهمه فراجع فيه حتى فهمه (103) ولمسلم مثله مع اختلاف يسير في الألفاظ: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب إثبات الحساب (5123).

الذي يبقى، كذلك الحق والباطل، الباطل يعلو أولاً، للباطل جولة ثم يضمحل[1] وللحق صولة إذا جاء الحق بصولته زهق الباطل بجولته.

تخالف عمر وأبو بكر قال أبو بكر إن الحسنات من الله والسيئات منا، هذا كلام العارفين، قلت لكم أبو بكر غالب المعرفة[2]، وقال عمر: الحسنات والسيئات كلا من الله، مالت فرقة مع أبي بكر وفرقة مع عمر فتحاكموا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سأقضي بينكما بما قضى به إسرافيل بين جبريل وميكائيل، أما جبريل فكان يقول ما يقول أبو بكر، وميكائيل كان يقول ما يقول عمر، فلما تحاكما عند إسرافيل قضى بينهما إسرافيل وأنا سأقضي بينكما بنفس ما قضى به إسرافيل: القدر من الله خيره وشره لو أراد الله أن لا يعصى ما خلق إبليس[3] هذا معنى أن الحسنات والسيئات كلا من الله تبارك وتعالى وهو الحق. اللهم صل على سيدنا محمد وسلم.

---

1 – (للباطل جولة ثم يضمحل) ذكره ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر ولم يعزه. ج1/ حرف الجيم/ باب الجيم مع الواو. وذكره ابن منظور في لسان العرب دون عزو كذلك. (مادة جول)

2 – قالها في الدرس السادس والعشرين في آخر سورة هود.

3 – هذا الحديث بما فيه اختلاف جبريل وميكائيل في القدر خيره وشره وقضاء إسرافيل بينهما أورده ابن كثير في تفسيره من طريق البزار عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ج529/1. كما أورده الإمام السيوطي من طريق آخر في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (ج1/ كتاب السنة) وقال: موضوع آفته يحيى، قال السيوطي: وله طريق آخر أخرجه البزار من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. وهي المذكورة في تفسير ابن كثير أعلاه.

الدرس الثامن والعشرون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يا همة الشيخ احضري لنا بهذا المحضر

ولتعطفي بنظرة تأتي لنا بالظفر

ونزل في حمزة وأبي جهل قضيتهم التي تقدمت في سورة الأنعام[1] ﴿أَفَمَنْ يَّعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾ فآمن به ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ لا يعلمه ولا يؤمن به؟ لا. ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول، لا يتذكر إلا أولوا الألباب. الطريق إلى الله تبارك وتعالى لابد فيها من الذكر والتفكر والتذكر. والتذكر فوق التفكر، فإن التفكر طلب والتذكر وجود. الإنسان أصل روحه خرج من حضرة الله تبارك وتعالى غارقا في توحيد الله لا يعرف سوى الله تبارك وتعالى، فلما خوطبوا يوم ألست بربكم نطقوا كلا قالوا بلى، ولما تلبسوا بهذه الملابس والغواشي نسوا ذلك العهد القديم "ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي" نسوا ذلك العهد لكثرة الغواشي والملابس البشرية، فإذا أراد عبد أن يعود إلى أصله لابد له من

---

[1] – القضية المشار إليها هي الواقعة التي كانت السبب في إسلام حمزة رضي الله عنه لما سب أبو جهل بين يديه النبي صلى الله عليه وسلم فلطمه لطمة شج بها وجهه وقال له أتسبه وأنا على دينه؟ فنزل فيهما قوله تعالى "أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون". تقدمت في الدرس السابع عشر.

مداومة ذكر الله تبارك وتعالى بالتفكر فإذا دام على التفكر يجد نفسه في حضرة الله تبارك وتعالى بزوال الحجاب، إذا زال الحجاب يشاهد ما استودع فيه من أسرار التوحيد والمعارف التي كان نسيها من قبل فيتذكر. هذا مقام التذكر، إنما الذي حدث له ليس بطارئ ولكنه كان ناسيا والآن تذكر، فلهذا القرآن يقول "وما يتذكر إلا أولوا الألباب" أرباب العقول الكاملة لهم مقام التذكر، وما دام العبد لم يصل إلى هذا المقام فمقامه الذكر والتفكر، الذكر باللسان وبالقلب والتفكر طلب الحقيقة والتذكر وجود الحقيقة، «إنما يتذكر أولوا الألباب» ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ المأخوذ عليهم وهم في عالم الذر وكل عهد ﴿وَلاَ يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ بترك الإيمان أو الفرائض ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ وصفهم بهذه الصفات، وهي صفات أهل الإيمان حقيقة: الوفاء والوصل وصل ما أمر الله به أن يوصل، وهو أنواع: الأول الإيمان بالله تبارك وتعالى والإيمان بجميع أنبيائه ورسله وكتبه ومحبة الصالحين وصحبتهم وزيارتهم ومحبة الإخوان في الله تبارك وتعالى ومن هذا الوصل صلة الرحم. الرحم أقسم الله لها أنه يصل من وصلها ويقطع من قطعها[1]، وصلة الرحم على أوجه منها الهدية إن كان الواصل غنيا والموصول فقيرا،

---

1 - جاء في الصحيح مضمون الحديث دون القسم، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن الرحم شجنة من الرحمن فقال الله من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته). صحيح البخاري: كتاب الأدب/ باب من وصل وصله الله (5988) ولمسلم ما في معناه، صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب/ باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (4634).

وجاء في كنز العمال: (قال الله تبارك وتعالى للرحم: خلقتك بيدي وشققت لك من اسمي، وقرنت مكانك مني، وعزتي وجلالي لأصلن من وصلك، ولأقطعن من قطعك، ولا أرضى حتى ترضي). الحكيم عن ابن عباس. كنز العمال: باب الإكمال من صلة الرحم والترغيب فيها (6953).

فالوصل بالهدية والتحف وبالزيارة وبالمكاتبة - تبادل الرسائل - كل هذا داخل في الوصل. ومنها عيادة المرضى، وإذا زار أخا في الله تبارك وتعالى وفهم أنه يتأنس ببقائه معه فطول المكث معه مندوب، وإذا وجده مشغولا بالله أو بأعماله أو بحوائجه فيقصر الزيارة، كذلك المريض إذا عاده ووجده يتأنس به ويجد الخفة بمقابلته يندب له طول المكث عنده، وإذا رأى أنه يتضرر بجلوسه معه ينبغي له أن ينصرف عنه. ومن الوصل المواصلة في الله تبارك وتعالى، وحسن المعاملة مع كل مخلوق ولو كلبا ولو دجاجة. من أحسن إلى كل مخلوق وأساء على دجاجة فلم يكتب من المحسنين حقيقة[1]. يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأة دخلت النار في هرة ربطتها فلا هي أطعمتها ولا هي أطلقتها تأكل من خشاش الأرض[2]. كان أويس القرني من كبار العارفين[3] كان يعيش بما يلتقط من المزابل ذهب يوما إلى مزبلة يلتقط حبات يأكلها، فلقي هنالك كلبا فصار الكلب ينبح،

---

[1] - حكي عن الفضيل أنه قال: إن العبد لو أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين. روح البيان ج364/4.

[2] - رواه البخاري عن ابن عمر، كتاب بدء الخلق/ باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم (3318) ولمسلم عن أبي هريرة في كتاب التوبة/ باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (4951) وفي كتاب البر والصلة والآداب/ باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها (4749، 4750، 4751).

[3] - أخرج مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب قال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم) ولمسلم من حديث أسير بن جابر عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل فاستغفر لي فاستغفر له ...الحديث) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة/ من فضائل أويس القرني (4612) و (4613).

يقول له: لا تنبحني كلْ مما يليك وآكل مما يليني الآن لا نعلم هل أنت أفضل مني أم أنا أفضل منك، إن ذهبنا إلى الآخرة وجزتُ الصراط فأنا خير منك وإن لم أجز الصراط فأنت خير مني[1]، يتأول "أولئك هم خير البريئة" و"أولئك هم شر البريئة" لأن الإنسان إذا سعد فهو خير البرية وإذا شقي فهو شر البرية، يقول له: إذا جزت الصراط فأنا خير منك وإن لم أجز فأنت خير مني، ننتظر ذلك اليوم، هذا كلا داخل في «والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل» ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ يخشون الله تبارك وتعالى ويخافون سوء الحساب شدة عذابه. الخوف والخشية ليسا بمعنى: الخوف يقع من مُنزل المكروه ومن المكروه نفسه "يخافون ربهم" تقدم، وهنا يخافون سوء الحساب، والخشية لا تقع إلا من منزل المكروه فقط يخشون الله، الخشية خوف مع تعظيم، "يخشون ربهم" لا يقول يخشون سوء الحساب، الخشية لا تطلق على المكروه إنما تطلق على منزل المكروه، أما الخوف فالإنسان يخاف من المكروه، خفت زيدا وخفت المرض هذا صحيح وخشيت من زيد ولا يقال خشيت المرض ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على الطاعة والبلاء وعن المعصية ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ لا غير من أعراض الدنيا ﴿وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً﴾ أسند الإنفاق إلى العبيد وأسند الرزق إلى الله تبارك وتعالى لتعلم أيها العبد عند الإنفاق أنك وكيل فقط. المال لله تبارك وتعالى

---

1 - قال ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب في أحداث السنة السابعة والثلاثين في ذكر وقعة صفين: ...ووجد في قتلى أصحاب علي سيدُ التابعين أويس بن عامر المرادي القرني ذو المناقب الشهيرة من أمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر وعليا إذا لقياه أن يطلبا منه الدعاء وهو سيد زهاد زمنه كان يلتقط ما على المزابل فإذا نبحه كلب قال له كل مما يليك وآكل مما يليني إن تجاوزتُ الصراط فأنا خير منك وإلا فأنت خير مني.

وأنت وكيل توصله إلى محل أمره فقط، ليس لك أن تتصرف كيف تحب وكيف تشتهي وكيف ترضى، إنما أنت وكيل، فمن وكل في مال لا يتصرف إلا بأمر الوكيل «وأنفَقوا مما رزقناهم» الرزق من الله والإنفاق من العبد، إذاً لا ينفق العبد إلا مطابقا لمراد الله تبارك وتعالى ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ يدفعون ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ كالجهل بالحلم والأذى بالصبر ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ العاقبة المحمودة في الدار الآخرة هي ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ هم ﴿وَمَن صَلَحَ﴾ آمن ﴿مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ وإن لم يعملوا بعملهم يكونون في درجاهم تكرمة لهم. يروى أن ولي الله تبارك وتعالى إذا دخل الجنة ووصل إلى درجته يقول: أين أبي؟ يقال: أبوك دخل الجنة ولكن لم يصل إلى مقامك لأن مقامه ومقامك ليسا متساويين، يقول: لا، إنما كنت أعمل لنفسي ولأبي، يقال: آتوه بأبيه. يقول: أين أمي؟ كذلك، أين أزواجي؟ كذلك ، أين أولادي؟ كلهم يلحقون بدرجات الولي[1] لأن الله تبارك وتعالى لا يحب أن يغضب وليه في الدار الآخرة ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ من أبواب الجنة أو القصور أول دخوهم للتهنئة، لكل واحد منهم مائة ألف قهرمان[2]، والملائكة يدخلون، يتلقوهم يبشروهم بما لهم عند الله

---

[1] – قال الطبري عند تفسير قوله تعالى من سورة غافر "ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياهم إنك أنت العزيز الحكيم": عن سعيد يدخل الرجل الجنة فيقول: أين أبي، أين أمي، أين ولدي، أين زوجتي؟ فيقال: لم يعملوا مثل عملك، فيقول: كنت أعمل لي ولهم، فيقال أدخلوهم الجنة ثم قرأ "جنات عدن التي وعدهم ...الآية.

[2] – جاء في حديث أخرجه الحاكم في مستدركه عن عبد الله بن مسعود في ذكر أهل عليين عن أدنى أهل الجنة منزلة وفيه يقول: فيقال إنما هذا منزل من منازلك، قال فينطلق فيستقبله رجل فيقول أنت ملك؟ فيقال: إنما ذلك قهرمان من قهارمتك عبد من عبيدك قال فيأتيه فيقول إنما أنا قهرمان من قهارمتك على هذا القصر تحت يدي ألف قهرمان كلهم على ما أنا عليه... ثم يتواصل الحديث إلى أن يقول فقال عمر:

تبارك وتعالى من مزيد الرضى والتكرمة يقولون لهم ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ﴾ هذا الثواب ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ بصبركم في الدنيا ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ عقباكم ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ عكس من تقدم ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ «لَهُمُ اللَّعْنَةُ» البعد من رحمة الله «وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ» العاقبة السيئة في الآخرة وهي جهنم، اللعنة لعنتان: لعنة معناها الطرد من الجنة هذه للكفار، الطرد من رحمة الله تبارك وتعالى، ولعنة معناها الطرد من حضرة الله تبارك وتعالى هذا للمؤمنين. الكفار إذا لعنوا يبعدون من الجنة تماما فيدخلون النار والمؤمنون إذا لعنوا يبعدون من الحضرة يشتغلون بالدنيا وشهواتها ولو لم يكونوا من أهل النار ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ الله تبارك وتعالى يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر يضيقه كذلك لمن يشاء ﴿وَفَرِحُواْ﴾ أهل مكة فرح بطر ﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بما نالوه فيها ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ﴾ في جنب حياة الآخرة ﴿إِلاَّ مَتَاعٌ﴾ شيء قليل يتمتع به ويذهب. الدنيا خزف فانٍ والآخرة ذهب باق. لو كان في الآخرة خزف باق لكان أفضل من الدنيا لفنائها، ولاسيما الدنيا هي الخزف الفاني، والآخرة هي الذهب الباقي فلهذا أحب الله من عباده جزء بعّدهم من الدنيا وقربهم إلى الآخرة، وأحب أحبابه الحقيقيين فجذبهم من الآخرة إلى حضرته، والآخرة خير وأبقى وربك خير وأبقى ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كالعصا واليد والناقة ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَّشَاءُ﴾

يا كعب ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابن أم عبد عن أدنى أهل الجنة ما له فكيف بأعلاهم؟ إلى آخر الحديث. المستدرك: كتاب الأهوال/ ذكر أهل عليين (8792).

إضلاله فلا تغني عنه الآيات شيئا ﴿وَيَهْدِي﴾ يرشد ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى دينه ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ رجع إليه ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ وعده ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ قلوب المؤمنين. القلوب أربعة: قلب قاس، وقلب ناس، وقلب مشتاق، وقلب وحداني. القلب القاسي قلب الكافر لا يطمئن إلا بالدنيا، "ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها" هذا كل قلب قاس لا يطمئن إلا إلى الدنيا، وقلب ناس لا يطمئن إلا بالتوبة "فنسي و لم نجد له عزما" "ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى" اطمأن هنالك، وقلب مشتاق قلوب المؤمنين "ألا بذكر الله تطمئن القلوب" وقلب وحداني قلوب خواص الخواص كقلب إبراهيم، "أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي" قلب إبراهيم لم يطمئن إلا بالإراءة حتى يشاهد عيانا. فقلوب الكفار تطمئن بالدنيا، وقلوب الناسين تطمئن بالتوبة، وقلوب المشتاقين تطمئن بذكر الله، وقلوب الوحدانيين أهل الحضرة لا تطمئن إلا بالرؤية[1] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ﴾ طوبى من الطيب أو شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها[2] ﴿وَحُسْنُ مَئَابٍ﴾ مرجع ﴿كَذَلِكَ﴾

---

1 - روح البيان ج372/4.

2 - أخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال له رجل: يا رسول الله ما طوبى؟ قال: (شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها) (7299) باب وصف الجنة وأهلها/ ذكر الإخبار عن اسم الشجرة. وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرءوا إن شئتم "وظل ممدود") صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب تفسير وظل ممدود (4881)

كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ﴾ لتقرأ عليهم ﴿الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ حيث قالوا لما أمروا بالسجود له "وما الرحمن" ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ توكلت عليه وتوبتي إليه، مرجعي إليه، ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ نزل لما قالوا إن كنت نبيا فسيِّر عنا جبال مكة واجعل لنا فيها أنهارا وعيونا لنغرس ونزرع وابعث لنا آباءنا الموتى يكلمونا أنك نبي[1]. أتوا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له: نقترح أشياء إذا فعلتها لنا نؤمن بك، بدّل لنا جبال مكة ذهبا الصفا والمروة تقلّبهما ذهبا نعيش به، وتسيّر الجبال حوالي مكة نجد بساتين نزرع ونغرس، وتبعث قصيا بن كلاب جدنا فيقول لنا إنك نبي حقا. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: أوتيت بجميع ما طلبتم ولكن إذا أتيتكم به وُكلتم إلى أنفسكم، وإن لم تؤمنوا ليعذبنكم الله عذابا لم يعذبه أحدا من العالمين، أو أوخر اقتراحاتكم وتبقون لرحمة الله تبارك وتعالى، اخترت لكم رحمة الله من أن تهلكوا، لأنه علم أنه إن ظهرت هذه الآيات ولم يؤمنوا سيهلكون عن آخرهم. عادة الله تبارك وتعالى مع مقترحي الآيات. فبعض المؤمنين لحرصهم على إيمان الكفار تمنى لو أن النبي صلى الله عليه وسلم ساعدهم بالمجيئ بهذه الآيات قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ نقلت عن أماكنها كما اقترحتم ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ﴾ شقت ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ ببعث قصي بن كلاب لما آمنوا، إذا وقع هذا لا يقع الإيمان منهم

وأخرج مسلم من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجوادَ المضمرَ السريع مائة عام ما يقطعها) صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب... (5056)

1 – ذكره جلال الدين السيوطي في الجلالين. راجع حاشية الصاوي ج274/2.

أبدا ﴿بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا﴾ لا لغيره فلا يؤمن إلا من شاء إيمانه دون غيره، وإذا أوتوا بما اقترحوا و لم يؤمنوا فسيهلكون، فلهذا اختار الرسول صلى الله عليه وسلم عدم ظهور هذه الآيات. ولكن الآية وصفت القرآن أنه صالح لكل شيء، لو سيرت به الجبال لسارت، لو قطعت به الأرض لوقعت كذلك، لو كلم به الموتى كذلك، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: لو أن القرآن جعل في إهاب ثم ألقي في النار ما احترق[1]. حكاية لطيفة: يحكى أن سيدنا عليا كان مريضا فقال أبو بكر لعمر ولعثمان: هيا بنا نعد عليا فهو مريض تجب علينا عيادته، فجاءوا ووقفوا بباب علي فسلموا عليه، فوجدوه وجد خفة، فقام لهم ودخل بهم بيته وهو سخي تحرك في ما يضيفهم به فوجد بقية عسل كان في سقائه فصبه في طست – كان عنده طست أبيض أنور جدا – صب العسل وفي العسل شعرة، قال: كلوا، قال أبو بكر: لا ينبغي أن نأكل قبل أن نتكلم بشيء، قالوا: تكلمْ، أنت سيدنا وأعزنا، قال أبو بكر: الدين أنور من الطست وذكر الله أحلى من العسل ومعرفة الله أدق من الشعرة. فقال عمر: الجنة أنور من الطست ونعيم الجنة أحلى من العسل والصراط أدق من الشعرة. قال عثمان: القرآن أنور من الطست وتلاوة القرآن أحلى من العسل وتفسيره أدق من الشعرة. قال علي: الضيف – يعني ضيفه – أنور من الطست وكلام الضيف أحلى من العسل وقلوب الضيف أدق من الشعرة[2].

---

1 – أخرج أحمد في مسنده عن مشرح قال سمعت عقبة بن عامر يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لو أن القرآن جعل في إهاب ثم ألقي في النار ما احترق). مسند أحمد: مسند الشاميين/ حديث عقبة بن عامر الجهني (16725).

2 – ذكرتْ هذه الحكاية في روح البيان ج4/377.

﴿أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ ءامَنُواْ﴾ سبب نزول هذه الآية أن الصحابة تمنوا إظهار ما اقترحوا طمعا في إيمانهم قال تعالى ﴿أَفَلَمْ يَيْئَسْ﴾ يعلم أو يقنط ﴿الَّذِينَ ءامَنُواْ أَنْ﴾ أنه ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾ بصنعهم، بكفرهم ﴿قَارِعَةٌ﴾ داهية تقرعهم ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ يا محمد بجيشك ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ بالنصر عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ وقد حل بالحديبية حتى أتى فتح مكة ﴿وَلَقَدُ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ كما استهزئ بك وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ أمهلت ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعقوبة ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ هو واقع موقعه فكذلك أفعل بمن استهزأ بك ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾ رقيب ﴿عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر وهو الله كمن ليس كذلك من الأصنام؟ لا، دل على هذا ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ له من هم؟ ﴿أَمْ﴾ بل ﴿تُنَبِّئُونَهُ﴾ تخبرون الله ﴿بِمَا﴾ بشريك ﴿لاَ يَعْلَمُ﴾ لا يعلمه ﴿فِي الأَرْضِ﴾ لا شريك له، لو كان له شريك لعلمه تبارك وتعالى وهو لا يعلم لنفسه شريكا ﴿أَمْ﴾ بل تسمونهم شركاء ﴿بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾ بظن باطل لا حقيقة له ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ﴾ كفرهم ﴿وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ طريق الهدى ﴿وَمَنْ يُّضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالقتل ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿مِنْ وَّاقٍ﴾ مانع ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ صفة الجنة التي وعد المتقون فيما نقصّ عليكم ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ الأنهار الأربعة ستأتي في سورة محمد ﴿أُكُلُهَا﴾ ما يؤكل فيها ﴿دَائِمٌ﴾ لا يفنى ﴿وَظِلُّهَا﴾ دائم لا تنسخه شمس لعدمها فيها ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ وَالَّذِينَ ءاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ كعبد الله بن سلام ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ لموافقته ما عندهم ﴿وَمِنَ

الأَحْزَابِ﴾ الذين تحزبوا عليك بالمعاداة ﴿مَنْ يُنكِرُ بَعْضَهُ﴾ منهم من ينكر بعض القرآن كالرحمن[1] ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ﴾ فيما أنزل إلي ﴿أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلاَ أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَئَابِ﴾ مرجعي ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الإنزال ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ القرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب تحكم به بين الناس ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ الكفار فيما يدعونك إليه من ملتهم فرضا ﴿بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ التوحيد ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ ناصر ﴿وَلاَ وَاقٍ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ نزلت هذه الآية لما عيروا المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه لو كان نبيا لَاشْتغل بالله عن النساء وهو كثير التزاويج له نساء كثيرة، هذا ليس بزاهد في الدنيا، إنما لو كان نبيا لترك النساء واشتغل بعبادة الله تبارك وتعالى[2]، بيّن الحق أنه بعث رسلا قبل محمد صلى الله عليه وسلم وأعطاهم أزواجا وذرية وأنت مثلهم، أعطى لداود مائة امرأة ولسليمان ألفاً: ثلاثمائة حرة وسبعمائة جارية، وهذا كان حلالا في شرعهم، والنبي صلى الله عليه وسلم جمع بين إحدى عشرة حرة وكان عنده أربع من الجواري، والنبي صلى الله عليه وسلم أعطي من القوة ما لم يعط للرجال فلهذا طاف على نسائه في ليلة واحدة[3] وهذا لقوة نوره الرباني. (حُبب إلي

---

1 – في قولهم "وما الرحمن" مثلا، قال الصاوي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كتب لمشركي العرب كتاب الصلح يوم الحديبية قال فيه بسم الله الرحمن الرحيم" قالوا: وما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب. حاشية الصاوي ج276/2.

2 – انظر حاشية الصاوي على الجلالين ج277/2.

3 – أخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة قال قلت لأنس: أوَكان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين. ولفظ مسلم (كان يطوف على نسائه بغسل واحد) صحيح البخاري: كتاب

من دنياكم النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة) الكتب تكتب (حبب إلي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة) ورأيته قال لي: "ثلاث" ما قلته[1]، (حُبب إلي من دنياكم النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة)[2] ليس هو الذي أحب، حُبِّبَ إليه لأمر ليس أمرا شهوانيا فقط. والطيب لما فيه من طيب الرائحة أو لأنه كان يستر به الكرامة وهو طيبه فائح دائما، الطيب فائح منه دائما سواء تطيب أو لم يتطيب فكان يتطيب لستر هذه الكرامة وقرة عيني في الصلاة. كان قاصٌّ من الذين يكثرون التقول، يقول: ما سلم من الهوى أحد حتى فلان قال حُبب إلي من دنياكم ثلاث فكان واحد من الصالحين في المجلس فغضب وخرج من المجلس فأدركه المصطفى صلى الله عليه وسلم قال له: دارك الرجل فقد قتلته فرجع فوجده

الغسل/ باب إذا جامع ثم عاد ومن دار على نسائه في غسل واحد (268) وفي صحيح مسلم: كتاب الحيض/ باب جواز نوم الجنب واستحباب الوضوء له وغسل الفرج (467).

1 – وجاء في كشف الخفاء للإمام العجلوني تعليقا على رواية الحديث بلفظة "ثلاث" بحث طويل مفاده أنها ليست من الحديث وفيه قال ما نصه: قال في المواهب: وقع في الإحياء والكشاف وكثير من كتب الفقهاء "حبب إلي من دنياكم ثلاث ...الحديث" وقال ابن القيم وغيره: من رواه حبب إلي من دنياكم ثلاث فقد وهم، ولم يقل عليه السلام ثلاث إذ الصلاة ليست من أمور الدنيا التي تضاف إليها بل هي عبادة محضة، نعم يصح أن تضاف إليها لكونها ظرفا لوقوعها فيها. وكذا قال الحافظ ابن حجر في تخريجه أحاديث الرافعي تبعا لأصله والولي ابن العراقي في أماليه أن لفظ ثلاث لم يقع في شيء من طرقه بل هي مفسدة للمعنى. انتهى منه. كشف الخفاء/ حرف الحاء المهملة (1079).

2 – أخرج النسائي في سننه عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة). النسائي: كتاب عشرة النساء /باب حب النساء (3878). مسند أحمد: مسند المكثرين/ (13526). ورواه الحاكم في مستدركه: كتاب النكاح/ باب خير هذه الأمة أكثرها نساء (2718). تقدم في الدرس 11.

مقتولا[1]، وهو جاهل، الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: حُبِّب إلي –لم يقل إنه أحب – من دنياكم النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة، وذلك لمقاصد حميدة كلها راجع إلى الإسلام: إذا تفكرنا في نكاح النبي صلى الله عليه وسلم وجدناه لما كان شابا قبل أن يتزوج ما علق بأي امرأة، ما أحب أي امرأة، ولو وقع ذلك لتكلم به قريش، ولما آن له التزويج تزوج عجوزا بنت أربعين سنة ولم يجمعها مع أخرى مدة حياتها. من كان يحب النساء لا يفعل هذا، فلما كبر سنه وصار شيخا تزوج كثيرا من النساء، لو كان لأجل الشهوة لوقع هذا في شبابه ولكن بعد أن جاوز خمسين سنة تزوج عددا من النساء. انظر إلى النساء اللاتي تزوجهن كلهن عجائز مات عنها بعلها في الجهاد وبقيت إن لم ترجع إلى أقاربها للكفر تكون ضائعة، أشفق عليها وآواها. هذا ما تزوج لو كان لشهوة لأخذ نساء جميلات صغارا، وما فيهن صغيرة إلا واحدة بنت أبي بكر. بنت أبي بكر تزوجها ليرفع أبا بكر إلى مصاهرته، وتزوج بنت عمر ليرفعه إلى مصاهرته، كما رفع عثمان إلى مصاهرته بدفع بنتيه له، كما رفع عليا إلى مصاهرته بدفع بنته له، الخلفاء الأربعة اثنان منهم أعطاهما بناته صلى الله عليه وسلم واثنان منهم أخذ بنتيهما، يريد أن يرفع من قدرهم في الدنيا والآخرة. المصطفى صلى الله عليه وسلم ليس من أهل الشهوات، وهذا ورثه الأكابر منه فكان علي يتزوج أربعا في اليوم ويفارق أربعا، والحسن تزوج بمائتي بكر، هو أول من تزوجهن، لم أقل عدد ما تزوج ولكن يفارق ويتزوج ويفارق ويتزوج[2]، كان واحد من الأكابر كثير الطلاق وكثير

---

1 – روح البيان ج9/ 212.

2 – راجع تزويج سيدنا الحسن رضي الله عنه في روح البيان ج4/384.

التزويج سأله تلامذته ما هذا؟ قال لهم: كل إنسان له بلاء وأنا ابتليت بهذا، ولكن حقيقة ستر عنهم المقصد الذي لم يعلمه التلاميذ ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ منهم ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ مكتوب فيه تحديده ﴿يَمْحُواْ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ يمحو الله منه ما يشاء ﴿وَيُثْبِتُ﴾ الله تبارك وتعالى عنده كتاب فيه تحديد الآجال، ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصله الذي لا يتغير منه شيء وهو ما كتبه في الأزل. أول ما خلق الله القلم وقال له: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال له: اكتب ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة، فكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة[1]، وهذا بقي في أم الكتاب، ما كتب في هذا الكتاب لا يتغير ولا يتبدل، وإن لله كتبا بأيدي الملائكة الذين يتولون أحوال كل شخص، إذا كان الشخص الآن كافرا كتبوه كافرا شقيا عاصيا، وإذا هداه الله فاهتدى إلى الإيمان وصار سعيدا محوا وكتبوا سعيدا، إذا صار وليا كتبوه وليا، ولكن هذا التغيير والتبديل في ألواح المحو التي بأيدي الملائكة فقط، أما أصل الكتاب فلا يتغير ولا يتبدل، فلهذا تجد إنسانا تشاهده الآن كافرا يعمل أعمال الكفار وأنت تجده وليا من الأولياء لما في أصل الكتاب، ما في أم الكتاب لا يتغير ولا يتبدل "ما يبدل القول لدي" وهذا المحو والإثبات في هذه الألواح التي في هذا العالم معنا، «يمحو الله ما يشاء ويثبت» أو

1 – أخرج أبو داود في سننه عن أبي حفصة قال: قال عبادة بن الصامت لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة. يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مات على غير هذا فليس مني. سنن أبي داود: كتاب السنة/ باب في القدر (4078). ومثله للترمذي عن عبادة بن الصامت، الترمذي: كتاب القدر/ باب ما جاء في الرضا بالقضاء (2081).

«يمحو الله ما يشاء» من الأخلاق الذميمة «ويثبت» ما يشاء من الأخلاق الحميدة في حق العوام، «يمحو الله ما يشاء» من الأخلاق الروحانية «ويثبت» ما يشاء من الأخلاق الربانية في حق الخواص، «يمحو الله ما يشاء» من الوجود «ويثبت» ما يشاء من محض الجود، إن شاء محا وجود العبد وأثبت جوده تبارك وتعالى فلا يبقى إلا الله ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ به من العذاب في حياتك فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ﴾ لا عليك إلا التبليغ ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ إذا صاروا إلينا فنجازيهم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ أهل مكة ﴿أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ﴾ نقصد أرضهم ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ قيل: نقص الأرض من أطرافها هو موت العلماء[1] ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ﴾ في خلقه بما يشاء ﴿لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم بأنبيائهم كما مكروا بك. هؤلاء الكفار يمكرون بالنبي صلى الله عليه وسلم كما فعل الكفار قبلهم ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ وليس مكرهم كمكره، المكر حقيقة هو مكر الله تبارك وتعالى، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها)[2] كل من يحرك فتنة في العالم فهو ملعون على لسان النبي صلى الله عليه وسلم، ومن الفتنة أن يحدث الولي ما يعرفه من الأسرار الربانية للعوام المحجوبين فيكذبونه وينكرونه فيقعون في الهلاك وهو السبب في ذلك. ومن الفتنة ما يفعل بعض الغلاة من القراء يقولون للنساء والعجائز وأهل البوادي والقرى الذين لا يحسنون القراءة: ʻمن لم

---

1 – جاء في تفسير الطبري عند قوله تعالى "أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها" عن ابن عباس قال: ذهاب علمائها وفقهائها وخيار أهلها. وعن مجاهد قال: موت العلماء. الطبري/ تفسير الآية.

2 – (الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها) الرافعي عن أنس حديث ضعيف. الجامع الصغير للسيوطي ج2/ رقم 5975.

يحسن تجويد الفاتحة فصلاته باطلة، وهم لا يقدرون على التجويد فيحملهم ذلك على ترك الصلاة أو يحملهم على ترك القراءة، من لم يجوّد لا تجوز قراءته فيتركون القرآن تماما، وهذا كذب إنما "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها" ومن الفتنة من يأمر الناس بمخالفة الدولة، ولو كانت دولة ظالمة لأن هذا يثير الاضطرابات ويثير الفتن، فطاعة أولي الدولة وإن كانوا ظلاّما أفضل من الفوضى وأفضل من الاضطرابات والفتن، وكل هذا داخل في الفتنة. الفتنة نائمة ويلعن الله من أيقظها ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ فيعد لها جزاءها وهذا هو المكر كله لأنه ياتيهم به من حيث لا يشعرون ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ﴾ المراد به الجنس ﴿لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ العاقبة المحمودة في الدار الآخرة أهي لهم أم للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لك ﴿لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ﴾ لهم ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ من مؤمني اليهود والنصارى.

سورة إبراهيم عليه السلام

مكية إلا "ألم تر إلى الذين بدلوا" الآيتين، أربع وخمسون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الَـر﴾ الله أعلم بمراده بذلك، هذا القرآن ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ الله بعث محمدا وأنزل عليه القرآن لأي شيء؟ ليخرج الناس من الكفر إلى الإيمان بإذن الله ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿الْحَمِيدِ﴾ المحمود ﴿اللَّهُ﴾ بالجر بدل أو عطف بيان أو بالرفع قراءتنا ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ﴾ يختارون ﴿الْحَيَاةَ

الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ أي السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ﴾ عن الحق ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ﴾ لغة ﴿قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ليفهمهم ما أتى به ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَّشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَّشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ التسع وقلنا له ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أرسل الله موسى عليه الصلاة والسلام وأمره أن يخرج قومه من الكفر إلى النور تجد الفرق بين المقامين «أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم» الرسول صلى الله عليه وسلم كلف أن يخرج الناس كافة من الظلمات إلى النور بإذن الله وله الإذن في ذلك، موسى مبعوث أيضا أرسله الله ولكن «أن اخرج قومك من الظلمات إلى النور» ما كلفه أن يخرج الناس كلا كما كلف محمدا صلى الله عليه وسلم، بل قومه يخرجهم من الظلمات إلى النور، و«بإذن ربهم» الذي جاء في حق محمد صلى الله عليه وسلم ما جاء في حق موسى، محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله وأعطاه الإذن استجابت له الخلائق منذ زمانه وهلم جرا، المسلمون اليوم أكثر من ستمائة مليون. موسى أرسله إلى فرعون وملئه، فرعون ما آمن به، والملأ ملأ فرعون القبط ما آمنوا، ما آمن أحد منهم لأنه لم يقرن إرساله بإذن الله كما قرنه لمحمد صلى الله عليه وسلم، لذا اختار المسلمون في أعمالهم الإذن الصحيح المتصل، أذن الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه في ذكر الله وأذنوا للتابعين وأذنوا للشيوخ وهلم جرا، فمن ذكر ذكرا بإذن فهو لا بد نافع ومنتفع ومن ذكر ذكرا ليس له فيه إذن ربما سلامته إذا وجدها فذلك ربحه. محمد صلى الله عليه وسلم كلف بشيء هو أصعب، إخراج الناس كلا من الظلمات إلى النور ولكن لما قرن بإذن ربهم وقع له ما كلف به، موسى "أن أخرج

قومك من الظلمات إلى النور" ما خرجوا إلى الآن حتى فرعون والده ما خرج من الظلمات إلى النور ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ بنعمه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التذكير ﴿لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على الطاعة ﴿شَكُورٍ﴾ للنعم ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ اذكر لما قال موسى لقومه ﴿اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ المولودين ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ لقول بعض الكهنة إن مولودا يولد في بني إسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون ﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾ الإنجاء أو العذاب ﴿بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ «وفي ذلكم» أي العذاب «بلاء» ابتلاء عظيم من ربكم ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ أعلم ﴿رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ نعمتي بالتوحيد ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ جحدتم النعمة بالكفر لأعذبنكم دل عليه ﴿إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ وَقَالَ مُوسَى﴾ لقومه ﴿إِن تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في صنعه بهم. الحديث القدسي سردناه عليكم في سورة هود[1] بقي فيه طرف، (...لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا على قلب أفجر رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا، ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا على أتقى قلب رجل منكم لما زاد ذلك في ملكي شيئا)[2] «إن الله لغني» عن العالمين «حميد» غني بذاته عن ذاته، الله تبارك وتعالى غني عن نفسه، ولاسيما عن غيره ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا

---

1 - تقدم في الدرس26

2 - سبق تخريجه في سورة هود برواية مسلم عن أبي ذر. صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب/ باب تحريم الظلم (4674).

اللّهُ﴾ لكثرتهم ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الواضحة على صدقهم ﴿فَرَدُّواْ﴾ أي الأمم ﴿أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ ليعضوا عليها من شدة الغيظ ﴿وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ﴾ في زعمكم ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ موقع للريبة ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ﴾ استفهام إنكار لاشك في توحيده للدلائل الظاهرة ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ من أراد أن يجهل الله تبارك وتعالى فهو خالق السماوات والأرض، كلنا يراهما. والإنسان نظره لا يتجاوز ميلا واحدا على وجه الأرض إذا نظرت ينتهي بصرك قبل أن يقطع ميلا، وهذه السماء بيننا وبينها مسافة خمسمائة عام[1] فتح الله عينيك حتى تشاهدها دائما والأرض كذلك. إذا أحب عبد أن يعرف من هو الله فالله هو خالق هذه السماء والأرض دائما يعرِّف نفسه بخلق السماوات والأرض "خلق السماوات والأرض" خلقكم من نطفة الذي خلق السماوات وخلق الأرض وخلق الإنسان هو المستحق للعبادة. «أفي الله شك» الذي فطر السماوات والأرض ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ يدعوكم إلى ما فيه نفعكم ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ بلا عذاب ﴿قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ فشبهة إبليس إن أنتم إلا بشر مثلنا، حيث أنكم بشر مثلنا لا يمكنكم أن تكونوا أنبياء ونحن لسنا أنبياء أنتم من ولد آدم، نحن من ولد آدم. نحن كاملو الأعضاء كمثلكم كاملو العقول كيف تكونون أنبياء متبوعين ونحن نكون أتباعا؟ هذا ما يمكن ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ حجة ظاهرة على صدقكم ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾

---

1 – ورد ذكر ذلك في الحديث: جاء في سنن الترمذي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله "وفرش مرفوعة" قال: (ارتفاعها لكما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة) سنن الترمذي: كتاب صفة الجنة/ باب ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة (2463).

كما قلتم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ الذي جهلتم أن الله تبارك وتعالى هو مالك الخلق إن شاء جعل واحدا منا نبيا، أي شيء في هذا؟ ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَن تَّأْتِيكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ليس لنا أن نأتي بالمعجزات لأننا عبيد مربوبون إلا ما شاء الله هو الذي يقع. ما أشد حماقتهم، البشر الكامل لا ينبغي أن يكون رسولا والحجر يكون إلها؟ هذا عجيب ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ يثقوا به ﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ لا مانع لنا من ذلك ﴿وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا ءَاذَيْتُمُونَا﴾ أي على أذاكم ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أو لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ عادة الكفار التجبر على أولياء الله إذا لم تكونوا كمثلنا فيما نحن فيه سنهلككم نخرجكم من بلدنا ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ ولكن نواياهم عائدة إليهم دائما. لما قصدوا إهلاك أولياء الله حل بهم الهلاك ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ﴾ أرضهم ﴿مِن بَعْدِهِمْ﴾ من بعد هلاكهم ﴿ذَلِكَ﴾ النصر وإيراث الأرض ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ أي مقامه بين يدي الله تعالى ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ بالعذاب ﴿وَاسْتَفْتَحُواْ﴾ استنصر الرسل بالله على قومهم ﴿وَخَابَ﴾ خسر ﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾ متكبر عن طاعة الله ﴿عَنِيدٍ﴾ معاند للحق ﴿مِنْ وَّرَائِهِ﴾ أمامه ﴿جَهَنَّمُ﴾ يدخلها ﴿وَيُسْقَى﴾ فيها ﴿مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ هو ما يسيل من جوف أهل النار مختلطا بالقيح والدم ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ يبتلعه مرة بعد مرة لمرارته وحرارته ﴿وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ يزدرده لقبحه وكراهته ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ﴾ أسبابه المقتضية له من أنواع العذاب ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ لأن من مات استراح ﴿وَمِنْ وَّرَائِهِ﴾ بعد ذلك العذاب ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ قوي متصل ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ﴾ الصالحة كصلة الرحم والصدقة في عدم الانتفاع بها ﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيَاحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ شديد

هبوب الريح فجعله هباء منثورا لا يقدر عليه ﴿لاَ يَقْدِرُونَ﴾ أي لا يجدون ﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾ عملوا في الدنيا ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ لا يجدون ثوابه ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ﴾ الهلاك ﴿الْبَعِيدُ أَلَمْ تَرَ﴾ يا مخاطَب استفهام تقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَّشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بدلكم. هذا عادته ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ شديد ﴿وَبَرَزُواْ﴾ أي الخلائق والتعبير فيه وفيما بعده بالماضي لتحقق وقوعه ﴿ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ﴾ المتبوعين ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ﴾ المتبوعون ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ لدعوناكم إلى الهدى ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ لما كانوا في العذاب تواصوا على البكاء فبكوا آلاف السنين ما نفع ذلك، فتواصوا على الصبر قالوا: المسلمون وجدوا ما وجدوا بالصبر فلنصبر، فصبروا ما نفع شيئا، قالوا «سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص»[1] لأنهم قالوا "سواء علينا أوَعظت أم لم تكن من الواعظين" ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ لما دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة، إبليس هو قائد أهل النار، نصب له كرسي من النار في وسط الجحيم فوقف على منبره يخطب ﴿لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ﴾ ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ هذه خطبة إبليس: إن الله وعدكم بالبعث والجزاء وقال الحق ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ غير كائن ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ وعدتكم كذبا فاليوم أخلفتكم ﴿وَمَا كَانَ

1 – جاء في مجمع الزوائد: عن كعب بن مالك رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: "سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص" قال يقول أهل النار: هلموا فلنصبر قال: (فصبروا خمسمائة عام)، فلما رأوا ذلك لا ينفع قالوا: هلموا فلنجزع قال: (فيبكون خمسمائة عام) فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا "سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص". رقم الحديث (79011)

لِي عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ لا تلوموني لا قوة لي أقهركم على متابعتي إنما كان حلا لكم سبيلي فقط فاتبعتموني ﴿إِلاَّ﴾ لكن ﴿أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُمْ﴾ على إجابتي ﴿مَا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ بمغيثكم من العذاب ﴿وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ لستم بمنقذي ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ أنا كفرت بكل ما ادعيتم أني شريككم فيما كنتم تفعلون ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا. هذه خطبة إبليس. قال تعالى ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مولم ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ مقدرين الخلود ﴿فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا﴾ من الله ومن الملائكة وفيما بينهم ﴿سَلاَمٌ﴾ يأتيهم السلام فيما بينهم: سلام عليكم، والملائكة يأتونهم: السلام عليكم، وسلام من الله "سلام قولا من رب رحيم" ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً﴾ إن الله تبارك وتعالى ضرب مثلا للحق والباطل أيضا ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ هي لا إله إلا الله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ كلمة لا إله إلا الله شجرة طيبة كالنخلة[1] ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ النخلة لها عرق ثابت ﴿وَفَرْعُهَا﴾ غصنها ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ لها أغصان نحو السماء ﴿تُؤْتِي﴾ تعطي ﴿أُكُلَهَا﴾ ثمرها ﴿كُلَّ حِينٍ﴾ كل عام تأتي بالثمر ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ بإرادته كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن وعمله يصعد إلى السماء ويناله بركته وثوابه كل وقت هذا مثال كلمة التوحيد ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنون. والعكس ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ كلمة الكفر

---

1 – عن أنس بن مالك قال: أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب فقال: مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها قال: هي النخلة، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار قال: هي الحنظل . سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن / باب ومن سورة إبراهيم (3044).

﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي الحنظل ﴿اجْتُثَّتْ﴾ استؤصلت ﴿مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ ليس لها عروق ولا فروع؛ كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة، لا شيء ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ هي كلمة التوحيد ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ من أحبه الله يثبته يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله في الدنيا والآخرة أي في القبر لما يسأله الملكان عن ربه ودينه ونبيه فيجيب بالصواب[1]. دُفن ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم توفي وهو ابن سبعة عشر شهرا وعندما دفنوه وقف المصطفى صلى الله عليه وسلم وقال: يا إبراهيم إن سألوك فقل الله ربي ومحمد نبيي والكعبة قبلتي والقرآن دليلي والإسلام ديني، فبكى عمر وقال: يا رسول الله هذا ولدك مات قبل سن التكليف وله أب مثلك وملقن مثلك يحتاج للتلقين ما بال عمر الذي فعل ما فعل كلا وليس له أب كرسول الله ولا ملقن كرسول الله صلى الله عليه وسلم؟[2] قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: كيف بك يا عمر إذا مت وغسلوك وكفنوك وحملوك وقاسوا ثلاثة أذرع وحفروا ودفنوك فيه وعندما واروك قبل أن تفرغ من سماع نعالهم يأتيك ملكان أعينهم كالشمس حين طلوعها وحين غروبها وكلهما بيده مضربة من حديد لو اجتمع عليها أولاد آدم ما حركوها فيقعدانك ويسألانك: من ربك ومن نبيك وما دينك وما قبلتك وما دليلك ما تقول يا عمر؟ قال عمر: إن فرقت فحق لي أن أفرق،

---

1 - جاء في صحيح مسلم: عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت قال: نزلت في عذاب القبر فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم. فذلك قوله عز وجل "يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة"). صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (5117).

2 - انظره في روح البيان ج4/ 417

معناه إن خفت فحق لي أن أخاف، ولكن أسألك يا رسول الله نحن في قبورنا بعقولنا كحالتنا الآن؟ قال له: نعم أنتم في قبوركم كما أنتم في حياتكم. قال له: إذاً سأكفيكهما[1]، سأعلم ما أقول لهما، ولما دفن حول قبر النبي صلى الله عليه وسلم التفت سيدنا علي وضحك قال: عمر أدب البشر وهاهو يؤدب الملائكة في قبره أتاه الملكان قال لهما: ما فرغ الذين دفنوني حتى أتيتما تروعانني، هذا الذي فعلتما لي لا تفعلاه لأمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد، اتركونا نسترح «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة» حديث التلقين مأمور به في غير مذهبنا وأنا لا أرى بأسا في العمل به[2]. ومما ينفع الميت الفداء، الإنسان يعمل عملا يكون فداء له من النار. ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أشياء كلها فداء من النار منها لا إله إلا الله سبعون ألف مرة من ذكر هذا العدد لنفسه أو لمن

---

1 - جاء في التمهيد: وروينا عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أصحابه، وعن معمر عن عمرو بن دينار، وعن سعد بن إبراهيم عن عطاء بن يسار، دخل حديث بعضهم في بعض والمعنى واحد، أن رسول الله قال لعمر: (كيف بك يا عمر إذا جاءك منكر ونكير إذا مت وانطلق بك قومك فقاسوا ثلاثة أذرع وشبرا في ذراع وشبر ثم غسلوك وكفنوك وحنطوك واحتملوك فوضعوك فيه، ثم أهالوا عليك التراب فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يجران شعورهما معهما مرزبة لو اجتمع عليها أهل الأرض لم يقلوها فقال عمر: إن فرقنا فنحن أحق أن نفرق، أنبعث على ما نحن عليه؟ قال نعم إن شاء الله، قال: إذا أكفيكهما. التمهيد/ باب الهاء الحديث 35.

2 - أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله) صحيح مسلم: كتاب الجنائز/ باب تلقين الموتى لا إله إلا الله (1524). قال النووي في شرحه: قوله صلى الله عليه وسلم (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله) معناه من حضره الموت، والمراد ذكّروه لا إله إلا الله لتكون آخر كلامه كما في الحديث: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) والأمر بهذا التلقين أمر ندب وأجمع العلماء على هذا التلقين.

شاء من المسلمين يكون فداء له من النار. وكان عالم بجواره صبي يكاشف له عن أحوال الآخرة إذا مات إنسان يقص حاله فعل كذا وفُعل به كذا وكذا، والعلماء كما تعلم...[1] شك العالم فيما يخبر به الصبي، يقول هذا الذي يقول هذا الصبي ما يمكن، يوم من الأيام ماتت أم الصبي فلما دفنت صاح الصبي وطار عقله وشاهدوا منه الفزع الشديد يقول يا ويلتي أمي هاهي في النار أمي هاهي تدخل النار فقال العالم: كنت أقرأ حديث الفدية أن سبعين ألفا فداء من النار وما تأكدت من صحة الحديث، فقلت: اليوم أعرف صحة الحديث وصحة أمر هذا الصبي، قد كنت وفيت سبعين ألفا من لا إله إلا الله لنفسي يا رب هي هدية لأم الصبي، عندما قال هذا بقلبه ضحك الصبي وقال: الحمد لله هذه أمي قد خرجت من النار إلى الجنة، قال العالم: فعلمت أمرين علمت صحة الحديث أن سبعين ألفا فداء من النار وعلمت صحة كشف الغلام أيضا[2]. هذه فداء من النار وكذلك عشرة آلاف من

1 ـ اكتفى الشيخ رضي الله هنا بجواز حذف ما علم.

2 – جاء في فيض القدير ما نصه: قال ابن عربي أوصيك أن تحافظ على أن تشتري نفسك من الله تعتق رقبتك من النار بأن تقول لا إله إلا الله سبعين ألف مرة فإن الله يعتق رقبتك أو رقبة من تقولها عنه بها ورد به خبر نبوي. وأخبرني أبو العباس القسطلاني بمصر أن العارف أبا الربيع المالقي كان على مائدة وقد ذكر هذا الذكر، عليها صبي صغير من أهل الكشف فلما مد يده للطعام بكى فقيل: ما شأنك؟ قال هذه جهنم أراها وأمي فيها، فقال المالقي في نفسه: اللهم إني قد جعلت هذه التهليلة عتق أمه من النار فضحك الصبي وقال الحمد لله الذي خرجت أمي منها وما أدري سبب خروجها. قال المالقي فظهر لي صحة الحديث. قال ابن عربي وقد عملت أنا على ذلك ورأيت بركته. فيض القدير شرح الجامع الصغير للإمام المناوي/ تابع حرف الميم.

بسم الله الرحمن الرحيم وكذلك عشرة آلاف من قل هو الله أحد[1] وقال البكري وأيده شيخنا أن مرة واحدة من صلاة الفاتح فداء من النار[2] "ذلك فضل الله يوتيه من يشاء" ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ الكفار فلا يهتدون للجواب بالصواب بل يقولون لا ندري. أما المسلم إذا سئل فيجيب ربي الله ومحمد نبيي والكعبة قبلتي والإسلام ديني والقرآن دليلي. والكافر والمنافق إذا سأله الملك يقول: أنت ربي أو لا أدري لا أدري، يقول له: لا دريتَ ولا تليتَ، ما عرفتَ ولا تعلمتَ، فيضربونه حتى يدخل النار[3] ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ شكرها ﴿كُفْرًا﴾ هم كفار قريش كانوا في نعمة أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وبعث فيهم رسولا منهم، هذه نعم كبار بدلوا شكرها كفرا ﴿وَأَحَلُّواْ﴾ أنزلوا ﴿قَوْمَهُمْ﴾ بإضلالهم ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ وقادوا القوم إلى هذا الكفر حتى دخلوا النار ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ شركاء

---

1 - نقل السيوطي في الجامع الصغير حديثين أحدهما للطبراني والضياء المقدسي: ("من قرأ قل هو الله أحد" مائة مرة في صلاة أو في غيرها كتب الله له براءة من النار) 8949، والثاني للخياري في فوائده عن حذيفة: ("من قرأ قل هو الله أحد" ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله) 8953.

2 - جواهر المعاني ج135/1.

3 - أخرج البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (العبد إذا وضع في قبره وتولي وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا وأما الكافر أو المنافق فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين. البخاري: كتاب الجنائز/ باب الميت يسمع خفق النعال (1338).

﴿لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِ﴾ دين الإسلام ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿تَمَتَّعُواْ﴾ بدنياكم قليلا ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ مرجعكم إليها ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ﴾ فداء ﴿فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ﴾ صداقة ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ﴾ السفن ﴿لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ﴾ بالركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإذنه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ جاريين في فلكهما لا يفتران ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ﴾ لتسكنوا فيه ﴿وَالنَّهَارَ﴾ لتبتغوا فيه من فضله ﴿وَءَاتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ على حسب مصالحكم ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ إنعامه ﴿لاَ تُحْصُوهَا﴾ لا تطيقوا عدها ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾ أي الكافر ﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ كثير الظلم لنفسه بالمعصية والكفر لنعمة ربه. نِعَمُ الله تبارك وتعالى لا تحصى، وجود العبد أكبر النعم، نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد. شكا مسكين إلى عارف بالله قال له: سل الله لي إني فقير لا أملك فلسا، قال له: احمد الله تبارك وتعالى قال: والله ليس عندي فلس واحد، قال له: احمد الله. قال له: ليس عندي شيء. قال: تقبل أن أقطع يديك وأعطيك عشرة آلاف دينار؟ قال: لا، قال: تقبل أن أفقأ عينيك وأعطيك عشرة آلاف دينار؟ قال: لا، قال: أقطع رجليك وأعطيك عشرة آلاف دينار؟ قال: لا، قال: أقطع لسانك وأعطيك عشرة آلاف دينار؟ قال: لا. قال له: هذه قيمة أربعين ألف دينار وأنت تقول أن ليس عندك شيء؟ اتق الله واحمد الله تبارك وتعالى[1]. نِعم الله تبارك وتعالى لا تحصى. قال ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾ مكة ﴿ءَامِنًا﴾

---

[1] – روح البيان ج423/4.

ذا أمن، في سورة البقرة قال "اجعل هذا بلدا آمنا" ذاك في مرته الأولى وهي فلاة وهذه في المرة الثانية وهي بلدة فلهذا عرفها: «اجعل هذا البلد» مكة «آمنا» ذا أمن، وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرما لا يسفك فيه دم إنسان، ولا يُظلم فيه أحد، ولا يصاد صيده، ولا يختلى خلاه، من لقي فيه قاتل أبيه لا يتعرض له ﴿وَاجْنُبْنِي﴾ بعّدني ﴿وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ﴾ عن أن نعبد ﴿الأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾ الأصنام ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ بعبادتهم لها ﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾ على التوحيد ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ من أهل ديني ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ هذا قبل علمه أنه تعالى لا يغفر الشرك ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ بعضها وهو إسماعيل مع أمه هاجر ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ هو مكة ﴿عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ الذي كان قبل الطوفان ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً﴾ قلوبا ﴿مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي﴾ تميل ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لو لم يقل "من" لحنت إليه فارس والروم والناس كلهم، ولكن "من" جعل بعض الناس يهوي يحن إليهم ﴿وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ وقد فعل بنقل الطائف إليه ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي﴾ نسر ﴿وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾ يحتمل أن يكون من كلامه تعالى أو كلام إبراهيم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي﴾ أعطاني ﴿عَلَى الْكِبَرِ﴾ مع الكبر ﴿إِسْمَاعِيلَ﴾ ولد وله تسع وتسعون سنة ﴿وَإِسْحَاقَ﴾ ولد وله مائة واثنتا عشرة سنة ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ اجعل من ذريتي من يقيمها ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ المذكور ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله عز وجل وقيل أسلمت أمه وقرئ والدي ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ قال تعالى ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون من أهل مكة ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ بلا عذاب ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ لهول ما ترى،

هو يوم القيامة ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ رافعي رؤوسهم إلى السماء ﴿لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ بصرهم ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ﴾ قلوبهم ﴿هَوَاءٌ﴾ خالية من العقل لفزعهم ﴿وَأَنذِرْ﴾ خوِّف يا محمد ﴿النَّاسَ﴾ الكفار ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ هو يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كفروا ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا﴾ بأن تردنا إلى الدنيا ﴿إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ بالتوحيد ﴿وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ فيقال لهم توبيخا ﴿أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُمْ﴾ حلفتم ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ عنها ﴿وَسَكَنتُمْ﴾ فيها ﴿فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر من الأمم السابقة ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ من العقوبة فلم تنزجروا ﴿وَضَرَبْنَا﴾ بيّنا ﴿لَكُمُ الأَمْثَالَ﴾ في القرآن فلم تعتبروا ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ﴾ بالنبي صلى الله عليه وسلم ﴿مَكْرَهُمْ﴾ حيث أرادوا قتله أو تقييده أو إخراجه ﴿وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي علمه ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ ما كان مكرهم وإن عظم ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ لا ﴿فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ بالنصر ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يعجزه شيء ﴿ذُو انتِقَامٍ يَوْمَ تُبَدَّلُ﴾ اذكر يوم تبدل ﴿الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ وهو يوم القيامة سئل صلى الله عليه وسلم تبدل الأرض بأي شيء؟ قال: سألتم عن عظيم، تبدل الأرض غير الأرض والسماوات أيضا غير السماوات أي يقول جلال فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية كما في حديث الصحيحين[1] وسئل النبي صلى

---

1 – ورد في الصحيحين من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس فيها معلم لأحد". صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب يقبض الله الأرض يوم القيامة (6521) وفي صحيح مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار/ باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة (4998).

الله عليه وسلم: أين الناس يومئذ؟ قال: على الصراط[1]. تبدل الأرض على حسب أعمال العباد، من كان كافرا يكون موقفه نارا تتقد عليه حتى يقضى عليه، ومن كان مؤمنا مطيعا تبدل أرضه خبزا وأنهارا يأكل ويشرب حتى يقضى عليه[2] حتى يخرجوا إلى الجنة ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ الناس كلا يخرجون من قبورهم عراة حفاة غرلا، تقول عائشة: واسوأتاه يا رسول الله، الرجال والنساء في موقف واحد عراة؟ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: إن الناس يا عائشة في ذلك الموقف لهم شغل عن نظر بعضهم إلى بعض[3] كلهم متجرد ولكن ما ينظر أحد إلى أحد، كلهم مشغول في نفسه "لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه"، قالت: هل تتذكرون أهاليكم يا رسول الله؟ قال: أما في ثلاثة مواطن فلا: عند الوزن وعند قبض

---

1 – عن عائشة قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل "يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات" فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: على الصراط. صحيح مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار/ باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة (4999).

2 – نقل الطبري في تفسيره عند تفسير الآية: عن سعيد بن جبير في قوله "يوم تبدل الأرض غير الأرض" قال تبدل خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه. وكذا عن محمد بن كعب القرظي أو محمد بن قيس. تفسير الطبري/ سورة إبراهيم/ تفسير يوم تبدل الأرض.

3 – جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تحشرون حفاة عراة غرلا، قالت عائشة فقلت: يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: الأمر أشد من أن يهمهم ذاك. صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب كيف الحشر(6527) صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (5102). وفي فتح الباري قال: وللترمذي والحاكم من طريق عثمان بن عبد الرحمن القرظي: قرأت عائشة "ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة فقالت: وا سوأتاه الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم إلى سوأة بعض؟ فقال: لكل امرئ الآية وزاد: لا ينظر الرجال إلى النساء ولا النساء إلى الرجال شغل بعضهم عن بعض". المستدرك: كتاب الأهوال/ باب رحال المتقين الذهب وأزمتها الزبرجد (8735).

الكتاب، وعند المشي على الصراط[1] «وبرزوا لله الواحد القهار» ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ﴾ مشدودين مع شياطينهم ﴿فِي الأَصْفَادِ﴾ القيود والأغلال ﴿سَرَابِيلُهُمْ﴾ قُمُصُهم ﴿مِن قَطِرَانٍ﴾ لأن القطران أبلغ في اشتعال النار تتقد سريعا ولا تنطفئ عاجلا ﴿وَتَغْشَى﴾ تعلو ﴿وُجُوهَهُمُ النَّارُ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ من خير وشر ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك[2] ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ﴾ أنزل لتبليغهم ﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ﴾ بما فيه من الحجج ﴿أَنَّمَا هُوَ﴾ الله ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ﴾ ليتذكر ﴿أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ هم الذين يقدرون على ذلك. أصحاب العقول. اللهم صل على سيدنا محمد وسلم.

---

[1] – عن عائشة أنها ذكرت النار فبكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك؟ قالت: ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل وعند الكتاب حين يقال هاؤم اقرءوا كتابيه حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم . سنن أبي داود: كتاب السنة/ باب في ذكر الميزان (4128)، مسند أحمد: مسند الأنصار/ باب حديث السيدة عائشة (23555).

[2]– أخرج الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر) وقال: حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين. المستدرك: كتاب الإيمان/ باب: يوم القيامة كقدر مابين الظهر والعصر للمؤمنين (291). وجاء في تفسير الطبري عن الاعمش عن إبراهيم في قوله :أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا قال: كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس يوم القيامة في نصف النهار، فيقيل هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار. تفسير الطبري/ سورة الفرقان/ "وقدموا إلى ما عملوا من عمل.." الآية. وقد تقدم في الدرس 16.

الدرس التاسع والعشرون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يا همة الشيخ احضري لنا بهذا المحضر
ولتعطفي بنظرة تأتي لنا بالظفر

سورة الحجر

مكية وآياتها تسع وتسعون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن، آيات من القرآن ﴿وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ مظهر للحق من الباطل، مظهر للحلال من الحرام ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ﴾ يتمنى ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين ﴿لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ يودون لو كانوا مسلمين. السبب في ذلك أن العصاة من المسلمين عندما دخلوا النار بسبب ذنوبهم تكلم لهم الكفار قالوا لهم: أنتم كنتم مسلمين ما نفعكم إسلامكم صرتم معنا في النار. أنتم ونحن سواء، قالوا: نحن دخلنا النار بذنوب عملناها واستوجبنا دخولها وسنخرج منها. لما شمت بهم الكفار أمر الله أن يخرج من النار كل من قال لا إله إلا الله على

ما عمل. فأخرجوا جميعا فبقى الكفار يتمنون لو كانوا مسلمين[1]. هذه ندامة الأبد، ومن مات يندم، كل من مات يلقى الندامة في قبره، إن كان محسنا ندم حيث أنه لم يزد، وإن كان مسيئا ندم على إساءته[2]، فلهذا ذكروا أن القبر بحر الندامة. أو يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين، يودون هذا في كل وقت من الأوقات. والناس على أقسام: يود الذين فسقوا لو كانوا مؤمنين طائعين، ربما يود الذين اشتغلوا بالدنيا وتكاسلوا عن الطاعات لو كانوا مجتهدين، ويود الذين اشتغلوا بغير الله تبارك وتعالى لو كانوا مؤمنين حقا محسنين بترك كل ما سواه «ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين» ﴿ذَرهُمْ﴾ يا محمد ﴿يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾ بدنياهم ﴿وَيُلْهِهِمْ﴾ يشغلهم ﴿الأَمَلُ﴾ بطول العمر وغيره عن الإيمان ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ هذا وعيد وتهديد لمن اشتغل بالدنيا وشهواتها عن الآخرة. يتمتعون بالدنيا، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (شر الناس من ولدوا في النعيم وغذوا

---

1 - جاء في سنن النسائي الكبرى عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن ناسا من أمتي يعذبون بذنوبهم، فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا، ثم يعيرهم أهل الشرك، فيقولون لهم: ما نرى ما كنتم تخالفونا فيه من تصديقكم وإيمانكم نفعكم. لما يريد الله أن يري أهل الشرك من الحسرة، فما يبقى موحد إلا أخرجه الله، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: "ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين"). سنن النسائي الكبرى: كتاب التفسير/ باب قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (11166).

2 - أخرج الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من أحد يموت إلا ندم) قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: (إن كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد وإن كان مسيئا ندم أن لا يكون نزع). سنن الترمذي: كتاب الزهد/ باب ما جاء في ذهاب البصر (2327).

بالنعيم، همتهم ألوان الملابس وألوان الطعام)[1] هذا الاشتغال بالدنيا والدنيا متاع الغرور «وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ» يأملون طول العمر لا يذكرون الموت أبدا، والأمل يغر أبناء الدنيا حتى ينسوا الآخرة وينسوا ربهم خالقهم، والأمل فيه رحمة لعباد الله، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (الأمل رحمة الله لأمتي لولا الأمل ما أرضعت أم ولدا ولا غرس غارس شجرا)[2] فلهذا ورد لولا الحمقى لخربت الدنيا[3]، لو كان الناس كلا عقلاء لأقبلوا على الله تبارك وتعالى وتركوا الدنيا وهذا خراب الدنيا. اشترى أسامة بن زيد وليدة بمائة دينار إلى شهر فأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: سبحان الله ما أطول أمل أسامة حتى يشتري إلى شهر، هل يعيش إلى شهر؟ أنا لا أغمض عيني إلا ظننت أن شفري عيني لا ينطبقان لا يلتقيان حتى أموت، وأفتحهما وأظن أني أموت قبل أن يخرج بصري، وألقم لقمة وأظن أني سأموت

---

1 – أخرج الحاكم في مستدركه عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين قال: قلنا لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، حدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وما رأيت منه، ولا تحدثنا عن غيره وإن كان ثقة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما بين السرة إلى الركبة عورة» ، وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الصدقة في السر تطفيء غضب الرب» ، وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «شرار أمتي قوم ولدوا في النعيم وغذوا به يأكلون من الطعام ألوانا ويلبسون من الثياب ألوانا ويركبون من الدواب ألوانا يتشدقون في الكلام» المستدرك: كتاب معرفة الصحابة/ باب النهي عن ثمن الكلب وكسب الحجام (6473).

2 – أورده السيوطي في الجامع الصغير بلفظ (إنما الأمل رحمة من الله لأمتي، لولا الأمل ما أرضعت أم ولدا، ولا غرس غارس شجرا) للخطيب في التاريخ عن أنس، رقم 2550 .

3 – روح البيان ج383/1.

قبل أن أسيغها[1]. هذا الرسول صلى الله عليه وسلم لو كان الناس كلا بهذا العقل لخربت الدنيا، لولا الحمقى لخربت الدنيا. قال بعضهم: لولا الحمقى ما أكلتم رطبا ولا شربتم ماء باردا، العاقل كامل العقل لا يصعد على رؤوس الأشجار يجني الثمار، ولا يدخل في قعر البئر يستنقع الماء، لابد من رجال عقولهم توافق هذا فيعملون هذا ولولاهم لما أكلنا رطبا ولا شربنا باردا[2]، والأمل المذموم هو الذي يشغل العبد عن الله تبارك وتعالى كما هو الحال بالنسبة لكفار مكة، فهددهم بقوله «فسوف يعلمون» ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ﴾ أجل ﴿مَعْلُومٌ﴾ محدود لإهلاكها ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ رفعت الأقلام وجفت الصحف، إن الله تبارك وتعالى فرغ من أربعة أشياء من أجَل الشخص ورزقه وشقي أم سعيد[3]. الإنسان لا يموت قبل أجله أبدا ولا يتأخر عن أجله أبدا فلهذا كان يقول مولانا علي كرم الله وجهه: لا أدري في أي اليومين

---

1 – أخرجه السيوطي في الجامع الكبير ج357/1 بلفظ (ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر، إن أسامة لطويل الأمل، والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي إلا ظننت أن شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي، ولا رفعت طرفي وظننت أني واضعه حتى أقبض، ولا لقمت لقمة إلا ظننت أني لا أسيغها، حتى أغص بها من الموت، يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم في الموتى، والذي نفسي بيده: إنما توعدون لآت، وما أنتم بمعجزين). أبو نعيم في الحلية وابن عساكر عن أبي سعيد. كنز العمال/ الإكمال من طول الأمل (7571)

2 – ذكر في روح البيان دون عزو: قال بعضهم لو كان الناس كلهم عقلاء لما أكلنا رطبا ولا شربنا ماء باردا. ج441/4.

3 – أخرج أحمد في مسنده عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (فرغ الله إلى كل عبد من خمس من أجله ورزقه وأثره وشقي أم سعيد). مسند أحمد: مسند الأنصار/ حديث أبي الدرداء (20730).

أخاف اليوم الذي سأموت فيه واليوم الذي لا أموت فيه. اليوم الذي سأموت فيه لابد لي من الموت واليوم الذي لا أموت فيه لا يمكن أن أموت فيه، لا أدري في أي اليومين أخاف. بطل وبصير ﴿وَقَالُواْ يَاأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ هؤلاء كفار قريش يستهزئون بالرسول صلى الله عليه وسلم يقولون له: أيها الرجل الذي يدعي أنه أنزل عليه القرآن إنك لمجنون ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلاَئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ إن كنت نبيا حقا فأتنا بالملائكة، رموه بالجنون بأنه يقول كلام المجانين وقالوا استهزاء يا أيها الذي تدعى أنه نزل عليك القرآن، كقول فرعون "إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون" والحاصل أنهم قالوا مقالتين الأولى: «ياأيها الذي نزل عليه الذكر» والثانية «لوما تأتينا بالملائكة» وقد رد الله تبارك وتعالى على ذلك بقوله: "ما تَنزّل الملائكة.."الخ "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" «لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلاَئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» قال تعالى ﴿مَا تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ الملائكة نزولهم لا يخلو من عذاب إذا نزلوا لابد أن ينزلوا مع عذاب يستأصلكم ﴿وَمَا كَانُواْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ مؤخرين ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أخبر الله تبارك وتعالى أنه هو الذي أنزل هذا القرآن وهو حافظه من التبديل والتحريف والزيادة والنقص. الكتب السابقة قبل القرآن استحفظوا للأمم كما ذكر في سورة المائدة "بما استحفظوا" استحفظهم الكتب فلهذا حرفوا وبدلوا وغيروا وزادوا ونقصوا لأنهم متمكنون من كتبهم وديعة عندهم. وهذا القرآن أنزله الله وتكفل بحفظه تبارك وتعالى فلا يمكن فيه التحريف ولا التبديل ولا النقص ولا الزيادة، أنزله ولا زال محفوظا في صدور أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى آخر الدهر ولا زال محفوظا في المصاحف ولا زال يقرأ. والقرآن يتضمن الشريعة المحمدية وهذه الشريعة لا تقبل تغييرا ولا تبديلا. الرسول صلى الله

عليه وسلم يقول: (إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة دينها)[1] المجددون يقومون بتجديد الشريعة على رأس كل قرن، فلا يتأتى أن يغير ولا أن يبدل، (اقرأوا القرآن ولا يغرنكم هذه المصاحف المعلقة فإن الله لن يعذب قلبا وعى القرآن)[2] يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: من استظهر القرآن خفف العذاب عن والديه وإن كانا مشركين فكيف إذا كانا مسلمين[3]، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لو أن القرآن جعل في إهاب ثم ألقي في النار ما احترق)[4] لو جعل في جلد شاة وألقي في النار لما احترق هذا الجلد فكيف إذا كان في جسد شخص مؤمن موحد؟ الخير كله في هذا القرآن. والقرآن ما دام على وجه الأرض فالسماء تسقى والأرض تنبت والتناسل يقع في العالم حتى يُرفع. يروى أنه سيمحى

---

1 - أخرج أبو داود في سننه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) سنن أبي داود: كتاب الملاحم/ باب ما يذكر في قرن المائة (3740). وأخرجه الحاكم في المستدرك بلفظ (إن الله يبعث إلى هذه ... الحديث) المستدرك: كتاب الفتن والملاحم/ باب ذكر بعض المجددين في هذه الأمة (8642).

2 - أخرج الدارمي في سننه وانفرد به عن أبي أمامة أنه كان يقول اقرءوا القرآن ولا يغرنكم هذه المصاحف المعلقة فإن الله لن يعذب قلبا وعى القرآن. سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن/ باب فضل من قرأ القرآن (3185). وهو أثر موقوف على أبي أمامة الباهلي.

3 - جاء في اللآلئ المصنوعة للإمام السيوطي من حديث ابن عمر مرفوعا: (من حفظ القرآن نظرا خفف الله عن أبويه العذاب وإن كانا كافرين) الجزء الأول: كتاب العلم/ باب فضائل القرآن.

4 - أخرج أحمد في مسنده عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لو أن القرآن جعل في إهاب ثم ألقي في النار ما احترق. مسند أحمد: مسند الشاميين/ حديث عقبة بن عامر الجهني (16725) وللسيوطي في الجامع الكبير هذه الأحاديث "لو كان هذا القرآن في إهاب ما أحرقته النار" "لو كان القرآن في إهاب ما أكلته النار" "لو كان القرآن في إهاب ما مسه النار" ص668. تقدم في الدرس 28.

من الصدور، إذا أراد الله فناء هذا العالم يمحو القرآن من الصدور ويمحوه من المصاحف فلا يبقى على وجه الأرض خير[1]، فيأتي عليهم طلوع الشمس من مغربها، هذا تأويل "إنا نحن نزلنا الذكر" الله تبارك وتعالى ينزل ذكر الله لاإله إلا الله على قلب عبده "وإنا له لحافظون" إذا نزل الله الذكر على قلب العبد يحفظ الذكر على ذلك العبد فلا يترك ذكر الله ولا يعرض عن الله تبارك وتعالى. ومن ذكَر الله و لم ينزل الله الذكر على قلبه فلا يكون الذكر محفوظا عنده أما إذا نزله الحق تبارك وتعالى في قلب عبده بأن ذكره قبل أن يذكره العبد فهذا الذكر يبقى دائما، وهذا لأهل حضرته تبارك وتعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ رسلا ﴿فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ﴾ فرق الأولين ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم. هذه عادة الله تبارك وتعالى، ما أتى رسول قط ولا نبي إلا واستهزأ به قومه وآذوه فصبر وأهلكوا، هكذا قومك يؤذونك فاصبر كما صبر أولئك فسيهلكون. ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ مثل إدخالنا التكذيب في قلوب أولئك ندخله ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ كفار مكة ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالنبي أبدا ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم

---

1 - أخرج الدارمي عن عبد الله بن مسعود قال: أكثروا تلاوة القرآن قبل أن يرفع قالوا هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الرجال قال يسرى عليه ليلا فيصبحون منه فقراء وينسون قول لا إله إلا الله ويقعون في قول الجاهلية وأشعارهم وذلك حين يقع عليهم القول. سنن الدارمي: فضائل القرآن/ باب تعاهد القرآن (3207).

وجاء في روح البيان قوله: روي أنه يرفع القرآن في آخر الزمان من المصاحف فيصبح الناس فإذا الورق أبيض ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس إلى الأشعار وأغاني وأخبار الجاهلية. روح البيان ج444/4.

أنبياءهم وهؤلاء مثلهم. لابد أن يهلكوا، وقد هلكوا ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّواْ فِيهِ﴾ في الباب ﴿يَعْرُجُونَ﴾ يصعدون ﴿لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ﴾ سدت ﴿أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ من شدة عنادهم لو شاهدوا أغرب من هذا أو صعدوا إلى السماء لقالوا هذا سحر فقط يخيل لنا ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ خلق الله بروجا اثني عشر: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، وهي منازل الكواكب السبعة السيارة: المريخ وله الحمل والعقرب، والزهرة ولها الثور والميزان، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة، والقمر وله السرطان، والشمس ولها الأسد، والمشتري وله القوس والحوت، وزحل وله الجدي والدلو. ﴿وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا﴾ بالشهب ﴿مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ حمى الله السماوات السبع أن ترقى فيها الشياطين، كلما أراد شيطان أن يصعد إلى السماء طرد بشهاب ﴿إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ خطفه ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ كوكب يضيئ يحرقه أو يثقبه أو يخبله، وهذا بسبب النبي صلى الله عليه وسلم كانت الشياطين يصعدون إلى السماء ويسمعون كلام الملإ الأعلى فإذا سمعوا كلمة حق أضافوا إليها مائة كذبة ويأتون الكهنة بهذه الأكاذيب وليس فيها إلا حق واحد، فلما ولد النبي صلى الله عليه وسلم طردوا من السماء، فلما بعث صارت تطردهم الشهب عن الدنو من السماء صونا لرسالة الرسول صلى الله عليه وسلم. الرسول صلى الله عليه وسلم مُنع السماء بسببه، فلمَ يسلط الله الشيطان عليه هو بنفسه وهو الذي بسببه منع الشياطين من السماء؟ الله تبارك وتعالى يمنع بالشيء ولا يمنع عنه. الرسول صلى الله عليه وسلم مُنعت الشياطين من السماء بسببه وهو بنفسه يأتيه الشيطان، ويأتيه الشيطان ليهلك فقط. إذا دنا منه الشيطان يحرقه نوره، كهذه الفراشة التي تقع على

النار، تقع على النار وتموت، الشيطان إذا دنا من النبي صلى الله عليه وسلم يهلك، لا يدنو من عمر، إذا سلك عمر فجا سلك فجا غير فج عمر فرارا من عمر[1]. دنوه من الرسول صلى الله عليه وسلم لهلاكه فقط. ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالا ثوابت لئلا تتحرك بأهلها ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ معلوم مقدر ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ من الثمار والحبوب ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ من العبيد والدواب والأنعام فإنما يرزقهم الله ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ مفاتيح خزائنه ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ كل شيء عند الله خزائنه تبارك وتعالى ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ تلقح السحاب فيمتلئ ماء ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ السحاب ﴿مَاءً﴾ مطرا ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ الله تبارك وتعالى ذكر في القرآن ثمانية من جنس الرياح، أربعة للعذاب، وأربعة للرحمة، فكلما كانت الرياح رحمة تكون جمعا، وإذا كانت عذابا تكون مفردا، ضابطه في القرآن، ذكر في القرآن: المرسلات، الذاريات، الناشرات، وذكر لواقح، هذه الرياح رياح الرحمة وذكر الصرصر وذكر الريح العقيم "ما تذر من شيء أتت عليه

---

1 - جاء في صحيح البخاري عن سعد بن أبي وقاص قال استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم: عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب فقال عمر: فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فجك. صحيح البخاري: كتاب المناقب/ باب مناقب عمر بنَ الخطاب (3683).

إلا جعلته كالرميم" وذكر عاصفا وقاصفا هذه أربع للعذاب، وكلما جاءت الريح للعذاب تكون مفردا وكلما جاءت للرحمة تكون جمعا، لأن الرياح رياح الرحمة تكون لينة تنتشر كأنها جماعة، وريح العذاب تتجمع تكون قوة واحدة فردا للدمار. الريح العاصف والقاصف هذه رياح البحر تغرق الفلك والسفن في البحر، والصرصر والعقيم في البر كلها عذاب[1]. ما جاء في القرآن ريح مفردة للرحمة إلا مرة واحدة "بريح طيبة" في سورة يونس وصفها بطيبة قبل أن تصبح للرحمة ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ الباقون نرث جميع الخلائق. الله تبارك وتعالى هو الحي الذي لا يموت. وكل الخلائق سيموتون عن آخرهم ويبقى الله وارثا للجميع ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ من تقدم من الخلق من لدن آدم ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ المتأخرين إلى يوم القيامة، من لدن آدم إلى يومنا هذا علم الله كل من مضى، ومن يومنا إلى آخر الدهر علم كل من سيأتي ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ﴾ آدم ﴿مِن صَلْصَالٍ﴾ طين يابس يسمع له صلصلة أي صوت إذا نقر ﴿مِنْ حَمَإٍ﴾ من طين أسود ﴿مَسْنُونٍ﴾ متغير. خلق الله آدم من طين، وصف الطين بأوصاف: طين لازب كما في سورة الصافات، "من حمإ مسنون" متغير، ومن صلصال كالفخار لأن طين آدم مر عليه أطوار سنقصها عليكم ﴿وَالْجَانَّ﴾ أبا الجن وهو إبليس ﴿خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾ قبل خلق آدم ﴿مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ نار لا دخان لها تنفذ في المسام ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ

---

[1] – جاء في لسان العرب (مادة قصف): وروي عن عبيد بن عمرو: الرياح ثمان: أربع عذاب وأربع رحمة، فأما الرحمة فالناشرات والذاريات والمرسلات والمبشرات، وأما العذاب فالعاصف والقاصف وهما في البحر والصرصر والعقيم وهما في البر.

مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ أتممته ﴿وَنَفَخْتُ﴾ أجريت ﴿فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ أجريت فيه روحي ﴿فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ فيه تأكيدان ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ أبا الجن ﴿أَبَى﴾ امتنع ﴿أَنْ يَّكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ﴾ تعالى ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ﴾ ما منعك ﴿أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ﴾ لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ من الجنة أو من السماوات ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مطرود، طرد ولعن في ذلك الحين ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ الجزاء ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ طلب من الله أن يبقى إلى يوم القيامة لا يموت ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ أخره الله إلى آخر الدهر إلى فناء أولاد آدم، ثم يموت إذا مات جميع أبناء آدم، أخره الله إلى ذلك الوقت. عدو محمد مات، عدو موسى مات، عدو إبراهيم مات وأعداء عيسى كذلك وعدو آدم باق من أول الدهر إلى آخر الدهر ولِمَ؟ لأنه ليس عدوا لآدم فحسب هو عدو لله تبارك وتعالى فلهذا أخر إلى آخر الدهر، وأيضا الله تبارك وتعالى لا يضيع أجر العاملين، وإبليس تعبد في كل شبر على وجه الأرض وكان خازنا للجنة أربعين ألف سنة[1]، ويروى أنه جاهد الجان الذين سكنوا الأرض قبل آدم ستين ألف سنة. فلما لعن واستوجب النار، أعطاه الله تبارك وتعالى جزاء عمله بأن أمهله إلى آخر الدنيا، وأيضا هو عدو لآدم وعدو لجميع أولاد آدم، والله تبارك وتعالى عندما أرسل الملَك لقبض روح آدم قال آدم: يا رب إذاً تشمت بي عدوي إبليس يراني أموت، وهو

1 – جاء في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: وقيل إن إبليس عبد الله تعالى ثمانين ألف سنة وأعطي الرياسة والخزانة في الجنة على الاستدراج. الجامع لأحكام القرآن ج297/1.

يمهل إلى آخر الدهر لابد من شماتته بي، شماتة الأعداء أهل الله لا يحبونها من آدم إلى يومنا هذا. إذا مت أنا وإبليس عدوي باق سيشمت بي. يقول الله تبارك وتعالى لأضاعف له مرارة الموت التي ذاقها جميع أولادك. إبليس يلقى من سكرات الموت قدر ما لقي جميع أبناء آدم أضعافا مضاعفة، فرضي آدم وقبل أن يموت ويبقى إبليس إلى آخر الدهر[1]. إذا نفخ في الصور ومات جميع الخلائق علم أن وقت موته قد جاء يذهب إلى قبر آدم ويسجد ويتمرغ من مغرب القبر إلى مشرقه ويرجع يتمرغ يقول: أمرتني بالسجود لآدم فها أنا أسجد، ولكن ذلك لا ينفع، فالله تبارك وتعالى يأمر ملك الموت: هذا عدوي أمهلته إلى يوم الوقت المعلوم، فهذا يوم الوقت المعلوم، تحلَّ بصفتي جبارا قهارا وتحلَّ بغضبي وانتقامي واذهب إلى عدوي وأخرِج لي روحه المنتنة. خذ سبعين ألفا من زبانية النار يرافقونك إلى عدو الله. أذقه من مرارة الموت قدر ما ذاق جميع أولاد آدم وضعّف ذلك أضعافا مضاعفة. فيخرج ملك الموت معه سبعون ألفا فيقف لإبليس عند مطلع الشمس فيفر إلى مغرب الشمس في لحظة فيجد ملك الموت واقفا بين يديه فيفر إلى مطلع الشمس يجد ملك الموت واقفا بين يديه، أراد أن يغمس نفسه في البحر فامتنع البحر جمد لم يقبله البحر قذفه فصار يصيح بأعلى صوته والملائكة يعذبونه ويقول الله تبارك وتعالى لآدم وحواء اطلعا على عدوكما اليوم لتريا كيف يموت، فلما اطلعا على موت إبليس بهذه الكيفية شكرا الله تبارك وتعالى وقالا الحمد لله الآن أتممت النعمة علينا فيأخذه الله تبارك وتعالى إلى الجحيم[2]، أسفل سافلين، كل من دخل النار يجعل

---

[1] - ذكرها في روح البيان من حديث أحنف بن قيس عن كعب الأحبار. راجع روح البيان ج4/ 466.

[2] - روح البيان ج4/ 466-467.

قدمه اليمنى على رأس إبليس واليسرى على رأس قابيل كما طلبوا "ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين" إبليس امتنع من السجود لآدم بعدما أمره الله بذلك. وقد قلنا إن هذه المخالفة تضمنت ثلاث مخالفات: امتنع من أمر الله، وامتنع أن يكون مع الجماعة، وامتنع أن يعظم ما عظمه الله فلهذا مرة يقول له "ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك" خالف أمر الله، ومرة "ما منعك ألا تكون مع الساجدين" خرجت من الجماعة، ومرة "ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي" أبيت أن تعظم شيئا عظمته أنا «قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ بإغوائك لي ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ المعاصي ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أقسم إبليس أنه بإمهال الله له سيغوي جميع أولاد آدم ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ المؤمنين. حتى إبليس يحذر من الكذب يعلم أن من عباد الله من لا قدرة له عليهم فلهذا استثناهم "إن عبادي ليس لك عليهم سلطان" المخلَصون هم الصديقون، والمخلِصون هم الصادقون ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ عباد الله تبارك وتعالى لا يتسلط عليهم إبليس ﴿إِلاَّ﴾ لكن ﴿مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الكافرين ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ من تبعك معك ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ سبعة أطباق ﴿لِكُلِّ بَابٍ﴾ منها ﴿مِنْهُمْ جُزْءٌ﴾ نصيب ﴿مَقْسُومٌ﴾ النار لها طبقات: جهنم، لظى، السعير، سقر، الجحيم، الحطمة، الهاوية. لكل جزء مقسوم: جهنم لعصاة المؤمنين فلهذا روي عن ابن مسعود: يأتي على جهنم زمان ليس فيها أحد[1] لأن عصاة المؤمنين لابد أن يخرجوا من النار، من قال

---

1 - قال في فتح الباري في شرح الحديث رقم 6548: عن ابن مسعود "ليأتين عليها زمان ليس فيها

لا إله إلا الله لابد أن يخرج من النار ولو دخل فيها؛ لظى لليهود؛ وسقر للنصارى؛ الجحيم للمجوس؛ الحطمة للمشركين؛ الهاوية للمنافقين "في الدرك الأسفل من النار" سبعة أطباق[1]. والله تبارك وتعالى جعل النار سبع طبقات. كما أن الإنسان له سبعة أعضاء، المكلف من الأعضاء العين والأذن واللسان واليد والبطن والفرج والرجل، هذه السبعة أعضاء مع القلب هي المكلفة من الإنسان. والأعمال إما أن تكون لكسب محمدة أو مذمة، فإذا كان العمل لكسب محمدة فلك أن تستعمل أي عضو شئت، وإذا كان يكسب مذمة فحرام عليك أن تستعمل أي عضو من أعضائك فيه، حتى في نفسك ليس لك أن تأخذ سكينا وتقتل بها نفسك ليس لك هذا، وإذا كان مباحا فيجوز أن تستعمل الأعضاء فيه بشرط، هذا الشرط إذا كان نفسك تقدر أن تستعمله في المباح، نفسك وزوجتك ومملوكك ...

طبقات جهنم ذكر الله تبارك وتعالى أنها سبع وقلنا لكم في سورة البقرة إن الإنسان فيه هذه العناصر الأربعة: الإنسان فيه الحسد، وفيه الحرص، وفيه الغضب، وفيه الشهوة. الحسد تزوج الحقد والحرص تزوج البخل والغضب تزوج الكبر والشهوة بغي لا تتزوج تكون مع كل واحد. هذه سبعة في الإنسان فلهذا جاءت طبقات النيران سبعا كذلك.

[لو وجدت صحة لفسرت لكم القرآن][2]

أحد". كتاب الرقاق/ باب صفة الجنة والنار.

1 – هذا التقسيم بينه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج10/ ص30

2 – هذه الجملة قالها الشيخ أثناء تفسيره، وكانت صحته لا تسمح بما تجود به نفسه من توسع في تفسير القرآن، مع أن ما حصل من ذلك أكثر مما تستوعبه إمكانات المستمعين والقارئين. المحقق.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ تجري فيها ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ سالمين من كل مخوف ﴿ءَامِنِينَ﴾ من كل فزع ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ حقد ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ لما أراد الله خلود أهل الجنة في الجنة نزع ما في قلوبهم من حقد، من غل. آدم سكن الجنة بطبيعته الأصلية، ما نزع من قلبه الغل فخرج منها، في هذه المرة إذا دخلنا الجنة ينزع الله من كل قلب ما فيه من غل حتى لا يكون غل، فلهذا يمكنهم الخلود في الجنة قال علي: أرجو أن تكون هذه الآية نزلت فينا أنا وعثمان والزبير وعائشة[1]. الزبير يخاطبه الرسول تقاتله وأنت ظالمه[2]، أنه يقاتل عليا وهو يظلمه ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ إذا دخلوا الجنة لا يخرجون منها أبدا لأنه لم يبق في صدورهم غل ﴿نَبِّئْ﴾ يا محمد ﴿عِبَادِيَ أَنِّيَ أَنَا الْغَفُورُ﴾ للمؤمنين ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم ﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ للعصاة ﴿هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾ كلما ذكر وعدا أردفه بوعيد ليكون المؤمن خائفا راجيا أبدا، قال «نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم»، ولكن أكد الرحمة أشد من العذاب حيث وصف نفسه بالمغفرة والرحمة «أنا الغفور الرحيم» وأضاف العذاب إليه «وأن عذابي هو العذاب الأليم» لم يقل أنا المعذب المؤلم كما قال "من خشي الرحمن" كلما ذكر وعدا ذكر وعيدا، ليكون المؤمن يطير بجناحين الخوف والرجاء، هذا في حق العوام، أما في حق الخواص

---

1 – قاله القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ج33/10.

2 – جاء في كنز العمال: عن قتادة قال: لما ولى الزبير يوم الجمل بلغ عليا فقال: لو كان ابن صفية يعلم أنه على الحق ما ولى، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لقيهما في سقيفة بني ساعدة فقال: أتحبه يا زبير؟ قال: وما يمنعني؟ قال: فكيف بك إذا قاتلته وأنت ظالم له؟ قال: فيرون أنه إنما ولى لذلك. كنز العمال/ تتمة وقعة الجمل حديث رقم 31651 (قال وأخرجه البيهقي في الدلائل).

فيبدل خوفهم بالقبض ورجاؤهم بالبسط. الفرق الخوف لما يستقبل والرجاء لما يستقبل، والخواص لا يلتفتون لمستقبل ولا ماض، حكمهم حكم وقتهم، إذا عرى شيء يحملهم على القبض انقبضوا لحكم الوقت، أو انبسطوا لحكم الوقت، وإذا ترقوا إلى مرتبة خواص الخواص يبدل الرجاء والخوف بالأنس والهيبة، يتجلى الحق بالجمال فيتأنسون أو يتجلى بالجلال فتقع فيهم هيبة، وإذا كملوا لا يشاهدون جمالا ولا جلالا بل كمالا مطلقا، الله أكبر ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهم ملائكة اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة، منهم جبريل ليسوا بضيف، ملائكة ولكن إبراهيم ظنهم ضيفا وسماهم ضيفا، وصدق الله قول إبراهيم فسماهم ضيفا إلى آخر الدهر، هذا ضيف إبراهيم المكرمين، وقد ذكروا حديثا مسلسلا للضيافة على الأسودين الماء والتمر بسنده المتصل إلى جعفر الصادق بن محمد الباقر عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه علي كرم الله وجهه، هذه سلسلة الذهب قال: أضافنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأسودين الماء والتمر قال من أضاف مؤمنا واحدا فكأنما أضاف آدم، الإنسان إذا وجد ضيفا وأكرمه يكتب له ثواب من أكرم آدم، ومن أكرم آدم فقد أكرم جميع بنيه، ومن أضاف مؤمنين فكأنما أضاف آدم وحواء، وذكر أن الثلاثة كجبريل وإسرافيل وميكائيل[1] والأربعة كقراءة التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، والخمسة كمن

---

1 – أورد السيوطي في الجامع الكبير من مسند علي حديث الضيافة على الأسودين بسلسلة طويلة إلى علي رضي الله عنه رفعه، وقد اقتصرنا على لفظ الحديث دون ذكر السلسلة: عن علي كرم الله وجهه قال: أضافني رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأسودين التمر والماء، وقال: من أضاف مؤمنا فكأنما أضاف آدم، ومن أضاف اثنين فكأنما أضاف آدم وحواء، ومن أضاف ثلاثة فكأنما أضاف جبريل وميكائيل

صلى الخمس في الجماعة من أول بدء الخلق إلى انتهائه، والستة كعتق ستين رقبة من ولد إسماعيل والسبعة تغلق عنه أبواب جهنم السبعة، والثمانية تفتح له أبواب الجنة الثمانية، والتسعة توجب حسنات كثيرة لا تعد ولا تحصى، والعشرة توجب أجر من صلى وصام وحج إلى يوم القيامة. هذا حديث مسلسل للضيافة ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاَمًا قَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ لما عرض عليهم الطعام فلم يأكلوا خاف منهم ﴿قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ﴾ لا تخف ﴿إِنَّا﴾ رسل ربك ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ﴾ ذي علم كثير هو إسحاق ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ بالولد ﴿عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ مع مسه إياي ﴿فَبِمَ﴾ فبأي شيء ﴿تُبَشِّرُونِ﴾ استفهام تعجب ﴿قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾ الآيسين ﴿قَالَ وَمَنْ يَّقْنَطُ﴾ لا يقنط ﴿مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ الكافرون ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُواْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ كافرين قوم لوط لإهلاكهم ﴿إِلاَّ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لإيمانهم ﴿إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الباقين ﴿فَلَمَّا جَا ءَالَ لُوطٍ﴾ لوط ﴿الْمُرْسَلُونَ قَالَ﴾ لهم ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ لا أعرفكم ﴿قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ﴾ القوم ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يشكون وهو العذاب ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في قولنا ﴿فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ الَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ امش خلفهم ﴿وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ وهو الشام ﴿وَقَضَيْنَا﴾ أوحينا ﴿إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ﴾ وهو ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاَءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ يتم استئصالهم في الصباح ﴿وَجَا

وإسرافيل. الجامع الكبير ج179/2، وأورده المتقي الهندي في كنز العمال/ من مسند علي تحت الرقم 25975.

أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ مدينة سدوم وهم قوم لوط لما أخبروا أن في بيت لوط مردا حسانا وهم الملائكة ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ طمعا في فعل الفاحشة بهم ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿إِنَّ هَؤُلاَءِ ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَلاَ تُخْزُونِ﴾ بقصدكم إياهم لفعل الفاحشة بهم ﴿قَالُواْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ نهيناك عن الضيوف ﴿قَالَ هَؤُلاَءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ما تريدون من قضاء الشهوة فتزوجوهن قال تعالى ﴿لَعَمْرُكَ﴾ يا محمد صلى الله عليك وسلم ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أقسم الجليل تبارك وتعالى بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ما أقسم بحياة مخلوق قط قبل النبي صلى الله عليه وسلم. إن الله تبارك وتعالى أقسم بنفسه في القرآن في عدة مواضع[1] وأقسم في الباقي بأعلى مخلوقاته وأقسم بحياة النبي صلى الله عليه وسلم تكرمة له «لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ» ولِمَ يقسم الجليل تبارك وتعالى؟ يقسم للمؤمنين أو للكافرين؟ الكافرون لا يصدقون على كل حال، والمؤمنون لا يحتاجون لقسمه تبارك وتعالى فهم مصدقون مؤمنون. عادة العرب أنهم يقسمون في كلامهم، والقرآن عربي يأتي على نسق كلام العرب فلهذا جاء فيه القسم، وكما أن الإنسان يقسم بحياة حبيبه يقول له لعمرك، فالله تبارك وتعالى أقسم بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم كما أقسم ببلده "وهذا البلد الأمين" وكما أقسم بعصره "والعصر إن الإنسان لفي خسر" ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ صيحة جبريل ﴿مُشْرِقِينَ﴾ وقت شروق

---

1 - من ذلك قوله تعالى في سورة النساء "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك في ما شجر بينهم" الآية 65، وفي سورة الحجر "فوربك لنسألنهم أجمعين" الآية 93، وفي سورة مريم "فوربك لنحشرنهم والشياطين" الآية 68، وفي سورة الذاريات "فورب السماء والأرض إنه لحق" الآية 23 وفي سورة النحل: "تالله لتسألن عما كنتم تفترون" الآية 56، وفي سورة النحل أيضا "تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك" الآية 63 .

الشمس ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا﴾ قراهم ﴿سَافِلَهَا﴾ بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين طبخ بالنار ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات على وحدانية الله ﴿لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ الناظرين المعتبرين أي أهل الفراسة، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: لقد كان فيما قبلكم محدّثون أي ملهمون يتكلم الملك في قلوبهم، فإن يكن فيكم فعمر بن الخطاب[1] رضي الله عنه، وقال: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)[2] اتقوا فراسة العلماء. الله تبارك وتعالى ينور قلب عبده حتى إذا تفرس تكون فراسته صحيحة. جلس سيدنا عثمان بن عفان وحوله جماعة من الصحابة فقال يوشك أن أرى في عيني أحدكم الزنا قالوا: أوَحْيا بعد رسول الله؟ قال لا، ولكن فراسة المؤمن، وصح ما كان يتفرس[3] ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ لعبرة

---

1 – أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر) زاد زكرياء بن أبي زائدة عن سعد عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم (لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر) قال ابن عباس رضي الله عنهما من نبي ولا محدث. صحيح البخاري: كتاب المناقب/ باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي(3689). ولمسلم عن عائشة كتاب فضائل الصحابة/ باب فضائل عمر (4411).

2 – أخرجه الترمذي في سننه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ: "إن في ذلك لآيات للمتوسمين"). سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ باب من سورة الحجر (3052).

3 – جاء في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن أنس بن مالك دخل عليه وكان قد مر بالسوق فنظر إلى امرأة، فلما نظر إليه قال عثمان: يدخل أحدكم علي وفي عينيه أثر الزنا فقال له أنس: أوحيا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: لا ولكن برهان وفراسة وصدق. قال القرطبي: ومثله كثير عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين. ج10/44.

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ وَإِنْـ﴾ـنهُ ﴿كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ﴾ في غيضة شجر بقرب مدين وهم قوم شعيب ﴿لَظَالِمِينَ﴾ بتكذيبهم شعيبا ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بأن أهلكناهم بشدة الحر ﴿وَإِنَّهُما﴾ أي قرى قوم لوط والأيكة ﴿لَبِإِمَامٍ﴾ طريق ﴿مُبِينٍ﴾ واضح يراها أهل مكة أفلا يعتبرون ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾ واد بين المدينة والشام وهم ثمود ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ بتكذيبهم صالحا لأنه تكذيب لباقي الرسل لاشتراكهم في المجيئ بالتوحيد ﴿وَءَاتَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا﴾ في الناقة ﴿فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ لا يتفكرون، ما تفكروا. العبد لابد له من أن يتفكر، إذا تفكر في آلاء الله لابد أن يؤدي الشكر، يشكر الله تبارك وتعالى، وإذا تفكر في آياته يزداد عبرة وإيمانا، وإذا تفكر في خبث نفسه يفر من النفس ويشتغل بعبادة الله تبارك وتعالى. فلهذا تفكرُ ساعة خير من عبادة سنة[1] ﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ وقت الصباح ﴿فَمَا أَغْنَى﴾ دفع ﴿عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ من بناء الحصون ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ لا محالة فيجازى كل أحد بعمله ﴿فَاصْفَحْ﴾ يا محمد صلى الله عليك وسلم عن قومك ﴿الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ أعرض عنهم إعراضا لا جزع فيه، وهذا منسوخ بآية السيف ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاَّقُ﴾ لكل شيء ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ قال صلى الله عليه وسلم هي الفاتحة[2]، رواه البخاري

---

1 – كشف الخفاء / حرف المثناة الفوقية بلفظ: (تفكر ساعة خير من عبادة سنة) وفي رواية خير من عبادة ستين سنة (1004) وجاء في الجامع الصغير عن أبي هريرة بلفظ: (فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة) رقم 5897.

2 – أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم). صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب قوله ولقد

لأنها تثنى في كل ركعة ﴿وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ وهي القرآن العظيم أيضا ﴿لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الله تبارك وتعالى أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم السبع المثاني هي آيات الفاتحة سميت السبع المثاني لأنها تثنى في كل ركعة، أو لأن ألفاظها مثناة كلا: الرحمن الرحيم، إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم، كلماتها مثناة، أو هي تقرأ في كل صلاة، أو هي تتضمن الثناء على الله تبارك وتعالى، وهي فاتحة الكتاب، وهي القرآن العظيم أيضا، فقال «لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا» حيث أن الله أعطاك هذه التحفة الكبيرة التي هي فاتحة الكتاب فلا تنظر إلى ما وجد أبناء الدنيا من زينة الدنيا، فلهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من أعطاه الله حفظ كتابه فظن أن الله أعطى عبدا أكبر مما أعطاه فقد غلّط أعظم النعم)[1] لهذا أوتي الرسول صلى الله عليه وسلم بمائة ناقة عشارى حمر، كل واحدة منها حامل فلما قربت منه صلى الله عليه وسلم أغمض عينيه وقال ضعوها في الصدقات وفرقوها في الفقراء والمساكين، الله يقول لي: «ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن

آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (4704) قال ابن حجر في فتح الباري عند شرح الحديث (4703): وقد روى الطبري بإسنادين جيدين عن عمر ثم علي قال "السبع المثاني فاتحة الكتاب" زاد عن عمر "تثني في كل ركعة" وبإسناد منقطع عن ابن مسعود مثله، وبإسناد حسن عن ابن عباس أنه قرأ الفاتحة ثم قال "ولقد آتيناك سبعا من المثاني" قال: هي فاتحة الكتاب وبسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة.

1 – أخرج السيوطي في الجامع الصغير (من أعطاه الله حفظ كتابه فظن أن أحدا أعطي أفضل مما أعطي فقد غلّط أعظم النعم) 8481 وفي كنز العمال بلفظ: فقد غمط أفضل النعمة. كنز العمال: الباب السابع في تلاوة القرآن وفضائله/ الفصل الأول في فضائله رقم 2317.

عينيك إلى ما متعنا به أزواجا» وهذا أحسن ما أعطي العرب فزهد فيه. صدق هذا هو العطاء الباقي، يقرب إلى الله تبارك وتعالى. لا يعطيه الله إلا من أحبه. والدنيا متاع الغرور، الله يسوقها إلى كل نمرود وفرعون وفاسق وكافر لا يبالي، لأنها لا تزن عنده جناح بعوضة، لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء[1]، لما لم تساو جناح بعوضة ساقها إلى كل عدو له وحرمها أحبابه، تجد كافرا فاسقا يملك دورا وعقارا كثيرة، وتجد عالما تقيا ورعا يسكن بيتا بالكراء. الدنيا ليست لها قيمة عند الله تبارك وتعالى، أبناء الدنيا جعلوا القيمة في المال والجاه، ذلك مبلغ علمهم، من توفرت عنده الأموال والرياسة يقولون هذا هو الذي أعطاه الله تبارك وتعالى، هو الذي رفعه الله، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم[2]. التفاوت هنالك، أما الدنيا فمتاع الغرور. وإذا تأملت في حقيقة الدنيا تجد حال الغني وحال الفقير سواء أو متقاربا، الإنسان ولو بلغ ما بلغ من الغنى لا يزيد على

---

1 - أخرج الحاكم في المستدرك عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي الحليفة فرأى شاة شائلة برجلها فقال: (أترون هذه الشاة هينة على صاحبها) قالوا :نعم، قال: (والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء). المستدرك: كتاب الرقاق/ باب نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ (7919) قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ومثله في سنن الترمذي : كتاب الزهد/ باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل (2242) وابن ماجه: كتاب الزهد/ باب مثل الدنيا (4100) كلاهما عن سهل.

2 - أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم). صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب/ باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره (4651).

لقمة يأكلها ولباس يستر به سوأته ويتنفس في الهواء فقط. إذا ملكت الدنيا بحذافيرها لا تجد منها غير هذا. الإنسان إذا كان فقيرا ليس عنده شيء كل يوم يأكل ويشرب ويلبس ويتنفس في الهواء، أي فرق؟ إن كان فرق فخفيف لا يساوي محاربة الله تبارك وتعالى، والله يقول للعبد خلقتك لأن تعبدني فلا تلعب، وفرغت من رزقك فلا تتعب، إن رضيتَ بما قسمت لك أعطيتك راحة القلب والجنة، وإن لم ترض بما قسمت لك فلسوف أسلط عليك الدنيا تركض مشرقا ومغربا كالوحوش في جميع البراري تدور ولا تزيد على ما قسمت لك شيئا[1] ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ألن جنابك للمؤمنين ﴿وَقُلْ إِنِّيَ أَنَا النَّذِيرُ﴾ من عذاب الله ﴿الْمُبِينُ كَمَا أَنزَلْنَا﴾ العذاب ﴿عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ اليهود والنصارى ﴿الَّذِينَ جَعَلُواْ الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ أي كتبهم المنزلة عليهم، عضين أجزاء حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض، وقيل المراد به الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الإسلام، قال بعضهم في القرآن سحر، وبعضهم كهانة، وبعضهم شعر، "المقتسمين" اليهود أو كفار مكة أو هم جميعا. كفار مكة لما قرب الحج وعلموا أن القبائل كلا سترد إلى مكة اجتمعوا وقالوا ننظر ماذا نقول للوافدين علينا، لابد أن يسألونا عن أمر محمد، وإلا إذا غفلنا سيتابعون محمدا على ما هو فيه، فقالوا: نقول

---

1 – جاء في كتاب معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقول الله عز وجل للدنيا: يا دنيا اخدمي من خدمني وأتعبي يا دنيا من خدمك) معرفة علوم الحديث/ باب ذكر النوع الخامس والعشرين من علم الحديث. وقد أورده السيوطي في اللآلئ المصنوعة عن ابن مسعود كذلك لكن بلفظ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقول الله تبارك وتعالى للدنيا: مرّي على أوليائي وأحبائي لا تحلولي لهم فتفتنيهم وأكرمي من خدمني وأتعبي من خدمك). اللآلئ المصنوعة ج2/ كتاب الأدب والزهد.

سحر، وقال بعضهم: نقول كهانة، وقال بعضهم نقول شعر، وقال بعضهم نقول إنه مجنون وهذا الذي به جنون، قالوا نعم، إذاً نقتسم الطرق الموصلة إلى مكة، كل طريق نضع فيها جماعة إذا مر بهم قافلة يخبروهم أن محمدا ساحر أو أن محمدا كاهن أو أن محمدا شاعر أو أن محمدا مجنون. فاقتسموا طرق مكة ليصدوا الناس عن سبيل الله ﴿فَوَرَبِّكَ لَنسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أقسم الجليل أنه سيسألهم يوم القيامة سؤال توبيخ ﴿عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ فَاصْدَعْ﴾ يا محمد ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أي اجهر به وامض ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ هذا قبل الأمر بالجهاد ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ بك. كان خمسة من كفار مكة يستهزئون بالرسول صلى الله عليه وسلم هم الذين شددوا الإذاية على النبي صلى الله عليه وسلم وسبوه بالشعر والنثر وبكل ما أوتوا من قوة في البلاغة، تكلموا في الرسول صلى الله عليه وسلم: الوليد بن المغيرة ، العاص بن وائل، عدي بن قيس، الأسود بن المطلب، الحرث بن قيس هؤلاء آذوا النبي صلى الله عليه وسلم وشددوا الإذاية عليه فأهلكهم الله تبارك وتعالى جميعا كلهم رماه الله بداء لا دواء له حتى مات[1] فقال الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من الاستهزاء ﴿فَسَبِّحْ﴾ متلبسا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ قل سبحان الله وبحمده ﴿وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ المصلين ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ الموت اليقين هنا الموت، ليس كما يقول بعض الصوفية الذين لا قدم لهم في الشريعة أن الإنسان يعبد ربه حتى يجد اليقين ويترك العبادة، العبادة لا تسقط أبدا إلا بالموت، اليقين هنا الموت ليس المشاهدة فقط.

---

1 – راجع أمر المستهزئين في سيرة ابن هشام نقلا عن محمد بن إسحاق. ج50/2.

سورة النحل

مكية إلا "وإن عاقبتم" إلى آخرها مائة وثمان وعشرون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ نزلت "اقتربت الساعة وانشق القمر" فقال الكفار نكفُّ بعض الشيء لأن محمدا يخبرنا أن الساعة قد قربت فصبروا زمانا ولم يروا شيئا، قالوا له ما رأينا شيئا فنزل "اقترب للناس حسابهم" فقالوا: نكف أيضا فنزل «أتى أمر الله» وثب النبي صلى الله عليه وسلم ووثب المسلمون يظنون أن القيامة قد قامت[1]. «أَتَى أَمْرُ اللَّهِ» الساعة، قرب ﴿فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ لا تطلبوه قبل حينه فإنه واقع لا محالة ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ هذا ليس فيه أن المسلمين استعجلوا الساعة "يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها" هكذا قال في سورة الشورى، هم لا يستعجلونه لأنهم يخافونه، إنما يستعجله الكفار استهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأتى أمر الله دليل على قرب الساعة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول (بعثت أنا والساعة كهاتين)[2] التفاوت بين نبوة النبي صلى الله عليه وسلم والساعة هكذا يسبق أحدهما

---

1 - الصاوي ج304/2، القرطبي ج66/10.

2 - متفق عليه عن أنس. صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب قول النبي بعثت أنا والساعة كهاتين (6504)، وفي صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب قرب الساعة (5245).

الآخر بيسير، وقال (وما مثلي ومثل الساعة إلا كفرسي رهان)[1] وهذا دليل على أن التشبيه في البداية لا في الغاية. فرسا الرهان ينطلقان في البداية وأخيرا لابد أن يسبق أحدهما الآخر. انتظار الساعة ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم هما هكذا كفرسي رهان، وفي الغاية لابد أن نعرف السابق منهما. عرفنا أن السابق هو محمد صلى الله عليه وسلم والساعة تتلوه ليس في الغاية، الغاية حقيقة لا يعلم وقتها إلا الله تبارك وتعالى ولكن لما كانا فرسي رهان والنبي صلى الله عليه وسلم بعث وهو آخر الأنبياء علمنا أن الساعة قد قربت كما يقول (أنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي)[2] «أتى أمر الله» عبر بالماضي يقول المفسرون لتحقيق وقوعه أو عبر بالماضي لأن أمر الحضرة كله ماض «فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» ليس له شريك ﴿يُنَزِّلُ الْمَلاَئِكَةَ﴾ جبريل ﴿بِالرُّوحِ﴾ الوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وهم الأنبياء ﴿أَنْ أَنذِرُواْ﴾ خوفوا الكافرين بالعذاب واعلموا ﴿أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ﴾ خافون. دعاهم إلى التوحيد والتوحيد على ثلاث مراتب: توحيد العامة لا إله إلا هو، توحيد الخاصة لا إله إلا أنت، توحيد خاصة الخاصة لا إله إلا أنا، لأن هذا ليس بموحد إنما سمع التوحيد من الحق

---

1 – ذكره ابن حجر في الفتح عند شرح الحديث رقم 6503: (بعثت أنا والساعة كهاتين) قال: وفي رواية أبي ضمرة عن أبي حازم عند ابن جرير (وضم بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام وقال: وما مثلي ومثل الساعة إلا كفرسي رهان). فتح الباري: كتاب الرقاق/ باب بعثت أنا والساعة كهاتين.

2 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي. صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قول الله "واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها (3442)، وفي صحيح مسلم: كتاب الفضائل/ باب فضائل عيسى (4360).

تبارك وتعالى لا إله إلا أنا، لا إله إلا الله، والله ليس بمستغرب عليه أن يُفنِي عبده في نفسه حتى ينعدم العبد ويبقي الله يقول أنا الله لا إله إلا أنا. موسى عليه الصلاة والسلام رأى شجرة تتقد نارا فأتاها، قالت الشجرة "إني أنا الله" ليست الشجرة هي الله، نطق الحق بلسان الشجرة أنه هو الله، إن كان الله قادرا على أن ينطق بلسان الشجرة أنه الله فلا يستغرب أن ينطق بلسان آدمي أنه الله. ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أول ما عرف به نفسه أنه خالق السماوات والأرض لأن الكفار لا ينازعون في هذا ﴿تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ليس له شريك حيث أنه هو الخالق وغيره ليس بخالق، الخالق وغير الخالق لا يمكن المساواة بينهما ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ مني إلى أن صيره قويا شديدا هذه الآية نزلت في أبي بن خلف[1]. أُبَيّ نبش قبرا واستخرج عظاما رميمة وأتى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وفتها على وجهه الكريم و قال "من يحيي العظام وهي رميم" أنت تقول إن ربك يحيي هذا حتى يصير إنسانا؟ فكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم. وأُبَيّ هذا لم يزل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بمقالات حتى طعنه النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد طعنته التي مات بها[2]. لما قال أُبي من يقدر على إحياء هذا؟ ذكر الله تبارك وتعالى أنه هو الذي خلق أُبيا من نطفة حتى صيره قويا شديدا ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شديد الخصومة مع الله تبارك وتعالى ﴿مُبِينٌ﴾ ينفي البعث ﴿وَالأَنْعَامَ﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ خلقها لبني آدم ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ ما تستدفئون به من الأكسية والأردية من أشعارها، شعر الحيوانات نجد فيه أكسية وأردية وفي أصوافها خياما

---

1 - الصاوي ج305/2.

2 - راجع مقتل أُبي بن خلف في سيرة ابن هشام ج89/3.

كذلك ﴿وَمَنَافِعُ﴾ من النسل والدر والركوب ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ زينة ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ تردونها إلى مراحها بالعشي ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ تخرجونها إلى المرعى بالغداة. قدم الرد قبل الإخراج، والإخراج مقدم. الحيوان يخرج صباحا إلى الفلاة ومساء يرد إلى المراح إلا أن رجوع الحيوان عشية أجمل من وقت خروجه صباحا، فالحيوانات تخرج صباحا وهي جائعة وترجع مساء وهي جميلة، لَم ذكر الحالتين؟ لأن الجمال الذي ذكر الله لا يقع للعبد في حيوانه إلا في الحالتين، أما إذا كان في الفلاة فلا يراه أحد ولا يُعرف مالكه ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ أحمالكم ﴿إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ﴾ واصلين إليه على غير الإبل ﴿إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ بكم حيث خلقها لكم. والرسول صلى الله عليه وسلم كان عنده نوق، كان عنده القصواء هي ناقته التي هاجر بها من مكة إلى المدينة وناقته العضباء، والجدعاء وهذه أسماء، ليست صفات، إنما سميت بذلك فقط[1]. والرسول

1 – جاء في صحيح البخاري: عن حميد قال سمعت أنسا رضي الله عنه يقول كانت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم يقال لها العضباء. كتاب الجهاد والسير/ باب ناقة النبي (2871) وجاء في فتح البارى شرح الحديث 2872: والعضباء بفتح المهملة وسكون المعجمة بعدها موحدة ومد هي المقطوعة الأذن أو المشقوقة وقال ابن فارس: كان ذلك لقبا لها لقوله "تسمى العضباء" ولقوله "يقال لها العضباء" ولو كانت تلك صفتها لم يحتج لذلك. واختلف هل العضباء هي القصواء أو غيرها، فجزم الحربي بالأول وقال: تسمى العضباء والقصواء والجدعاء، وروى ذلك ابن سعد عن الواقدي. وقال غيره بالثاني وقال: الجدعاء كانت شهباء وكان لا يحمله عند نزول الوحي غيرها، وذكر له عدة نوق غير هذه تتبعها من اعتنى بجمع السيرة. انتهى من فتح الباري. وجاء ذكر الجدعاء في صحيح البخاري: كتاب المغازي/ باب غزوة رعل وذكوان وبئر معونة (4093) وفي سنن النسائي: كتاب مناسك الحج/ باب الخطبة قبل التروية 2943

صلى الله عليه وسلم كان يملك من الغنم مائة شاة[1] ولم يملك البقر ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ خلق لكم الخيل وخلق لكم البغال والحمير لتركبوها وزينة. الخيل مراكب أولي العزم من الرسل، والحمير والإبل مراكب محمد صلى الله عليه وسلم وصالح وهود وإبراهيم، ركبوا كلهم الإبل، والحمير مراكب عزير وعيسى عليه الصلاة والسلام. كما كان له صلى الله عليه وسلم ستة من الخيل منها الظرب والمرتجز وسكب[2] وكان له بغلة يقال لها دلدل وحماران يعفور وعُفير[3] كان يرسلهما إلى دور الصحابة إذا أراد واحدا من الصحابة يرسل يعفورا يأتي لباب أحدهم ويدق الباب فيعلم الصحابي أن الرسول صلى الله عليه وسلم يطلبه[4]. العضباء تحشر عليها فاطمة سيدة نساء العالمين، ويعفور هو الذي أسقط نفسه في البئر لما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم. لما أمر الله إبراهيم ببناء الكعبة

---

1 – قال في روح البيان: كان له صلى الله عليه وسلم مائة من الغنم وسبعة أعنز كانت ترعاها أم أيمن رضي الله عنها. ج5/ص9.

2 – منها المرتجز واللحيف والظرب وسكب واللزاز وقد ورد ذكرها في الأحاديث.

3 – ذكرهما البيهقي في السنن الكبرى: كتاب السبق والرمي/ باب ما جاء في تسمية البهائم والدواب (20232، 20233).

4 – جاء في فتح الباري لابن حجر قوله نقلا عن الدمياطي: عفير أهداه له المقوقس، ويعفور أهداه فروة بن عمرو وقيل بالعكس قال الواقدي : نفق يعفور منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع، وبه جزم النووي عن ابن الصلاح وقيل طرح نفسه في بئر يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع ذلك في حديث طويل ذكره ابن حبان في ترجمة محمد بن مرثد في الضعفاء، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم غنمه من خيبر وأنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له أنه كان ليهودي وأنه خرج من جده ستون حمارا لركوب الأنبياء فقال: ولم يبق منهم غيري وأنت خاتم الأنبياء فسماه يعفورا وكان يركبه في حاجته ويرسله إلى الرجل فيقرع بابه برأسه فيعرف أنه أرسل إليه. شرح الحديث رقم 2856 من صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير/ باب اسم الفرس والحمار.

طلب من ولده إسماعيل أن يعينه فأعانه، ولما فرغا من بناء الكعبة قال له إبراهيم اخرج إلى الفلاة ستجد جزاء عملك، ما أتحفك الله تبارك وتعالى به لخدمتك. فخرج ورأى الخيل كانت وحشا فدعاها فانقادت له فلهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: اركبوا الخيل فإنها ميراث أبيكم إسماعيل[1] ﴿وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ من الأشياء العجيبة الغريبة الله تبارك وتعالى يخلق ما لا تعلمون، ذكر الخيل وذكر البغال وذكر الحمير وهي مراكب، وذكر أنه يخلق ما لا تعلمون، في هذا تدخل السفن في البحر والبر والهواء، كل هذا داخل في قوله "ويخلق ما لا تعلمون" "ما فرطنا في الكتاب من شيء" "ويخلق ما لا تعلمون" لهذا الرسول صلى الله عليه وسلم استكفى عن الخلافة. لم يستخلف أحدا على أمته عند وفاته لأنه علم أن في أمته من يأخذ العلم من الله بلا واسطة، فلهذا قال: (الله خليفتي على كل مسلم)[2] فالولي يتلقى العلم من الله تبارك وتعالى بلا واسطة كما تلقاه الملك الذي أنزل على الرسول وكما تلقاه الرسول، ولكنه غير مستقل يكون تابعا فليس للولي أن يأتي بحكم جديد إنما يكون تابعا للنبي قبله، ولكنه يأخذ من المعدن الذي أخذ منه النبي ومن المعدن الذي أخذ منه الملك الذي أنزل على النبي، ولما علم

---

1 - راجع الجامع لأحكام القرآن (القرطبي) ج122/2.

2 - أخرج مسلم في الصحيح عن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال: ما شأنكم؟ قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال: (غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم ..) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب ذكر الدجال وصفته وما معه (5228). وفي سنن الترمذي: كتاب الفتن/ باب ما جاء في فتنة الدجال (2166).

الرسول أن في أمته هذا استغنى عن الخلافة فقال: (الله خليفتي على كل مسلم) لولا أنه علم أن منا من يأخذ من الله بلا واسطة لما قال الله خليفتي على كل مسلم "ويخلق ما لا تعلمون" بعد فناء وجود العبد وبقاء الحق تبارك وتعالى من علوم ومشاهدات وأسرار لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى، "ويخلق ما لا تعلمون" "بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه" هذان الميمان يسعان كل شيء[1] ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ حائد عن الاستقامة ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ هدايتكم ﴿لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ تشربونه ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ ينبت بسببه ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ ترعون دوابكم ﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً﴾ دالة على وحدانيته ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون ﴿وَ﴾ سخر لكم ﴿مَا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿لَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ من الحيوان والنبات وغير ذلك ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ كأحمر وأصفر وأخضر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ ذلّله لركوبه والغوص فيه ﴿لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي اللؤلؤ والمرجان. السمك سماه الله تبارك وتعالى لحما لتعلم أنه غير محتاج إلى الذبح، (الطهور ماؤه الحل ميتته)[2]، فلهذا حل

---

1 – يقصد بقوله "الميمين" الاسمين الموصولين في الآيتين: "ويخلق ما لا تعلمون"، و"بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه".

2 – أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضأنا به عطشنا أفنتوضأ من ماء البحر؟ فقال رسول الله

سواء كان حيا أو ميتا ووصفه بـــ"طريا" لتعلم أن أكل اللحم الطري أفضل من أكل اللحم اليابس، السمك اليابس ربما يورث داء قال صلى الله عليه وسلم: كلوا السمك فإنه يذهب بالحسد[1] «وتستخرجوا منه حلية تلبسونها» لهذا اختلف مالك والشافعي: الحلية التي تلبس اللؤلؤ والمرجان، فلهذا أباحها الشافعي للرجال لأن الله منّ علينا بها، والله لا يمن علينا بشيء حرام، وقال مالك إن لبس النساء يتمتع به الرجال كأنه لبسهم، فلهذا منّ الله على الرجال والمراد النساء ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ﴾ السفن ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ تمخر الماء أي تشقه بريح واحدة ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ﴾ بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ جبالا ثوابت ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَ﴾ جعل فيها ﴿أَنْهَارًا﴾ كالنيل ﴿وَسُبُلاً﴾ طرقا ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدكم ﴿وَعَلامَاتٍ﴾ تستدلون بها على الطرق كالجبال بالنهار ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى الطرق والقبلة بالليل ﴿أَفَمَنْ يَّخْلُقُ﴾ وهو الله ﴿كَمَن لاَّ يَخْلُقُ﴾ وهو الأصنام حيث تشركونها معه في العبادة ﴿أَفَلاَ تَذَّكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ لا تضبطوها فضلا عن أن تطيقوا شكرها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث ينعم عليكم مع تقصيركم وعصيانكم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ وهم الأصنام ﴿لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يصورون من الحجارة وغيرها ﴿أَمْوَاتٌ﴾ لا روح فيهم ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ تأكيد ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي الأصنام ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ إِلَهُكُمْ﴾ المستحق للعبادة ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ لا نظير له في ذاته ولا في صفاته وهو الله ﴿فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ

صلى الله عليه وسلم (هو الطهور ماؤه الحل ميتته). سنن الترمذي: كتاب الطهارة/ باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور (64). وفي سنن النسائي: كتاب الطهارة/ باب ماء البحر (59).

1 – روح البيان نقلا عن بحر العلوم ج5/ص19

بالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ جاحدة للوحدانية ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ لاَ جَرَمَ﴾ حقا ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ بل يعاقبهم، المستكبرون هم الكفار، الكبر والتكبر والاستكبار، المتكبر من يرى نفسه كبيرا على غيره بحق أو بكذب، أما الكبر فربما كان بحق وبغير حق، وأما الاستكبار فالتكبر بشيء كذب، الاستكبار لا يكون حقا، لما كان الكبر ربما كان بحق أو بغير حق، الكبر على المتكبر صدقة[1]، هذا الكبر حق، أما الاستكبار فلا يكون إلا باطلا فلهذا ذكر أنه لا يحب المستكبرين. والكبر من يرى نفسه أعظم من غيره، من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله[2]، الله يحشر المتكبرين يوم القيامة أمثال الذر تطؤهم الناس بأقدامهم جزاء لكبرهم[3] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ على محمد ﴿قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ لِيَحْمِلُواْ﴾ في عاقبة الأمر ﴿أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لأنهم دعوهم إلى الضلال ﴿أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ حملهم ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ نمرود بن كنعان بنى صرحا طويلا ليصعد منه إلى السماء ليقاتل أهل السماء ﴿فَأَتَى اللَّهُ﴾ قصد ﴿بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾ الأساس، فأرسل عليهم الريح والزلزلة فهدمته ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ وهم تحته

---

1 – أورد المناوي في شرحه للحديث: "طوبى لمن تواضع في غير منقصة" قال: وفي الأثر: "الكبر على المتكبر صدقة". فيض القدير /ج4/حرف الطاء (5299).

2 – أخرج ابن ماجه في سننه عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من يتواضع لله سبحانه درجة يرفعه الله به درجة ومن يتكبر على الله درجة يضعه الله به درجة حتى يجعله في أسفل السافلين). سنن ابن ماجه: كتاب الزهد/ باب البراءة من الكبر والتواضع (4166)

3 – جاء في مجمع الزوائد للهيثمي: وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يبعث الله يوم القيامة ناسا في صور الذر يطؤهم الناس بأقدامهم، فيقال: ما هؤلاء في صور الذر؟ فيقال: هؤلاء المتكبرون في الدنيا). رواه البزار. مجمع الزوائد: كتاب البعث/ باب كيف يحشر الناس (72381).

﴿وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ تكبر نمرود حتى ادعى الألوهية ونفى وجوب العبادة لله تبارك وتعالى وأوجبها لنفسه، فأهلكه الله ببعوضة أصغر خلقه، سلط عليه بعوضة دخلت في أذنه أربعين يوما فمات بسببها[1]، وعذب إبراهيم بالنيران فجعلها الله بردا وسلاما، هو مع تكبره بقي في كدر وإبراهيم الخليل بقي في صفو «وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ» لا يخطر ببالهم ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ يذلهم ﴿وَيَقُولُ﴾ لهم على لسان الملائكة توبيخا ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ﴾ تخالفون المؤمنين ﴿فِيهِمْ﴾ في شأنهم ﴿قَالَ﴾ يقول ﴿الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ﴾ من الأنبياء والمؤمنين ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يقولونه شماتة بهم ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ﴾ انقادوا واستسلموا عند الموت ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ شرك فتقول الملائكة ﴿بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم ويقال لهم ﴿فَادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ بالإيمان ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ حياة طيبة ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ﴾ الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا وما فيها فالحياة الطيبة في الدنيا هي القناعة، والجنة هي الدار التي فيها النعيم الحقيقي ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من الكفر ﴿يَقُولُونَ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ﴾ ويقال لهم في الآخرة ﴿ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ينتظر الكفار ﴿إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلاَئِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾

---

1 – ابن كثير ج567/2.

العذاب أو القيامة ﴿كَذَلِكَ﴾ كما فعل هؤلاء ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم كذبوا برسلهم ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ جزاؤها ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ العذاب ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ من أهل مكة ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلاَ ءَابَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾ من البحائر والسوائب، قالوا هذا وهو حق فبنوا عليه كذبا، فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راض به. يظنون أن الله إذا شاء شيئا رضي به، والله تبارك وتعالى لا يكون إلا ما شاء ولكن لا يرضى لعباده الكفر ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كذبوا رسلهم ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ الإبلاغ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً﴾ كما بعثناك في هؤلاء ﴿أَنُ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ الأوثان ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ﴾ فآمن ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ﴾ وجبت ﴿عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ﴾ في علم الله فلم يؤمن ﴿فَسِيرُواْ﴾ يا كفار مكة ﴿فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ رسلهم من الهلاك ﴿إِن تَحْرِصْ﴾ يا محمد ﴿عَلَى هُدَاهُمْ﴾ وقد أضلهم الله لا تقدر على ذلك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُهْدَى مَنْ يُضِلُّ﴾ من أراد الله إضلاله لا يقدر أحد أن يهديه ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ مانعين من عذاب الله ﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ غاية اجتهادهم ﴿لاَ يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَّمُوتُ﴾ قال تعالى ﴿بَلَى﴾ يبعثهم ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدران مؤكدان ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أهل مكة ﴿لاَ يَعْلَمُونَ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من أمر الدين ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَاذِبِينَ﴾ في إنكار البعث ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ أردنا إيجاده ﴿أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ فهو يكون ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللَّهِ﴾ لإقامة دينه ﴿مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ بالأذى من أهل مكة وهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ ننزلنهم ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ دارا ﴿حَسَنَةً﴾ هي المدينة ﴿وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ﴾ الجنة ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ الَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فيرزقهم الله من حيث لا يحتسبون ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً يُوحَى إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أرسلناهم بالحجج الواضحة ﴿وَالزُّبُرِ﴾ الكتب ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ فيه من الحلال والحرام ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ﴾ المكرات ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه[1] ﴿أَنْ يَّخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ﴾ كقارون ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ من جهة لا تخطر ببالهم، وقد أهلكوا ببدر ولم يكونوا يقدرون ذلك، ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ في أسفارهم بالتجارة ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين العذاب ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ﴾ يهلكهم ﴿عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ تنقص ينقصهم شيئا فشيئا حتى يهلك الجميع ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث لم يعاجلهم بالعقوبة ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ له ظل كشجر وجبل ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ عن جانبيهما أول النهار وآخره ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ خاضعين لما يراد منهم ﴿وَهُمْ﴾ الظلال ﴿دَاخِرُونَ﴾ صاغرون ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ

---

1 - كما في قوله تعالى في سورة الأنفال "وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك...الآية" قوله "ليثبتوك" أي ليوثقوك ويحبسوك إشارة إلى رأي أبي البختري، "أو يقتلوك" مجتمعين قتلة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل إشارة إلى رأي أبي جهل "أو يخرجوك" من مكة وهو رأي هشام بن عمرو. الصاوي على الجلالين ج124/2.

مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ﴾ نسمة تدب عليها ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ﴾ خصهم بالذكر تفضيلا ﴿وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون عن عبادته ﴿يَخَافُونَ﴾ أي الملائكة ﴿رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ عاليا عليهم بالقهر ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ به ﴿وَقَالَ اللّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلَهيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أتى به لإثبات الألوهية والوحدانية ﴿فَإيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ خافوني دون غيري ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿وَلَهُ الدِّينُ﴾ الطاعة ﴿وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللّهِ تَتَّقُونَ﴾ وهو الله ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ﴾ لا يأتي بها غيره ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ﴾ أصابكم ﴿الضُّرُّ﴾ الفقر والمرض ﴿فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون غيره ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُواْ بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ من النعمة ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ باجتماعكم على عبادة الأصنام ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ذلك ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ المشركون ﴿لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ﴾ أنها لا تضر ولا تنفع ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الحرث والأنعام بقولهم هذا لله وهذا لشركائنا ﴿تَاللّهِ لَتُسْأَلُنَّ﴾ سؤال توبيخ ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ من أنه أمركم بذلك ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ الْبَنَاتِ﴾ بقولهم الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له عما زعموا ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي البنون ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى﴾ تُولد له ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ متغيرا تغير مغتم ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ممتلئ غما فكيف تنسب البنات إلى الله تبارك وتعالى وهم لا يحبونهن؟ ﴿يَتَوَارَى﴾ يختفي ﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾ من قومه ﴿مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ خوفا من التعيير مترددا فيما يفعل به ﴿أَيُمْسِكُهُ﴾ يتركه بلا قتل ﴿عَلَى هُونٍ﴾ هوان ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ بأن يئده ﴿أَلاَ سَاءَ﴾ بيس

﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (من يلي من هذه البنات شيئا فأحسن إليهن كن له سترا من النار)[1]. ﴿لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ الكفار ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ الصفة السوأى هي القبيحة، وهي وأدهم للبنات مع احتياجهم إليهن للنكاح ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ الصفة العليا وهي أنه لا إله إلا هو ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾ بالمعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ على الأرض ﴿مِن دَابَّةٍ﴾ نسمة ﴿وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَا أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليه ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لأنفسهم من البنات والشريك. الإنسان لا يحب البنات ولا يحب الشريك في الرياسة وإهانة الرسل وهذا يفعلونه لله تبارك وتعالى ﴿وَتَصِفُ﴾ تقول ﴿أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾ الجنة ﴿لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ متجاوزون الحد ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ رسلا ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ السيئة فرأوها حسنة فكذبوا الرسل ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ متولي أمورهم ﴿الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الآخرة ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ما أنزلنا القرآن إلا ليبينه الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ من أمر الدين ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وقد

---

1 – جاء في صحيح البخاري عن الزهري قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر أن عروة بن الزبير أخبره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته قالت: جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة فأعطيتها، فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال: (من يلي من هذه البنات شيئا فأحسن إليهن كن له سترا من النار) صحيح البخاري: كتاب الأدب/ باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (5995)، وفي صحيح مسلم: كتاب البر و الصلة والآداب/ باب فضل الإحسان إلى البنات(4763).

فعل صلى الله عليه وسلم، وقد أعطي جوامع الكلم بحيث نطق بكلمات لا يمكن للإنسان أن ينطق بها كقوله: (المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى في ذمتهم أدناهم)[1]. وقوله: (أسلِم تسلَم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين)[2] ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ دالة على البعث ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ اعتبارا ﴿نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ الأنعام ﴿مِن بَيْنِ فَرْثٍ﴾ ثقل الكرش ﴿وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ لا يشوبه شيء من الفرث والدم ﴿سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾ سهل المرور في حُلُقهم لا يُغص به ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ذكروا أن الحسن بن علي شكا عنده رجل البلادة فقال له: ألك زوجة؟ قال: نعم، قال له: تعطيك شيئا من مهرها عن طيب نفس تشتري به لبنا وعسلا واخلطه بماء المطر واشربه تكن فاهما، ففعل ذلك فصار آية في الفهم، فقال الحسن

---

1 – طرف من حديث أخرجه أبو داود في سننه ولفظه: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المسلمون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم ويجير عليهم أقصاهم وهم يد على من سواهم يرد مشدهم على مضعفهم ومتسريهم على قاعدهم لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده). سنن أبي داود :كتاب الجهاد/ باب السرية ترد على أهل العسكر (2371)، وفي سنن ابن ماجه: كتاب الديات/ باب المسلمون تتكافأ دماؤهم (2673).

2 – من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل كما في صحيح البخاري: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون" صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن /باب يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم (4553)، وفي صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير/ باب كتاب النبي إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام (3322).

البصري: أخذها من كتاب الله تبارك وتعالى، الله ذكر في المهر "فكلوه هنيئا مريئا" وذكر في العسل أنه شفاء، وذكر في ماء المطر ماء مباركا، وذكر في اللبن "خالصا سائغا للشاربين" قال: إذا اجتمع هذا لابد أن يؤثر[1]، ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ﴾ بيوتا ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ يبنون لك ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي﴾ ادخلي ﴿سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً﴾ جمع ذلول أي مسخرة لك ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ هو العسل ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ من الأوجاع كما دل عليه التنكير، جاء رجل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له: أخي استطلق بطنه، قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: اسقه عسلا، فسقاه فقال: سقيته و لم يزدد إلا استطلاقا، قال: اسقه عسلا، فسقاه قال: سقيته و لم يزدد إلا استطلاقا، قال: اسقه العسل صدق الله وكذب بطن أخيك، فسقاه فبرئ كأنما نشط من عقال[2] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَاللَّهُ

---

1 - قال ابن حجر في شرحه للحديث 5716 من صحيح البخاري: كتاب الطب/ باب دواء المبطون: وأثر عن علي " إذا اشتكى أحدكم فليستوهب من امرأته من صداقها فليشتر به عسلا، ثم يأخذ ماء السماء فيجمع هنيئا مريئا شفاء مباركا " أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير بسند حسن. كما أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال من طريق عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم. كنز العمال: كتاب الطب/ ذيل في الأدوية (28492).

2 - أخرجه الشيخان واللفظ هنا لمسلم عن أبي سعيد الخدري قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اسقه عسلا، فسقاه ثم جاءه فقال: إني سقيته عسلا فلم يزده إلا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال: اسقه عسلا فقال: لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرأ. صحيح مسلم: كتاب السلام/ باب التداوي بسقي العسل (4107) وفي صحيح البخاري برواية إن أخي يشتكي بطنه : كتاب الطب/ باب الدواء بالعسل (5684)

خَلَقَكُمْ﴾ ولم تكونوا شيئا ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ أخسه من الهرم والخرف ﴿لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة[1] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بتدبير خلقه ﴿قَدِيرٌ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ فمنكم غني وفقير ومالك ومملوك ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ بجاعلي ما رزقناهم من الأموال وغيرها شركة بينهم ﴿فَهُمْ﴾ أي المماليك والموالي ﴿فِيهِ سَوَاءٌ﴾ على الرزق ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ يكفرون حيث يجعلون له شركاء ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ خلق لكم أزاوجا من أنفسكم حيث خلق حواء من ضلع آدم، أما سائر النساء فمن نطف الرجال والنساء ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ جعل لكم أولادا وأولاد أولاد ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ إن الله تبارك وتعالى وكل على الرحم ملكا يقول: أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة، لا يمكن أن يقع الجماع إلا إذا استجيب دعوة الملك، إذا استجيب دعوة الملك يحسن الله الزوجين كل في عين الآخر ثم تقع المقارنة، فإذا وقع الجماع يقع المني على كف الملك، فيقول: يا رب أتخلق منه خلقا أم لا تخلق منه خلقا؟ أخلق منه خلقا، ذكرا أم أنثى؟ غنيا أم فقيرا؟ طويل العمر أو قصير العمر؟ شقيا أم

---

1 - جاء في المستدرك: عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا، وذلك قوله عز وجل: "ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا "، قال: إلا الذين قرأوا القرآن. قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. المستدرك: كتاب التفسير /سورة التين/ باب من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر (4000).

سعيدا؟ فيختم هذه الأربعة قبل أن يقع في رحم أمه[1]، الرجل له خصيتان وفرج المرأة له مدخلان بمنزلة الخصيتين فإذا نزل المني من خصية الرجل اليمنى ودخل في المدخل الأيمن يأتي الولد ذكرا تام الذكورة، فإذا خرج المني من الخصية اليسرى ودخل في المدخل الأيسر تأتي البنت بنتا امرأة كاملة الأنوثة، فإذا خرج المني من يسار الرجل ودخل في يمين المرأة يكون الولد أنثى لكن خلقها خلق الرجال، وإذا خرج من يمين الرجل ودخل في يسار المرأة يكون رجلا ذكرا ولكن خلقه خلق المرأة. وإذا وقع الإنزال من الذكر قبل الأنثى يكون الولد شبيها بأمه وأخواله وإذا وقع الإنزال من المرأة قبل الرجل يكون الولد شبيها بأبيه وأعمامه[2]. ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ﴾ بالمطر ﴿وَالأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿شَيْئًا وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾ يقدرون على

---

1 - عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (وكل الله بالرحم ملكا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال أي رب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد فما الرزق فما الأجل فيكتب كذلك في بطن أمه). صحيح البخاري: كتاب القدر / باب في القدر (6595). صحيح مسلم: كتاب القدر/ باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله (4785).

2 - طرف من حديث أخرجه مسلم عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قال (حبر من يهود): ...وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان قال ينفعك إن حدثتك قال أسمع بأذني قال جئت أسألك عن الولد قال ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله قال اليهودي لقد صدقت وإنك لنبي ثم انصرف فذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به) صحيح مسلم: كتاب الحيض/ باب صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما (473) وفي صحيح البخاري: كتاب المناقب/ كيف آخى النبي بين أصحابه (3938)

شيء ﴿فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ﴾ لا تجعلوا له أشباها ﴿إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ﴾ أن لا مثل له ﴿وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك المثل ﴿ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لعدم ملكه ﴿وَمَنْ﴾ وحر ﴿رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ يتصرف فيه كيف يشاء، الأول مثل للأصنام والثاني مثله تبارك وتعالى. الصنم عبد مملوك ليس له تصرف والله حر مالك يتصرف كيف شاء ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ العبيد العجزة والحر المتصرف؟ لا، ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أهل مكة ﴿لاَ يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه ﴿وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ ولد أخرس ﴿لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لا يفهم ولا يفهم ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾ ثقيل ﴿عَلَى مَوْلاهُ﴾ متولي أمره ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ يصرفه ﴿لاَ يَأْتِ﴾ منه ﴿بِخَيْرٍ﴾ بنجح وهذا مثل الكافر ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾ هذا الأبكم ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ من هو ناطق نافع للناس يأمر بالعدل ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ لا يستويان الثاني المؤمن والأول الكافر، أو الثاني هو الله والأول هو الصنم ﴿وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ علم ما غاب فيهما ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ منه لأنه بلفظ كن ﴿إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ الإنسان يولد ليس عنده علم بشيء ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ إذا ولد المولود يكون ليس له سمع ولا بصر ولا عقل فيعطيه الله سمعا يجعل له سمعا في أذنه وبصرا في عينيه وعقلا في قلبه. لم يذكر النطق لأن النطق هو آخر ما يجده المولود، يولد فيكون بصيرا سميعا ولا يتكلم إلا بعد زمان ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ﴾ مذللات للطيران ﴿فِي جَوِّ السَّمَاء﴾ الهواء بين السماء والأرض ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عند قبض أجنحتهن وبسطها أن يقعن ﴿إِلاَّ اللّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ هي خلقها بحيث يمكنها

الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وإمساكها ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ موضعا تسكنون فيه ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ كالخيام والقباب ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ للحمل، بيوت خفيفة إذا أردت الانتقال تحملها معك ﴿يَوْمَ ظَعَنِكُمْ﴾ سفركم ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ من صوف الغنم ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ أوبار الإبل ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾ أشعار المعز ﴿أَثَاثًا﴾ متاعا لبيوتكم كبسُط وأكسية ﴿وَمَتَاعًا﴾ تتمتعون به ﴿إِلَى حِينٍ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾ من البيوت والشجر والغمام ﴿ظِلاَلاً﴾ الله رزقكم ظلالا في بيوتكم وتحت الأشجار وتحت الغمام ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ جمع كنّ وهو ما يستكن به في الغار، تعلمون أن الظل هذا ليس من البيت إنما هو نعمة أنعم الله به فقط، هذه الشمس في السماء الرابعة وخرقت السماوات كلا حتى وصلت إلينا، إذا حبسها هذا السقف الخفيف فمن فضل الله تبارك وتعالى كان يقدر أن يبلغنا حر الشمس في داخل البيوت ولكن رزقكم ظلا في داخل البيوت وفي الجبال وتحت الأشجار ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ﴾ قمصا ﴿تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ والبرد ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ حربكم الطعن والضرب كالدروع والجواشن ﴿كَذَلِكَ﴾ كما خلق هذه الأشياء ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُ﴾ في الدنيا ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بخلق ما تحتاجون إليه ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تُسْلِمُونَ﴾ أو توحدونه ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ أعرضوا عن الإسلام ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ الإبلاغ، وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ يقرون بأنها من عنده تعالى ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ بإشراكهم ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ هو نبيها يشهد لها وعليها وهو يوم القيامة ﴿ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في الاعتذار ﴿وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم العتبى أي الرجوع إلى ما يرضى الله ﴿وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كفروا ﴿الْعَذَابَ﴾

النار ﴿فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ العذاب ﴿وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يمهلون ﴿وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَاءهُمْ﴾ من الشياطين وغيرها ﴿قَالُواْ رَبَّنَا هَؤُلاَءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ﴾ نعبدهم ﴿مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾ قالوا لهم ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ قولكم إنكم عبدتمونا ليس بحق، كما في آية أخرى "ما كانوا إيانا يعبدون" "سيكفرون بعبادتهم" ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ استسلموا لحكمه ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ من أن آلهتهم تشفع لهم ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ الذي استحقوه بكفرهم، قال ابن مسعود: عقارب أنيابها كالنخل الطوال إذا لدغت تجد ألمها ثلاثمائة سنة[1] ﴿بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ بصدهم الناس عن الإيمان ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ هو نبيهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد صلى الله عليك وسلم ﴿شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاَءِ﴾ قومك ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الناس من أمر الشريعة ومن أمر الدنيا ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَى﴾ بالجنة ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ الموحدين. اللهم صل على سيدنا محمد وسلم.

---

1 - القرطبي ج10/ 164.

الدرس الثلاثون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيـم

يا همة الشيخ احضري لنـــا بهذا المحضـــر
ولتعطفـــي بنظـــرة تأتي لنـــا بالظفـــر

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ التوحيد أو الإنصاف ﴿وَالإِحْسَانِ﴾ أداء الفرائض، أو أن تعبد الله كأنك تراه ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ إعطاء ذي القربى القرابة، خصه بالذكر اهتماما به. الله تبارك وتعالى ذكر في هذه الآية أنه يأمر عباده «بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى» ثلاثة أشياء ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ الزنا ﴿وَالْمُنكَرِ﴾ شرعا من الكفر والمعاصي ﴿وَالْبَغْيِ﴾ الظلم للناس، خصه بالذكر اهتماما كما بدأ بالفحشاء كذلك ﴿يَعِظُكُمْ﴾ بالأمر والنهي ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون. ذكر في هذه الآية أنه تبارك وتعالى يأمر عباده أول كل شيء بالعدل، العدل بينك وبين الله تبارك وتعالى، والعدل بينك وبين نفسك والعدل بينك وبين سائر خلق الله تبارك وتعالى. أما العدل بينك وبين الله تبارك وتعالى فأن تعبده ولا تشرك به شيئا، فمن أشرك بالله فليس بعادل ومن ترك عبادة الله فليس بعادل، ومن عبد الله وحده فقد عدل، وكذلك يعدل في جميع الاعتقادات والأخلاق والأعمال، يلزم الطريق الوسط،

(خير الأمور أوساطها)[1]، لا يشرك بالله شيئا ولا يعطل، يتخذ العدل بين الشرك والتعطيل، ولا يترهب يعمل عمل الرهبانية، ولا يكون بطالا، يتخذ العدل بين هاتين الطريقتين، ليس في ديننا ترهب، (رهبانية أمتي الجهاد)[2] وليس فيه بطالة لابد من العمل، ولا يسلك طريق الجبر ولا طريق القدر، لابد أن يكون يعدل بينهما، يلزم طريق الكسب، يكسب المعالي ويعلم أن الفاعل هو الله تبارك وتعالى ويعدل بين الطائفتين، طائفة تقول إن المؤمن لا تضره الذنوب والمعاصي، وطائفة تقول إن من عصى الله فهو خالد في النار، وطريق السنة العدل بينهما، يخاف من الذنوب ويعلم أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ويعدل بين الجبن والتهور فيكون شجاعا، ويعدل بين البخل والتبذير فيكون جوادا. (خير الأمور أوساطها). والله تبارك وتعالى يأمرنا بالعدل معه تبارك وتعالى، والعدل معه أن نعبده وحده ونؤدي له الفرائض والواجبات ونترك المعاصي والمحرمات، ونعدل بيننا وبين كل مخلوق، بينك وبين أهلك، بينك وبين أولادك، بينك وبين جيرانك، بينك

---

1 - (خير الأمور أوساطها) مصنف ابن أبي شيبة/ حديث مطرف بن الشخير (30918)، وذكره ابن حجر في فتح الباري مختصرا دون عزو لراويه، فتح الباري/ باب فضل الفقر. وأخرجه السيوطي في الجامع الكبير ج151/1.

2 - أخرج أحمد عن أبي سعيد الخدري أن رجلا جاءه فقال: أوصني، فقال: سألتُ عما سألتَ عنه رسولَ الله من قبلك، أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض. مسند الإمام أحمد: مسند الكوفيين/ مسند أبي سعيد الخدري (11349) وفي صحيح ابن حبان: (عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي) طرف من حديث طويل لأبي ذر. صحيح ابن حبان:/ باب ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص في العقبى بشيء منها (360). وفي كنز العمال (8673) بلفظ: (يا عثمان إن الله لم يكتب علينا الرهبانية إنما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله).

وبين سائر خلق الله يقول الفُضيل: لو أحسن الإنسان على كل الخلائق وأساء على دجاجة فلا يعد من المحسنين[1]. قال صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والإنسان في أهله راع ومسئول عن رعيته، والولد في بيت أبيه راع وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها[2]، والإنسان راع على أعضائه السبعة: العينين والأذنين واللسان واليدين والبطن والفرج والقدمين، ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته. وليس العدل - كما ذكرنا لكم آنفا - إعطاء المنافع وترك الإيذاء، هذا لا يكفي لابد من وضع كل شيء في محله، فالملك إذا جمع الأسلحة والمال والكتب والمساجد ودفع الأسلحة للعلماء والأموال للأغنياء، والكتب والمساجد للعساكر فما عدل، لأنه وضع الأشياء في غير محلها. العدل أن تلازم الطريق الوسط وتضع كل شيء في محله.

أمر في هذه الآية بثلاثة أشياء، ونهى عن ثلاثة أشياء، «يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي» في هذه الآية جُمع علم الأولين والآخرين. فلهذا لزم الخطباء تلاوتها آخر كل خطبة يوم الجمعة، لتكون

---

1 - نقله عنه في روح البيان ج71/5.

2 - أخرجه الشيخان عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته قال وحسبت أن قد قال: والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته). صحيح البخاري: كتاب الجمعة/ باب الجمعة في القرى والمدن (893)، صحيح مسلم: كتاب الإمارة/ باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر (3408). تقدم في الدرس 11.

خطبة جامعة. الخطباء ولو بالغوا لا يقدرون أن يأتوا بعشر عشر ما تضمنت هذه الآية. وأول من تلاها في الخطبة عمر بن عبد العزيز[1] لما رُفع لعن علي في الخطبة. دولة بني أمية أوجبت على كل خطيب أن يلعن عليا بن أبي طالب قبل أن يختم خطبته على منبر الرسول صلى الله عليه وسلم دام هذا ستين سنة، شكا رجل إلى صالح قال له الناس يتكلمون فيَّ بسوء يريدون أن يفسدوا عرضي، فقال له: لا يقدر أحد أن يفسد عرض أحد، الإنسان إذا صان عرضه لا يقدر أحد أن يفسده؛ هذا علي بن أبي طالب مضت عليه ستون سنة وهو يلعن على منبر الرسول صلى الله عليه وسلم ما زاده ذلك إلا احتراما في قلوب جميع المؤمنين[2]، فلما تولى عمر بن عبد العزيز أزال هذه اللعنة من الخطبة وجعل محلها «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي» فجرت وهلم جرا[3]. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقرأ "ق والقرآن المجيد"، وكان أبو بكر إذا خطب يقرأ "إذا السماء انفطرت"، وعمر "إذا الشمس كورت"، وعثمان "ويستفتونك في النساء"، وعلي يقرأ الكافرون والإخلاص، في آخر

---

1 – ورد في تفسير روح البيان نقلا عن السيوطي في كتاب الوسائل إلى معرفة الأوائل: أول من قرأ في آخر الخطبة "إن الله يأمر بالعدل والإحسان" عمر بن عبد العزيز. روح البيان ج73/5.

2 – أورد ابن عبد البر في بهجة المجالس ج403/1 أن ابن عامر بن عبد الله بن الزبير تنقص علي بن أبي طالب فقال له أبوه: مهلا يا بني لا تنقصه فإن بني مروان شتموه ستين سنة فلم يزده الله بذلك إلا رفعة.

3 – قال جلال الدين السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء: كان بنو أمية يسبون علي بن أبي طالب في الخطبة فلما ولي عمر بن عبد العزيز أبطله وكتب إلى نوابه بإبطاله وقرأ مكانه "إن الله يأمر بالعدل والإحسان" الآية، فاستمرت قراءتها في الخطبة إلى الآن. تاريخ الخلفاء ص243 ط2- مكتبة السعادة بمصر.

خطبهم[1]، كلهم ينظر إلى ما يناسب حال أهل زمانه، وهذا هو الذي يتعين على الخطيب أن ينظر إلى ما يوافق حال زمانه فيخطب بذلك، لولا ذلك لاكتفينا كلنا بخطبة الرسول صلى الله عليه وسلم. ويتعين كذلك أن تقوم الخطبة الثانية بالتحضيض والحث على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك جرت بهذا العادة من الخطباء. «إن الله يأمر بالعدل» العدل مع الله ومع نفسك ومع كل مخلوق أشمل مما فسر به المفسر[2]. إن الله خلق الإحسان في كل شيء. كل شيء عملته تحرّ حتى تأتي بالإحسان فيه، والرسول صلى الله عليه وسلم فسره بما لا مزيد عليه: (أن تعبد الله كأنك تراه)[3]. الإحسان أن يكون العبد يراقب الله تبارك وتعالى حتى يشاهده أو يشاهد أن الله مطلع على كليته. ومشاهدة الله تبارك وتعالى ليست هي الرؤية بالبصر، إنما الله تبارك وتعالى لا يرى بالبصر، ولكن إذا انعدم العبد في وجود الحق تبارك وتعالى أبصر الحق بالحق، أبصر العين بالعين، فتلك الرؤية هي التي أعطاها الله للعارفين الذين أحبهم في الدنيا جعلنا الله وإياكم منهم. إن لم تكن تراه فإنه يراك، إذا لم تقدر أن تصل إلى مرتبة المشاهدة فلا أقل من أن تصل إلى مرتبة المراقبة، والصوفية حيث أنهم ليسوا من أهل النحو ولا يلتفتون إلى الإعراب، يقولون «إن لم تكن تراه»، إذا لم تكن تره. لم يعرفوا أن الفعل يحتاج للجزم.

---

1 – ذكره في روح البيان ج72/5 وعزاه لابن الصلاح.

2 – يعني جلال الدين المحلي وذلك عند قوله في تفسير الآية إن الله يأمر بالعدل: التوحيد والإنصاف. راجع تفسير الآية في الجلالين.

3 – طرف من حديث أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه. صحيح البخاري: كتاب الإيمان/ باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان (50). وفي صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (10). تقدم في الدرسين 15 و24.

والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه. «وإيتاء ذي القربى» ذو القربى كل من جمعك معه رحم وارثا كان أو غير وارث، فيشمل الأعمام والأخوال والعمات والخالات وأبناء الأعمام وأبناء الخالات وأبناء العمات وأبناء الأخوال كلهم قرابة. وصلة الرحم سريعة التأثير تزيد في الرزق وتزيد في العمر. ووصل الرحم بإيصال النفع لمن قدر عليه، حتى بالزيارات، حتى بالمراسلات بالكتابات، كل هذه داخلة في صلة الرحم، والرحم الحقيقي للعبد هو نفسه وصلتها أن تعمل عملا ينجيها من البعد عن الله ومن القطيعة ومن الشقاوة، (ابدأ بنفسك)[1]. «وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي» ظلم الناس ﴿يَعِظُكُمْ﴾ بالأمر والنهي ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ جمع علم الأولين والآخرين في هذه الآية، فلهذا قال ابن مسعود إنها أجمع آية في القرآن[2]، وهذه الآية بسببها أسلم عثمان بن مظعون[3] قال: والله إن الله أرسل محمدا بمكارم

---

1 - طرف من حديث أخرجه مسلم في صحيحه ولفظه: عن جابر قال أعتق رجل من بني عذرة عبدا له عن دبر فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ألك مال غيره؟ فقال: لا، فقال: من يشتريه مني؟ فاشتراه نعيم بن عبد الله العدوي بثمان مائة درهم فجاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفعها إليه ثم قال: ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا، يقول فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك. صحيح مسلم: كتاب الزكاة/ الابتداء بالنفقة بالنفس ثم أهله ثم القرابة (1663).

2 - أخرج الحاكم في المستدرك عن المعتمر بن سليمان قال: سمعت منصور بن المعتمر يحدث عن عامر قال: جلس شتير بن شكل ومسروق بن الأجدع فقال أحدهما لصاحبه: حدث بما سمعت من عبد الله وأصدقك أو أحدثك وصدقني، قال: سمعت عبد الله يقول إن أجمع آية في القرآن للخير والشر في سورة النحل "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون" قال: صدقت. المستدرك: كتاب التفسير/ تفسير سورة النحل/ باب أجمع آية في القرآن للخير والشر (3405).

3 - النسفي على الخازن ج131/3

الأخلاق ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ من البيع والأيمان وغيرهما ﴿إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ توثيقها ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾ بالوفاء حيث حلفتم به، والجملة حال ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ تهديد لهم ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ﴾ أفسدت ﴿غَزْلَهَا﴾ أي ما غزلته ﴿مِن بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ إحكام له وبرم ﴿أَنكَاثًا﴾ حال جمع نكث ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ لا تكونوا مثلها في اتخاذكم ﴿أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً﴾ هو ما يدخل في الشيء وليس منه أي فسادا وخديعة ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بأن تنقضوها ﴿أَن تَكُونَ﴾ أن لا تكون ﴿أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿هِيَ أَرْبَى﴾ أكثر ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ وكانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا أكثر منهم وأعز نقضوا حلف أولئك وحالفوهم ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ﴾ يختبركم ﴿اللَّهُ بِهِ﴾ بما أمر به من الوفاء بالعهد لينظر المطيع منكم والعاصي، أو تكون أمة أربى لينظر أتكون أم لا ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا من أمر العهد وغيره بأن يعذب الناكث ويثيب الوافي ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أهل دين واحد ﴿وَلَكِن يُّضِلُّ مَنْ يَّشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَّشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ﴾ يوم القيامة سؤال تبكيت ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لتجازوا عليه ﴿وَلاَ تَتَّخِذُواْ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾ كرره تأكيدا ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ﴾ أقدامكم عن محجة الإسلام ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ استقامتها عليها ﴿وَتَذُوقُواْ السُّوءَ﴾ العذاب ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بصدكم عن الوفاء بالعهد أو بصدكم غيركم عنه لأنه يستن بكم ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ من الدنيا بأن تنقضوه لأجله ﴿إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما في الدنيا ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فلا تنقضوا العهد ﴿مَا عِندَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿يَنفَدُ﴾ يفنى ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ دائم ﴿وَلَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على الوفاء بالعهود ﴿أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى

وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ قيل هي حياة الجنة وقيل في الدنيا بالقناعة أو الرزق الحلال[1]، إذا عمل الإنسان عملا صالحا رزقه الله حياة طيبة، وهي إما رزق حلال واسع فتكون حياته طيبة، وإما أن يكون قناعة، القناعة مال لا ينفد[2]. وهذا فسره حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (يا دنيا اخدمي من خدمني وأتعبي من خدمك)[3] إذا اشتغل العبد بخدمة مولاه، الدنيا أمة لله تبارك وتعالى يسخرها الله تخدم العبد كما يريد ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ وهذا ليس بجزاء لهم، بل سيجزيهم في الآخرة أجرا أحسن مما تقدم. مر قاض من قضاة المسلمين من آل البيت من ذرية علي وهو في موكب عظيم حافل بالخيل والدواب والأثاث كأنه ملك، مرَّ بيهودي مسكين في مزبلة ليس عنده كسرة يأكلها ولا خرقة يستر بها عورته فقال: من الرجل؟ قيل: هذا واحد من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: حديث يبلغني هل صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

1 - قاله جلال الدين المحلي في تفسيره، حاشية الصاوي على الجلالين ج329/2، وذكره القرطبي ضمن خمسة أقوال وعزاه لجماعة منها علي كرم الله وجهه وابن عباس. القرطبي ج10/ 174.

2 - جاء في مجمع الزوائد عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عليكم بالقناعة فإن القناعة مال لا ينفد) رواه الطبراني في الأوسط. مجمع الزوائد: كتاب الزهد/ باب القناعة (96871). وفي كشف الخفاء: حرف القاف: 1900- القناعة مال لا ينفد، وكنز لا يفنى.

3 - عن عبد الله بن مسعود قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يقول الله عز وجل للدنيا: يا دنيا اخدمي من خدمني وأتعبي يا دنيا من خدمك). معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري/ باب ذكر النوع الخامس و العشرين من علم الحديث.

وقد أورده السيوطي في اللآلئ المصنوعة عن ابن مسعود كذلك لكن بلفظ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى للدنيا: (مري على أوليائي وأحبائي لا تحلولي لهم فتفتنيهم وأكرمي من خدمني وأتعبي من خدمك). اللآلئ المصنوعة ج2/كتاب الأدب والزهد.

قاله؟ قال: وما هو؟ قال: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)[1] أنت هذا في سجن وأنا في جنة؟ قال له: نعم، ولكن ليس المراد كما تظن يا عدو الله، حالتي أنا بالنسبة إلى ما أؤول إليه يوم القيامة كأني في سجن، وحالتك أنت هذه مع سوء حالتك بالنسبة إلى النار التي ستصير إليها كأنك في جنة الآن. قال أشهد أن هذا جواب من أهل النبوءة ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ﴾ أردت قراءته ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ كلما أراد الإنسان أن يتلو كتاب الله فليقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، هذا في بداية القراءة لأن الشيطان عدو لابد من أن تتخذ حصنا منيعا بينك وبينه قبل أن تشتغل بقراءة القرآن ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ﴾ تسلط ﴿عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الشيطان له تسلط لكن على أوليائه لا على أولياء الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ مشركون بالله تبارك وتعالى. الأعداء أربعة العبد المريد لله تبارك وتعالى له أعداء أربعة: الدنيا والشيطان والهوى والنفس، وهؤلاء الأربعة كلهم عنده سلاح وعنده سجن؛ الدنيا هي أول الأعداء سلاحها لقاء الخلق، إذا اشتغل الإنسان بملاقاة الخلق دائما فهذا سلاح الدنيا الذي تصيده به وسجنها العزلة عن الخلق؛ وإبليس كذلك شيطان عدو وسلاحه الشبع وسجنه الجوع، الإنسان إذا جاع جعل إبليس في سجن ما دام لم يأكل؛ والهوى كذلك عدو وسلاحه كثرة الكلام وسجنه الصمت[2]، إذا صمت سجن الهوى؛ والنفس كذلك هي أعدى الأعداء. وإبليس

---

1 – عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر). صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق/باب (5256). وفي سنن الترمذي: كتاب الزهد/ باب ما جاء أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (2246).

2 – انظر روح البيان ج238/2

هو رئيس هؤلاء كلا متاعه الدنيا، أتى للخلق فقال لهم: عندي الدنيا من أرادها فأنا أبيعها، قالوا: وما ثمنها؟ قال: الدين، من ترك دينه فليأت يأخذ الدنيا فباعوا دينهم بالدنيا هؤلاء هم الكفار، والمؤمنون والمنافقون الذين مالوا إلى الدنيا قالوا للشيطان: أذقنا شيئا من متاعك إذا اختبرناه وأعجبنا نشتريه منك، قال حتى تؤتوني رهنا، قالوا: ما هو الرهن؟ قال: أسماعكم وأبصاركم، فأعطوْه أسماعهم وأبصارهم فأذاقهم شيئا من الدنيا، فتجد أبناء الدنيا من المسلمين لا ينظرون إلا إلى الدنيا ولا يستمعون إلا إلى أخبارها لأن أسماعهم وأبصارهم مرهونة عند إبليس[1]. فالنفس سلاحها النوم وسجنها السهر، ترك النوم. إذا أردت أن تحبس الدنيا فاعتزل الخلق، وإذا أردت أن تحبس الشيطان فالتزم الجوع، وإذا أردت أن تحبس الهوى فالتزم الصمت، وإذا أردت أن تحبس النفس فالزم السهر، ترك النوم. والشيطان يحذر من الكذب على سوء حاله، فلهذا أقبح القبائح الكذب. سئل الرسول صلى الله عليه وسلم: أوَ يزني المؤمن؟ قال: قد يكون ذلك. قيل: أوَ يسرق؟ قال: قد يكون ذلك. قيل: يكذب؟ قال: لا.[2] الكذب هو أفحش الفواحش حتى الشيطان يقول "إلا

1 - روح البيان ج9/ 123

2 - جاء في كنز العمال عن ابن جرير: حدثني عمر بن إسماعيل الهمداني، ثنا يعلى بن الأشدق عن عبد الله بن جراد قال: قال أبو الدرداء: يا رسول الله هل يسرق المؤمن؟ قال: قد يكون ذلك، قال فهل يزني المؤمن؟ قال: بلى وإن كره أبو الدرداء، قال: هل يكذب المؤمن؟ قال: إنما يفتري الكذب من لا يؤمن إن العبد يزل الزلة ثم يرجع إلى ربه فيتوب فيتوب الله عليه. كنز العمال/ باب الكذب 8994. ولابن عساكر مثله غير أن السائل عنده عبد الله بن جراد: عن يزيد بن عبد الله من بني عامر بن صعصعة قال: سمعت يعلى بن الأشدق العقيلي يحدث عن عبد الله بن جراد أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا نبي الله هل يزني المؤمن؟ قال: قد يكون ذلك، قال: هل يسرق المؤمن؟ قال: قد يكون ذلك، قال: هل يكذب؟

عبادك منهم المخلَصين" استثناهم عرف أنه لا يقدر لهم على شيء. والاستعاذة قبل التلاوة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أو أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم أو أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إنه هو السميع العليم، روايات، ولكن هذه الصيغة التي في أول الكتاب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم صح بها حديث (هكذا علمنيه جبريل عن اللوح عن القلم عن رب العزة تبارك وتعالى)[1]. إذا قلت: لعن الله إبليس يقول: لعنت لعينا فقط، لم تصنع شيئا، فإذا قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذاب كالملح جعل في الماء، ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ بنسخها وإنزال غيرها لمصلحة العباد ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ﴾ الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ على الله تبارك وتعالى. إن الله تبارك وتعالى هو الذي ينزل الآيات، ويكلف عباده ويعلم مصلحة كل زمان ومكان، فإذا رأى أن الأنسب لهؤلاء هو هذا الحكم، نسخ الحكم الأول وأتى بحكم جديد، وليس في هذا ما يُعترض فيه على الله تبارك وتعالى، هو الواحد القهار الفعال في خلقه ما يشاء، وإذا نسخ شيئا يأتي بأنفع للعباد أي أسهل في التكليف وأكثر ثوابا ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة القرآن وفائدةَ النسخ. ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ جبريل ﴿مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بإيمانهم به ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾

قال: لا، ثم أتبعها نبي الله صلى الله عليه وسلم حيث قال هذه الكلمة: إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون. كنز العمال/ باب الكذب 8995

1 – جاء في الجامع لأحكام القرآن قول القرطبي: وروي عن ابن مسعود أنه قال: قلت أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا ابن أم عبد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأني جبريل عن اللوح المحفوظ عن القلم. الجامع لأحكام القرآن: المقدمة/ القول في الاستعاذة. وذكر الصاوي في حاشيته على الجلالين مثله إلا أنه ذكر القلم قبل اللوح المحفوظ ج327/2.

الله تبارك وتعالى أنزل هذا القرآن تثبيتا للمؤمنين وهدى وبشرى للمسلمين ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ﴾ علمنا حقيقة ﴿أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ﴾ القرآن ﴿بَشَرٌ﴾ كان قين نصراني يقال له جبر بجنب الصفا، وكان على الدين القديم، وكان إذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم يسليه، يقول: اصبر فقط فأنت رسول الله حقا والأنبياء قبلك هكذا كان يفعل بهم، يسلي النبي دائما، فكان صلى الله عليه وسلم إذا اشتد إذاية الكفار به أتى وجلس عند هذا القين يؤنسه بحديثه، فقالوا: الآن فهمنا من أين يتلقى محمد صلى الله عليه وسلم هذا القرآن، هذا القين هو الذي أعطاه القرآن[1] ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ لغة الرجل الذي يميلون إليه أنه علّمه ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ الرجل لا يعلم كلمة عربية ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ كيف يعلمه هذا القرآن الذي أعجز جميع العرب العرباء، فصاحته وبلاغته عجزت عنها العرب، وهذا قين لا يحسن العربية كيف يأتي بهذا القرآن؟ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لاَ يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الافتراء لا يتأتى أن يأتي من جانب النبي صلى الله عليه وسلم. الافتراء يأتي من جهتهم هم الذين لم يؤمنوا بالقرآن ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ كذبوا.

﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ سبب نزول هذه الآية أن الكفار فتنوا بعض المسلمين، قتلوا سمية لما آمنت بالنبي صلى الله عليه وسلم طعنها أبو جهل بحربة[2] في قُبُلها حتى خرجت من صلبها وماتت، فهي أول شهيدة في سبيل الله، وياسر

---

1 – ذكر ذلك الطبري في تفسيره عن ابن إسحاق، ومثله للقرطبي عنه ج10/ 177.

2 – في دلائل النبوة للبيهقي عن مجاهد قال: أول شهيد كان في الإسلام استشهد أم عمار سمية طعنها أبو جهل بحربة في قبلها. المجلد2/ 288، وفي الإصابة ج4/335 في ترجمة سمية أم عمار بن ياسر.

كذلك قتلوه، وعمار أوقدوا نارا وقيدوه وجعلوه فيها حتى أن شحم جسده هو الذي أطفأ النار، وضربوه ضربا وقالوا إنهم لا يتركونه حتى يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، فلما اشتد به الضرب قال لهم نعم، فتركوه، قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: عمار ارتد، قال الرسول صلى الله عليه وسلم لا، عمار ممتلئ إيمانا من قرنه إلى قدمه، فأتى عمار وقال: عذبت وخفت أن أموت فقلت لهم كلمة طلبا لسلامة نفسي، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: لا بأس عليك إن عادوا فعد لهم بذلك فلا يضرك[1] فنزلت ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ الذين ارتدوا ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ﴾ على التلفظ بالكفر فتلفظ به كعمار ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ لهم وعيد شديد، كل من ارتد ما عدا عمار وأمثاله فلهم وعيد شديد ﴿وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ فتحه ووسعه، طابت نفسه به ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَلِكَ﴾ الوعيد ﴿بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ﴾ اختاروا ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ

---

1 - أخرج الحاكم في مستدركه والبيهقي في سننه كلاهما عن أبي عبيدة بن عمار بن ياسر عن أبيه قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه، فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما وراءك؟ قال: شر يا رسول الله، ما تُركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان، قال: إن عادوا فعد. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. المستدرك: كتاب التفسير/ من سورة النحل (3409) البيهقي: كتاب المرتد/ باب المكره على الردة (17238). وأورد ابن كثير في تفسيره ما نصه: روي أن قريشا أكرهوا عمارا وأبويه ياسرا وسمية على الارتداد فأبوا فربطوا سمية بين بعيرين ووجئت بحربة في موضع عفتها وقالوا إنما أسلمت من أجل الرجال فقتلوها وقتلوا ياسرا وهما أول قتيلين في الإسلام. وأما عمار فأعطاهم بلسانه ما أكرهوه عليه، فقيل يا رسول الله إن عمارا كفر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلا، إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه، اختلط الإيمان بلحمه ودمه، فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال: ما لك؟ إن عادوا فعد لهم بما قلت. ابن كثير ج2/ 588.

يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ عن ما يراد بهم ﴿لاَ جَرَمَ﴾ حقا ﴿أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ إلى المدينة ﴿مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾ عذبوا وتلفظوا بالكفر ﴿ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ﴾ على الطاعة ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا﴾ من بعد تلك الفتنة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم واذكر ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ﴾ تحاج ﴿عَن نَّفْسِهَا﴾ اذكر يوم القيامة عندما تأتي كل نفس تجادل عن نفسها لا يهمها غيرها، وهو يوم القيامة ﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ في يوم القيامة تجادل كل نفس تريد سلامة نفسها، حتى أن الجسد والروح يتجادلان عند الله تبارك وتعالى، يأتي الجسد يقول يا رب أوقع العذاب كلا على هذا الروح، أنا كنت جمادا لا أبصر ولا أسمع ولا أنطق ولا أمشي ولا أبطش، ليس عندي أي تصرف، فجاء هذا الروح وحل بي فأبصر عيني للمعاصي وأذني كذلك وأنطق لساني وبطشت يداي ومشت قدماي كل هذا بسبب هذا الروح، العذاب كلا أوقعْه على هذا الروح، فأنا لا ذنب علي أبدا ما صنعت شيئا، إنما أنا جماد من الجمادات. يقول الروح: يا رب أنا ليس عندي لسان، ليست عندي يد، ليس عندي بصر، ولا سمع ولا قدم، لا شيء، إنما أعضاء هذا الجسد هي التي أوقعتني فيما وقعت فيه، لم أصنع شيئا، العذاب كله أوقعه على الجسد، أما أنا الروح فبريئ من هذا. يقول الرب تبارك وتعالى أسألكما سؤالا: مُقعَد جلس تحت ظل نخلة يريد أن يسرق شيئا من ثمارها، وهو لا يقدر أن يتحرك من محله، فجاء أعمى فحمله على عاتقه حتى أوصله إلى الثمار وجنى منها، أيهما سرق؟ قالا: كلاهما سرق، قال: كذلك أنتما فدخلا النار جميعا. الأعمى لم ير الثمار ولكن حمل المقعد والمقعد تناول الثمار، تعاونا على السرقة، كلاهما

سارق، فالروح والجسد كالأعمى والمقعد فاستحقا العذاب جميعا[1] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً﴾ هي مكة ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ من الغارات لا تُهاجم ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾ لا يُحتاج إلى الانتقال عنها لضيق أو خوف ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ واسعا ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ بتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ﴾ بالسنين المجدبة ﴿وَالْخَوْفِ﴾ بسرايا النبي صلى الله عليه وسلم ﴿بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ الله تبارك وتعالى أنعم على أهل مكة نعما، أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف "لإيلاف قريش" فصاروا في أمن لا يتأتى أن جيشا يقصد مكة للقتال، من لقي قاتل أبيه لا يتعرض له، وأعطاهم الله الطائف فيه ثمرات كل شيء فصاروا في أرغد عيش، فأرسل الله النبي صلى الله عليه وسلم رسولا منهم فكذبوا هذا الرسول ولم يكتفوا بذلك بل أخرجوه من مكة، فلما فعلوا هذا من كفران النعمة، سلط الله تبارك وتعالى عليهم الجوع بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم:

---

1 - قال القرطبي نقلا عن الثعلبي: قال ابن عباس في هذه الآية ما تزال الخصومة في الناس حتى تُخاصم الروح الجسد فتقول الروح: رب الروح منك، أنت خلقته لم تكن لي يد أبطش بها، ولا رجل أمشي بها، ولا عين أبصر بها، ولا أذن أسمع بها، ولا عقل أعقل به حتى جئتُ فدخلت في هذا الجسد فضعِّف عليه أنواع العذاب ونجني. فيقول الجسد: رب أنت خلقتني بيدك، فكنت كالخشبة ليس لي يد أبطش بها، ولا قدم أسعى به، ولا بصر أبصر به، ولا سمع أسمع به، فجاء هذا كشعاع النور فبه نطق لساني وبه أبصرت عيني وبه مشت رجلي وبه سمعت أذني فضعِّف عليه أنواع العذاب ونجني منه. قال: فيضرب الله لهما مثلا أعمى ومقعدا دخلا بستانا فيه ثمار فالأعمى لا يبصر الثمرة والمقعد لا ينالها فنادى المقعد الأعمى إئتني فاحملني آكل وأطعمك، فدنا منه فحمله فأصابوا من الثمرة، فعلى من يكون العذاب؟ قالا: عليهما، قال: عليكما جميعا العذاب. القرطبي ج10/ 193.

اللهم اجعلها عليهم سنين كسني أخي يوسف[1] فقحطوا وجاعوا حتى أكلوا كلاهم، وكانوا مطمئنين لا يأتيهم جيش فصارت تأتيهم سرايا النبي صلى الله عليه وسلم تقاتلهم ﴿وَلَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ محمد ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ الجوع والخوف ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ تقدم مرارا وتكرارا ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنُ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمْ﴾ لوصف ألسنتكم ﴿الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ لما لم يحله الله و لم يحرمه ﴿لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بنسبة ذلك إليه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾ لهم ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ﴾ اليهود ﴿حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ في آية "وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر" إلى آخرها ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب المعاصي ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ﴾ الشرك ﴿بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ﴾ رجعوا ﴿مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ﴾ عملهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا﴾ الجهالة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم

---

1 - أخرج البخاري في صحيحه عن مسروق قال دخلت على عبد الله فقال إن من العلم أن تقول لما لا تعلم الله أعلم إن الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم "قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين" إن قريشا لما غلبوا النبي صلى الله عليه وسلم واستعصوا عليه قال (اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف) فأخذهم سنة أكلوا فيها العظام والميتة من الجهد حتى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع قالوا ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون فقيل له إن كشفنا عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله تعالى فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين إلى قوله جل ذكره إنا منتقمون. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون (4822) وفي صحيح مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار/ باب الدخان (5006).

﴿إِنَّ إِبرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ إماما أو قدوة جامعا لخصال الخير ﴿قَانِتًا﴾ مطيعا ﴿لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ مائلا إلى الدين القيم ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كلما ذكر الله إبراهيم لابد أن يبرئه من الشرك، ولم يبرئ من الشرك إلا إبراهيم وحده، هو قطب التوحيد لا يتكلم إلا في التوحيد "فإنهم عدو لي إلا رب العالمين" هو خليل الله تبارك وتعالى. الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (كل الناس يحتاجون لشفاعتي حتى إبراهيم الخليل)[1] ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ﴾ اصطفاه ﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ الثناء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ دين إبراهيم ﴿حَنِيفًا﴾ مائلا ﴿وَمَا كَانَ﴾ إبراهيم ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كرره ردا على زعم اليهود والنصارى أنهم على دينه ﴿إِنَّمَا جُعِلَ

---

1 – ورد معناه عند مسلم في صحيحه من حديث أبي بن كعب بلفظ: (...وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم) ونص الحديث عن أبي بن كعب قال: كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرها عليه ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرآ فحسَّن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقا فقال لي: يا أُبي أُرسِل إلي أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هونْ على أمتي فرد إلي الثانية اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلي الثالثة اقرأه على سبعة أحرف فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها فقلت اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم صلى الله عليه وسلم. صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب بيان أن القرآن نزل على سبعة أحرف (1356) ولأحمد في مسنده مثله (20234) وورد كذلك بلفظ "والذي نفسي بيده أن إبراهيم ليرغب في شفاعتي" طرفا من حديث أبي بن كعب ذكره في كنز العمّال عن ابن عساكر برقم 4860.

السَّبْتُ﴾ فُرض تعظيمه ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ على نبيهم وهم اليهود، أمر الله تبارك وتعالى اليهود أن يتفرغوا يوم الجمعة فقالوا: لا، لا نريده، نختار يوم السبت الذي تفرغ الله فيه فنحن نتفرغ في اليوم الذي تفرغ الله فيه فشدد عليهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمره بأن يثيب الطائع ويعذب العاصي بانتهاك حرمته فلهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : نحن الآخرون السابقون اليوم لنا هو الجمعة وغدا لليهود وبعد غد للنصارى[1]، خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خُلق آدم، وفيه أهبط، وفيه تزوج حواء، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يصادفها عبد يصلي يدعو الله إلا استجاب الله له[2]. ساعة الإجابة في يوم الجمعة، واختلف العلماء في وقتها فقال بعضهم: عند الأذان الأول، أذان الزوال، وقال بعضهم عند جلوس الإمام على المنبر، وقال

---

1 - روى الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتينا من بعدهم ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد). صحيح البخاري: كتاب الجمعة/ باب فرض الجمعة (876)، ولمسلم: كتاب الجمعة/ باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (1412). تقدم في الدرس4.

2 - أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة) كتاب الجمعة /باب فضل يوم الجمعة (1411) وفي رواية للنسائي وأحمد (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه قبض، وفيه تقوم الساعة ما على وجه الأرض من دابة إلا وهي تصبح يوم الجمعة مصيخة حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا ابن آدم، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مؤمن وهو في الصلاة يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه)، وفي لفظ الموطأ: (وفيه تيب عليه وفيه مات) موطأ مالك: كتاب النداء/ باب ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة (222). وقد تقدم هذان الحديثان في الدرس 4.

بعضهم بين الخطبتين الجلسة بين خطبتي الإمام، وقال بعضهم من أول الخطبة إلى السلام من الصلاة، وقال بعضهم في آخر ساعة من يوم الجمعة[1]، وهذا أوفق.

سئل عبد الله بن سلام عن ساعة الإجابة فقال هي الساعة الأخيرة من يوم الجمعة، قيل: كيف يكون ذلك والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يوافقها عبد مسلم يصلي يدعو الله..) وتلك ساعة لا يصلى فيها؟ فقال: ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم إن من توضأ وجلس ينتظر الصلاة فهو في صلاة؟ قالوا: بلى، قال: فتلك هي[2]، فإذاً هذه الساعة أعطاها الله لنا معشر التجانيين، نتوضأ في تلك الساعة وننتظر الصلاة ونذكر الله تبارك وتعالى حتى تغرب الشمس والحمد لله ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ بالقرآن ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ مواعظه

---

1 - أفرد الحافظ ابن حجر العسقلاني لساعة الإجابة من يوم الجمعة بحثا مفصلا أوصل الاختلاف فيها إلى اثنين وأربعين قولا مال في نهاية البحث إلى ترجيح القول بأنها آخر ساعة من يوم الجمعة. وقد ورد هذا البحث في شرحه للحديث رقم 935 من صحيح البخاري: كتاب الجمعة /باب الساعة التي في يوم الجمعة.

2 - روى الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط منها وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلي فيسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه إياه) قال أبو هريرة: فلقيت عبد الله بن سلام فذكرت له هذا الحديث، فقال: أنا أعلم بتلك الساعة، فقلت: أخبرني بها ولا تضنن بها علي، قال: هي بعد العصر إلى أن تغرب الشمس، فقلت: كيف تكون بعد العصر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلى فيها؟ فقال عبد الله بن سلام: أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة؟ قلت: بلى، قال: فهو ذاك. سنن الترمذي: كتاب الجمعة/ باب ما جاء في الساعة التي ترجى في يوم الجمعة (453). كما أخرجه مالك في الموطأ : كتاب النداء للصلاة/ باب ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة (222). وقال السيوطي في شرحه للحديث: فارتضي به أبو هريرة وأفتي به بعد ذلك. تنوير الحوالك ج1/129-132.

﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي﴾ بالمجادلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته والدعاء إلى حججه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فيجازيهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ لما قتل حمزة ومُثل به يوم أحد أقسم الرسول صلى الله عليه وسلم ليقتلن سبعين من كفار قريش وليمثلن بهم مكان حمزة، والله أعدل العادلين قال: «وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به» إن أردت المثلة فمثّل بواحد، إنما مثلوا لك بواحد، لا يُمثل لك بواحد وتمثل أنت بسبعين، هذا ليس بعدل ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾ عن الانتقام ﴿لَهُوَ﴾ الصبر ﴿خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ﴾ فكف صلى الله عليه وسلم وكفّر عن يمينه[1] ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ بتوفيقه ﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ الكفار إن لم يؤمنوا لحرصك على إيمانهم ﴿وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ لا تهتم بمكرهم فأنا ناصرك عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ بالطاعة والصبر بالعون والنصر. الله تبارك وتعالى معيته خاصة بأهل التقوى وأهل الإحسان الأولياء، فلهذا رغبوا في زيارة الأولياء:

---

1 – أخرج الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر يوم أحد إلى حمزة، وقد قتل ومُثّل به فرأى منظرا لم ير منظرا قط أوجع لقلبه منه ولا أوجل فقال: (رحمة الله عليك قد كنت وصولا للرحم فعولا للخيرات ولولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أدعك حتى تجيئ من أفواه شتى) ثم حلف وهو واقف مكانه (والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك)، فنزل القرآن وهو واقف في مكانه لم يبرح "وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين" حتى ختم السورة وكفر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه وأمسك عما أراد. المستدرك: كتاب معرفة الصحابة/ باب أحاديث تركها في الإملاء (4944) وأورده ابن حجر في فتح الباري باختلاف يسير برواية البزار والطبراني في باب قتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وقال: طرقه يقوي بعضها بعضا.

زيارة أرباب التقى مَرْهَم يبري[1] ... شفاء

وزيارة الأحياء منهم أفضل من زيارة الأموات لأن الأموات عزلوا عن خدمة مولاهم تبارك وتعالى فهم أولياء الله ولكن ليسوا في خدمته، والأحياء أولياء الله وفي خدمته فزيارة ولي حي أفضل من زيارة قبر لولي.

1 - هذا صدر بيت وعجزه: .... ومفتاح أبواب الهداية والخير

وهو من قطعة لسيدي إبراهيم التازي رضي الله عنه ويليه قوله:

وتحدث في قلب الخلـــي إرادة ... وتشرح صدرا ضاق من سعة الوزر
وتنصر مظلـــوما وترفع خاملا ... وتكسب معدوما وتجبر ذا كسر
وتبسط مقبوضا وتضحك باكيا ... وترفـــع بالبر الجزيل وبالأجـــر
عليك بها فالقوم باحـــوا بسرها ... وأوصوا بها يا صاح في السر والجهر
فكم خلصت من لجة الإثم فاتكا ... فألقته في بحـــر الإنابـــة والبـــر
وكم من بعيـــد قربتـــه بجذبـــة ... يفاجئه الفتـــح الكـــريم من البر
وكم من مريـــد ظفرته بمرشد ... حكيـــم خبير بالبلاء ومـــا يبري
فألقت عليـــه حلـــة يمنيـــــة ... مطرزة باليمن والفتـــح والنصـــر
فزر وتأدب بعد تصحيـــح توبـــة ... تأدب مملـــوك مـــع الملك الحـــر
ولا فرق في أحكامها بين سالك ... مرب ومجـــذوب وحي وذي قبـــر
وذي الزهد والعبَّاد فالكل منعم ... عليه ولكن ليست الشمس كالبدر
وزورة رســـل الله خير زيـــارة ... وهم درجـــات في المكانة والقدر
وأحمـــد خير العـــالمين وخير مـــن ... ييممه العافـــون في العســـر واليســـر

سورة الإسراء

مكية إلا "وإن كادوا ليفتنونك" الآيات الثمان

مائة وعشر آيات أو إحدى عشرة آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ هذه نزلت في إسراء النبي صلى الله عليه وسلم أسري به بمكة ليلة سبع وعشرين من رجب، ليلة الاثنين، فهو صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين وأسري به إلى السماء يوم الاثنين، وخرج من مكة مهاجرا يوم الاثنين ووصل المدينة يوم الاثنين وتوفي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين، كل أطواره صلى الله عليه وسلم وتقلباته تصادف يوم الاثنين[1]، ولعل السر في ذلك أنه هو ثاني الحضرات كما أن الله تبارك وتعالى له الأحدية فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الثاني، فلهذا جاء يوم الاثنين الذي هو ثاني الأيام يوم أطواره صلى الله عليه وسلم. بات الرسول صلى الله عليه وسلم في بيت أم هانئ أخت علي بن أبي طالب بمكة نائما بين رجلين فأتاه جبريل بعد نوم الناس بدابة أطول من الحمار وأقصر من الفرس فأيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فشق قلبه وغسله بماء زمزم وأتاه بدابة قال له: إن ربك يناديك لكرامة ما أكرم بها عبدا قبلك ولن يكرم بها عبدا بعدك[2] وهذه الدابة مركبك وحافرها مع بصرها،

---

1 – ذكره الإمام إسماعيل حقي في تفسيره روح البيان ج103/5.

2 – روح البيان ج106/5

أينما وقع بصرها وقع حافرها[1] فأراد صلى الله عليه وسلم أن يركب فتمنع البراق فقال له جبريل: مهلا يا براق أبمحمد تفعل هذا وهو أكرم الأولين والآخرين؟ فخجل واستحيى[2] وعرق، فخرج من عرقه الورد، فركب صلى الله عليه وسلم فوقع حافر الدابة في بيت المقدس، فحفر جبريل وقال هذه الحلقة مربط الأنبياء فربط صلى الله عليه وسلم بها براقه، ودخل المسجد ووجد جميع الأنبياء والمرسلين صفوفا ينتظرونه ليصلي بهم إماما، فصلى بهم صلى الله عليه وسلم إماما[3] وقف على الصخرة وأثر قدمه عليها إلى يومنا هذا[4]، فلما جلس قال: عطشت عطشا ما سبق لي مثله قط[5] فأوتيت بإناءين أحدهما خمر والآخر لبن فشربت اللبن، شربت حتى أبقيت قليلا، فقال جبريل: الحمد لله اخترت الفطرة، لو شربت الخمر لارتدت

---

1 – جاء في صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم: أتيت بدابة أبيض يقال له البراق فوق الحمار ودون البغل يقع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه..الحديث، صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب الإسراء برسول الله إلى السماوات (238)

2 – أخرج أحمد في مسنده عن قتادة، عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به مسرجا ملجما ليركبه فاستصعب عليه، فقال له جبريل: ما يحملك على هذا؟ فوالله ما ركبك أحد قط أكرم على الله عز وجل منه، قال: فارفض عرقا. مسند أحمد/ مسند أنس بن مالك (12211). وللترمذي مثله إلا أنه قال: أبمحمد تفعل هذا؟ سنن الترمذي: تفسير القرآن/ من سورة بني إسرائيل (3056).

3 – ذكره مسلم من حديث أبي هريرة، كتاب الإيمان/ باب في ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال (251)

4 – روح البيان ج112/5.

5 – ذكره ابن حجر في فتح الباري قال: وفي حديث شداد بن أوس "...فصليت من المسجد حيث شاء الله وأخذني من العطش أشد ما أخذني فأوتيت بإناءين أحدهما لبن والآخر عسل..." الحديث. فتح الباري شرح الحديث رقم3887 من صحيح البخاري.

أمتك ولو شربت اللبن كله لما بقي أحد من أمتك لم يؤمن، قال آتني بالباقي أشربه قال: جف القلم، هكذا قدر الله تبارك وتعالى[1]. فمن هناك أوتي بالبراق فتجاوز إلى السماوات. النبي صلى الله عليه وسلم أسري به خمسة وثلاثين إسراء[2] ولكن بعضها منام وبعضها بالروح كإسراءات العارفين، ولكن في هذا الإسراء انتقل بجسده وروحه إلى قاب قوسين أو أدنى فنزلت هذه الآية في ذلك الإسراء[3] ﴿سُبْحَانَ الَّذِي﴾ تنزيه الذي ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ أسرى به، العمل من الله ليس من محمد حتى يمكنك أن تعجز محمدا عن أن يفعل هذا، لم يقل سرى، ولكن الذي

---

[1] - روح البيان ج112/5

[2] - روح البيان ج225/9.

[3] - قال الطبري لا معنى لقول من قال أسرى بروحه دون جسده لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلا على نبوته، ولا حجة له على رسالته، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك كانوا يدفعون به عن صدقه فيه إذ لم يكن منكرا عندهم ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل؟ وبعد فإن الله إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده. وليس جائزا لأحد أن يتعدى ما قال الله إلى غيره... ولا دلالة تدل على أن مراد الله من قوله "أسرى بعبده" أسرى بروح عبده بل الأدلة الواضحة والأخبار المتتابعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله أسرى به على دابة يقال لها البراق ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق إذ كانت الدواب لا تحمل إلا الأجسام. راجع تفسير الطبري لهذه الآية.

وقال ابن حجر في فتح الباري: وقد اختلف السلف بحسب اختلاف الأخبار الواردة : فمنهم من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي صلى الله عليه وسلم وروحه بعد المبعث، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل. صحيح البخاري: كتاب المناقب/ باب حديث الإسراء وقول الله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

يقدر على كل شيء هو الذي أسرى به، "بعبده" لم يقل بنبيه لو قال بنبيه لأمكن فيه التصحيف فضللنا كما ضل النصارى، بنبيه وبُنيه خطهما واحد، فصونًا لإيماننا قال «بعبده» و لم يقل بنبيه ﴿لَيْلاً﴾ هذا الإسراء وقع ليلا في ظرف من الليل أي ليس الليل كله إنما جزء من الليل يسير، منكرا لأنه لم يُعرف قدر ما مكث الرسول صلى الله عليه وسلم في الإسراء. والليل هو محل الخلوات مع الأحباب، لِمَ لم يقع ذلك نهارا؟ لئلا يمكن الطعن فيه لأن الليل وقت ملاقاة الأحباب فلهذا جعل الإسراء ليلا. «بعبده» الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر.. آدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة ولا فخر)[1] ليس فخره بكونه سيد الخلق سيد العالمين إنما فخره بكونه عبدا لله تبارك وتعالى، عبوديته أعظم من سيادته لأنه يكون سيدا إذا كان بين الخلق، إذا كان فينا فهو سيدنا، وإذا كان في حضرة الله تبارك وتعالى فهو عبد وهو مقامه، وهو في حضرة الله تبارك وتعالى أعظم من مقامه وهو عند الخلق. فلهذا تشرف بالعبودية لا بالسيادة. النصارى ضلوا بعيسى فاتخذوه إلها وهو عبْد، والرسول صلى الله عليه وسلم صان الله أمته عن أن يعبدوه أو يعتقدوا فيه بنوة أو ألوهية لأن الله حلاه بحلية العبودية في أكبر مقاماته، أعظم مقامات الرسول صلى الله عليه وسلم مقامه وهو يسري من هذا العالم السفلي إلى

---

1 - (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع) صحيح مسلم عن أبي هريرة: كتاب الفضائل/ (4223).

- (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر) سنن الترمذي عن أبي سعيد: كتاب المناقب/ باب فضل النبي (3548). ولفظ (آدم فمن دونه تحت لوائي ولا فخر) لأحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عباس. مسند ابن عباس (2415).

العالم الأعلى، ووقت نزول الوحي عليه، ووقت دعوة الخلق إلى الله، في كل هذه المقامات سمي عبدا «سبحان الذي أسرى بعبده ليلا» "الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب" "وإنه لما قام عبد الله يدعوه"[1]، «بعبده ليلا» أسرى به ليلا ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ مكة ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ بيت المقدس ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بالثمار والأنهار ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا﴾ عجائب قدرتنا، قال جلال[2]، ﴿إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ هو العالم بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله فأنعم عليه بالإسراء. سؤال هو قال: "وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض" ولم يُدخِل "من" التبعيضية في حق إبراهيم، بل أراه ملكوت السماوات والأرض ولِم يدخل "مِن" في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو أعلى مقاما من إبراهيم؟ انظر ما بين المقامين، إبراهيم: "نُرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض" هو آيات السماوات والأرض هي التي رأى إبراهيم. ومحمد: "لنريه من آياتنا"، آيات حضرة الله تبارك وتعالى التي ليس لها نهاية "أوحى إلى عبده ما أوحى" "دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى" سمع ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول وعلم اجتماعه بالأنبياء والمرسلين. الرسول صلى الله عليه وسلم رفعه الله فتجاوز السماوات السبع والعرش والكرسي ومستوىً[3] وتجاوز سبعين ألف حضرة قد خرج من جميع

---

[1] – ابن كثير ج27/1.

[2] – جلال الدين المحلي في تفسير الجلالين.

[3] – جاء في الصحيحين من حديث أبي ذر في الإسراء قوله صلى الله عليه وسلم (ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام) صحيح البخاري: كتاب الصلاة/ كيف فرضت الصلاة في الإسراء (349) ولمسلم: كتاب الإيمان/ باب الإسراء برسول الله وفرض الصلوات (237). قال ابن حجر في

الكائنات لأنه هو ثمرة الكائنات والثمرة لابد أن تخرج على رأس الشجرة أو على رأس السنبلة، لما كان هو ثمرة هذا الكون لابد أن يخرج كسنبلة تخرج من الزرع، فخرج حتى انفصل من هذا العالم ووصل إلى حضرة الله تبارك وتعالى. موسى كلمه الله عند الطور وقص علينا ما جرى بينهما، والرسول صلى الله عليه وسلم أُبْهِم ما جرى بينه وبين الله "فأوحى إلى عبده ما أوحى"، لا أحد يعرف، لا ملك ولا نبي ولا ولي يعلم ما جرى بينهما، وموسى حكى علينا ما جرى بينهما قال له: "وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى قال ألقها" حبيبان أحدهما خلوتَ به وتحدثتَ معه بشيء وأفشيته على جميع الناس لم تكتمه، وواحد كتمت ما بينكما حتى لا أحد يعرف ما بينكما أيهما أعلى؟ محمد صلى الله عليه وسلم. فلما شرب النبي صلى الله عليه وسلم اللبن رجع إلى البراق، فوقع بصر البراق على السماء الدنيا فوقع حافره عليها، فاستفتح جبريل، قيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وهل بعث إليه؟ قال: بعث إليه، ففتحوا فوجدوا في السماء الأولى آدم أبا البشر، وجدوه ينظر إلى يمينه فيضحك وإلى شماله فيبكي، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا آدم أبو البشر إذا نظر إلى يمينه يرى أرواح أولاده المؤمنين السعداء فيفرح بذلك ويضحك، وإذا نظر إلى شماله يرى أرواح أولاده الكفار الأشقياء فيحزنه ذلك ويبكي[1]، فسلم عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: مرحبا بالنبي الصالح، مرحبا بالولد الصالح، سماه الولد لأنه أبو البشر ودعا له بالخير. ووقع حافر البراق

شرح الحديث: قوله (حتى ظهرت) أي ارتفعت و(المستوى) المصعد و(صريف الأقلام) بفتح الصاد المهملة تصويتها حالة الكتابة والمراد ما تكتبه الملائكة من أقضية الله سبحانه وتعالى.

1 - صحيح البخاري: كتاب الصلاة/ باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء (349)

على السماء الثانية فاستفتح جبريل، قيل: من أنت؟ قال: أنا جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وهل بعث إليه؟ قال: بعث إليه. ففتحوا فوجدا ابني الخالتين يحيى وعيسى فسلم عليهما، فقالا: مرحبا بالنبي الصالح مرحبا بالأخ الصالح. ووقع بصر الدابة على السماء الثالثة فوقع حافره عليها فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وهل بعث إليه؟ قال: نعم بعث إليه، ففتحوا فوجدا يوسف عليه الصلاة والسلام وكان أعطي شطر الحسن، فسلما عليه: فقال: مرحبا بالأخ الصالح مرحبا بالنبي الصالح. فوقع بصر البراق على السماء الرابعة ووقع حافره عليها، فاستفتح جبريل ففتح له: فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وهل بعث إليه؟ قال: بعث إليه، فوجدا في السماء الرابعة إدريس الذي يقول الله تبارك وتعالى "ورفعناه مكانا عليا" فسلما عليه فقال: مرحبا بالنبي الصالح مرحبا بالأخ الصالح. ووقع بصر البراق على السماء الخامسة فوقع حافره عليها، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد، - لا تسمع أحدا يقول من محمد كل العالم يعرف محمدا - وهل بعث إليه؟ هذا فقط هو محل السؤال، بعث إليه، فتحوا فوجدا هارون عليه الصلاة والسلام، وكان محببا في قومه، فسلم عليه: فقال: مرحبا بالأخ الصالح مرحبا بالنبي الصالح. ووقع بصر الدابة على السماء السادسة فوقع حافره عليها فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وهل بعث إليه؟ قال: بعث إليه، ففتحوا فوجدا موسى عليه الصلاة والسلام فسلم عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: مرحبا بالنبي الصالح مرحبا بالأخ الصالح، فلما ولى النبي صلى الله عليه وسلم بكى وقال يا رب فضّلته علي فضَّلتَه علي، هذا شاب ولد جديدا يدخل الجنة بسببه أكثر من بني إسرائيل فضلته علي،

فضلته علي، قال الرسول صلى الله عليه وسلم لجبريل: من هذا المتكلم؟ قال: هذا موسى بن عمران؟ قال: ما يقول؟ قال: يخاصم، قال: يخاصم من؟ قال: يخاصم ربه، فذهبا فوقع بصر البراق على السماء السابعة فوقع حافره عليها فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وهل بعث إليه؟ قال: بعث إليه، فتحوا فوجدا إبراهيم الخليل، فسلم عليه وقال: مرحبا بالنبي الصالح مرحبا بالولد الصالح، سماه ولدا أيضا، فوجد إبراهيم جالسا على كرسي مسندا ظهره على البيت المعمور[1] تحت سدرة المنتهى عنده أولاد المسلمين الذين يموتون قبل البلوغ وهو يتكفل بتربيتهم وكفالتهم وتعليمهم القرآن، فتجاوز جبريل فقال للرسول صلى الله عليه وسلم: هاهنا منتهاي، لا يمكنني أن أتجاوز هذا المقام، قال له الرسول صلى الله عليه وسلم في مثل هذا السير يترك الخليل خليله؟ قال: أمامنا سبعون ألف حضرة إذا دنوت لواحدة منها حرقت كما تحرق الشعرة إذا جعلت في النار، فانتهى جبريل ومضى الرسول صلى الله عليه وسلم وصار الملائكة يتلقون له حتى تجاوز الحضرات كلا، مر بجماعة من الملائكة يمشون دائما فسأل إلى أين؟ فقال له الملك: لا أدري، منذ أربعمائة ألف سنة وأنا واقف هنا وهم يمرون لا أدري من أين يأتون ولا أين يذهبون[2]، "وما يعلم جنود ربك إلا هو" ورأى بعضا

---

[1] – من حديث الإسراء عند مسلم عن أنس قوله صلى الله عليه وسلم: (... ثم عرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد صلى الله عليه وسلم، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا **بإبراهيم صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره إلى البيت المعمور** وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه...) صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض الصلوات (234).

[2] – روح البيان ج93/1.

من الملائكة قائمين دائما، وبعضا منهم ركوعا، وبعضا منهم سجودا، وبعضا منهم جلوسا، فاستحسن هذا صلى الله عليه وسلم، ذهب حتى تجاوز المخلوقات جميعا[1]. الله تبارك وتعالى خلائقه لا يعلمها إلا هو "وما يعلم جنود ربك إلا هو" خلق ألف أمة ستمائة في البحر وأربعمائة في البر[2]، في البحر تجد سمكة تنظر إليها مدى بصرك لا تعرف منتهاها[3]، وتجد سمكة صغيرة لا يمكن إدراكها بالبصر، وأن الله خلق ثلاثين عالَما لا يعلمون أن الله يُعصى، قال الصحابة: أمن أولاد آدم؟ قال: لا يعلمون أن الله خلق آدم، قالوا: أين إبليس منهم؟ قال: لا يعلمون أن الله خلق إبليس[4]. كان سليمان بن داود لما ملّكه الله الدنيا وما فيها من الأنعام والوحوش وحيوانات البر والبحر والجن والإنس سأل الله تبارك وتعالى أن يوليه نفقة مخلوقاته قيل له: لا تقدر. قال: سنة كاملة قيل: لا تقدر. قال: شهرا، قيل: لا تقدر. قال: يوما، قيل: لا تقدر. قال: أصنع لهم وليمة مرة واحدة، فقيل له: نعم افعل. أمر

---

1 – تجاوزه صلى الله عليه وسلم السماوات السبع والعرش والكرسي، انظره في روح البيان ج121/5.

2 – جاء في كنز العمال: إن الله خلق ألف أمة ستمائة منها في البحر وأربعمائة في البر، فأول هذه الأمم هلاكا الجراد فإذا هلك الجراد تتابعت الأمم مثل نظام السلك إذا انقطع. الحكيم وأبو يعلى والبيهقي في الشعب عن عمر. كنز العمال/ الإكمال من الجراد (35295).

3 – جاء في روح البيان أن سليمان بن داود عليهما السلام سأل عن ملك البحر فخرجت إليه دابة من البحر فجعلت تنسل من حيث طلعت الشمس حتى انتصف النهار تقول هذا ولما يخرج نصفي بعد، فتعوذَ بالله من البحر ومن ملكه. روح البيان 147/9.

4 – قال القرطبي في قوله تعالى "ويخلق ما لا تعلمون": روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها أرض بيضاء مسيرة الشمس ثلاثين يوما مشحونة خلقا لا يعلمون أن الله تعالى يعصى في الأرض، قالوا: يا رسول الله من ولد آدم؟ قال: لا يعلمون أن الله خلق آدم، قالوا: يا رسول الله فأين إبليس منهم؟ قال: لا يعلمون أن الله خلق إبليس، ثم تلا "وَيخلق ما لا تعلمون". المجلد الخامس ج10/ص80.

الجن والإنس أن يشتغلوا في صنع الطعام فإن الله تبارك وتعالى رضي منه أن يصنع مائدة لجميع خلقه، فاشتغلوا حتى هيأوا مائدة طولها مائة وعشرون فرسخا، ملأها من أنواع الأطعمة فدعا المخلوقات فخرجت دابة واحدة من البحر فأكلت الجميع وقالت زدني هذا ثلث ما كنت آكل في اليوم، واليوم وكِلتُ إليك، نفد ما عنده وبقي الحوت جائعا "وما يعلم جنود ربك إلا هو". فلما وصل المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى الجنة ودخل فيها ورأى الأنهار تجري قال رأيت امرأة جميلة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، فتذكرت غيرته فوليت مدبرا، فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟[1] فلما وصل إلى حضرة الله تبارك وتعالى حيث لا أين ولا كيف قال: التحيات لله الزاكيات لله الطيبات الصلوات لله، قال الحق: السلام عليك أيها النبيء ورحمة الله. لما سمع السلام من الجليل تحقق سلامته هو فأراد سلامتنا نحن قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. فقالت الملائكة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله. أوجب الله عليه خمسين صلاة في اليوم والليلة والغسل من الجنابة سبع مرات[2] وعلمه علم الأولين والآخرين وزاده عليه وانصرف صلى الله عليه

---

[1] – جاء في صحيح البخاري عن ابن شهاب قال أخبرني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال: (بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرت غيرته فوليت مدبرا) فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله. صحيح البخاري: كتاب المناقب/ باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي (3680) وفي صحيح مسلم عن جابر : كتاب فضائل الصحابة/ باب من فضائل عمر (4408).

[2] – ذكره في روح البيان نقلا غن ابن عمر رضي الله عنه. ج5/ 123.

وسلم حتى وصل إلى موسى في السماء السادسة فقال: إن الذي كان أشد علينا في الذهاب وجدناه أشد رحمة بأمتي في الإياب[1]، سأل الرسولَ صلى الله عليه وسلم ما فعل الله بك؟ قال: أكرمني وأوجب على أمتي خمسين صلاة في اليوم والليلة. قال: ارجع إليه إن أمتك لا تطيق هذا فرجع، فحط الله تبارك وتعالى خمس صلوات ورجع إلى موسى قال: ارجع أيضا، قال: فما زلت أرجع إلى ربي وأسأله التخفيف وأرجع إلى موسى وموسى يقول لي: أمتك لا تطيق هذا، حتى صارت خمس صلوات في اليوم والليلة فلما رجع قال له موسى: ارجع سله التخفيف أيضا قال: راجعت ربي حتى استحييت، وقال له الحق تبارك وتعالى كنت أوجبت على أمتك خمسين صلاة واليوم أوجبت عليهم خمس صلوات ومن جاء بحسنة فله عشر أمثالها تلك خمسون ما يبدل القول لدي[2]. في مدة الصلاة الإنسان يقف كما رأى صلى الله عليه وسلم الملائكة وقوفا ويركع كما رأى الملائكة ركوعا ويسجد كما رأى الملائكة سجودا، لهذا تجلى ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم في صلاتنا، ولحكمة أخرى أن الله تبارك وتعالى خلق الخلق كلا لبني آدم "خلق لكم ما في الأرض جميعا" كل ما في الأرض فهو لنا، وما خلق الله على ثلاثة أقسام: قسم قائم دائما، وقسم راكع دائما، وقسم ساجد دائما. قسم قائم كالأشجار وما شاكلها قائم دائما، حيث أنها نعمة لنا يجب شكرها فالقائم في الصلاة يؤدي شكر ما خلق الله له قائما؛ وفي بعض المخلوقات ما هو راكع دائما كالدواب والأنعام كل ما يمشي

---

1 - ابن كثير ج21/3.

2 - حديث الإسراء في الصحيحين عن أبي ذر، صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء/ باب في ذكر إدريس جد نوح (3342) وفي صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات (237).

على أربع أرجل فهو راكع. الركوع شكر لنعمة ما خلق الله للإنسان راكعا؛ وما لم يكن قائما ولا راكعا فهو ساجد. السجود الالتصاق بالأرض كما هو حال الحشرات والهضاب ونحو ذلك سجود دائما فنسجد شكرا لنعمة الله تبارك وتعالى بتلك الأشياء. والعارف في سيره يشاهد ما يشاكل حاله، فالرسول صلى الله عليه وسلم ترك الأنبياء جميعا والمرسلين ببيت المقدس. كلهم بقوا هنالك وذهب هو، وما أتى لسماء من السماوات إلا وجد بعض الأنبياء فيها. وذلك لمناسبة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أولئك الأنبياء. فالمناسبة بين النبي وآدم، الرسول صلى الله عليه وسلم وجد آدم في السماء الأولى لأن حالة النبي صلى الله عليه وسلم الأولى تشاكل حالة آدم، آدم خلقه الله وجعله خليفة وأنزله الجنة وأباح له كل ما في الجنة فأخرجه عدوه منها هو وزوجته فأتيا للأرض وهذا يشبه حالة النبي صلى الله عليه وسلم ولد بمكة حرَمِ الله تبارك وتعالى، لا يحب غيرها ولا يعرف غيرها فأخرجه أعداؤه منها، فذهب إلى المدينة غريبا، فلهذا صادف آدم في السماء الدنيا، ولما وصل إلى المدينة أتته حالة ثانية وجد اليهود هنالك فصاروا أعداء له واليهود هم أعداء عيسى وهم أعداء يحيى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى فرفعه الله فلهذا لما صارت حالته الثانية معاداة اليهود لقي في السماء الثانية عيسى ويحيى؛ وانتقل إلى حالة ثالثة جاهد حتى فتح مكة وجاء قريش يعتذرون إليه فقال لهم: "لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم" هذا يشبه حالة يوسف، يوسف لما أتاه إخوته وقالوا له "تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم" والرسول يوم فتح مكة قال "لا تثريب عليكم" قلت ما قال أخي يوسف، هذه حالته الثالثة. وحالته الرابعة لما دوخ جزيرة العرب صار يكتب إلى جميع ملوك الدنيا يدعوهم إلى الإسلام أو يحاربهم، وإدريس أول من خط بالقلم هو أول من كتب، فلما كان

حالته الرابعة هي حالة إدريس وجد إدريس في السماء الرابعة. والحالة الخامسة لما صار النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الحالة أحبه قريش محبة أشد من محبة بني إسرائيل لهارون، وهارون كان هو المحبب في قومه فكانت حالته الخامسة تشاكل حالة هارون فلهذا لقي هارون في السماء الخامسة. وحالته السادسة هي غزوه الجبارين، موسى أمر أن يدخل الأرض المقدسة لمحاربة الجبارين والرسول صلى الله عليه وسلم لما دوخ العرب أمر بغزو الجبارين فارس والروم فابتدأ بغزوة تبوك وأرسل إلى البلقان، وتوفي فتمادى الخلفاء على محاربة الجبارين، فتلك حالة موسى فلهذا لقي موسى في السماء السادسة، ولما كان الحج هو حالة إبراهيم هو الذي بنى الكعبة ودعا إلى الحج فالنبي صلى الله عليه وسلم حالته السابعة هي الحج حجة الوداع. لهذا صادف هؤلاء الأنبياء في هذه السماوات[1]. والرسول صلى الله عليه وسلم لما أسرى الله به، أطلعه على جماله وقربه قربا ما سبق لمخلوق قبله ولا بعده،

1 – أورد هذه المناسبات ابن حجر في فتح الباري قال: وقيل: الحكمة في الاقتصار على هؤلاء المذكورين للإشارة إلى ما سيقع له صلى الله عليه وسلم مع قومه من نظير ما وقع لكل منهم، فأما آدم فوقع التنبيه بما وقع له من الخروج من الجنة إلى الأرض بما سيقع للنبي صلى الله عليه وسلم من الهجرة إلى المدينة، والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة وكراهة فراق ما ألفه من الوطن، ثم كان مآل كل منهما أن يرجع إلى موطنه الذي أخرج منه، وبعيسى ويحيى على ما وقع له من أول الهجرة من عداوة اليهود وتماديهم على البغي عليه وإرادتهم وصول السوء إليه، وبيوسف على ما وقع له من إخوته من قريش في نصبهم الحرب له وإرادتهم هلاكه وكانت العاقبة له، وقد أشار إلى ذلك بقوله لقريش يوم الفتح "أقول كما قال يوسف : لا تثريب عليكم" وبإدريس على رفيع منزلته عند الله، وبهارون على أن قومه رجعوا إلى محبته بعد أن آذوه، وبموسى على ما وقع له من معالجة قومه وقد أشار إلى ذلك بقوله: "لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر" وبإبراهيم في استناده إلى البيت المعمور بما ختم له صلى الله عليه وسلم في آخر عمره من إقامة منسك الحج وتعظيم البيت، وهذه مناسبات لطيفة أبداها السهيلي فأوردتها منقحة ملخصة. فتح الباري شرح صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار/ باب المعراج شرح الحديث رقم 3887.

جذبه بجذبات ادن، ادن، ادن. فأوجب عليه الصلاة لما شاهد من جمال الله تبارك وتعالى، لهذا كانت الصلاة ناشئة من محبة، ناشئة من مشاهدة جمال الله تبارك وتعالى، وحيث أن ديننا الإسلامي هدفه شيئان: الأول تعظيم الخالق تبارك وتعالى، والثاني طلب السلام، فلهذا كُلفنا بالصلاة التي هي أول ركن فيها الله أكبر تعظيم الخالق، وآخر الصلاة ما هو؟ السلام عليكم. تعظيم الخالق والسلام هو ديننا. إذا تفكرت في الصلاة لا ترى إلا شيئا يؤذن بتعظيم الخالق أو شيئا يطلب سلامة العبد. (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل إذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم قال الله تعالى: أثنى علي عبدي وإذا قال: ملك يوم الدين قال: مجدني عبدي فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين" قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل[1]، "اهدنا الصراط المستقيم" إلى آخر الصلاة طلب السلام فقط، الصلاة أولها تعظيم الخالق وآخرها طلب السلام. والإسلام دين التعظيم ودين السلام. ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلاً﴾ تفوضون إليه أمركم ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ كثير

---

1 – عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثا غير تمام، فقيل لأبي هريرة إنا نكون وراء الإمام فقال: اقرأ بها في نفسك، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني: عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم قال الله تعالى أثنى علي عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين قال: مجدني عبدي وقال مرة: فوض إلي عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل . صحيح مسلم: كتاب الصلاة / باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ..(598).

الشكر ﴿وَقَضَيْنَا﴾ أوحينا ﴿إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض الشام بالمعاصي ﴿مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ تبغون بغيا عظيما ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَيْهُمَا﴾ أولى مرتي الفساد ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أصحاب قوة في الحرب ﴿فَجَاسُواْ﴾ ترددوا لطلبكم ﴿خِلاَلَ الدِّيَارِ﴾ وسط دياركم ليقتلوكم ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً﴾ وقد أفسدوا الأولى بقتل زكرياء فبعث عليهم جالوت وجنوده فقتلوهم وسبوا أولادهم وخربوا بيت المقدس ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾ الدولة والغلبة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بعد مائة سنة ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ عشيرة وقلنا ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ بالطاعة ﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ لأن ثوابه لها ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بالفساد ﴿فَلَهَا﴾ إساءتكم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾ المرة ﴿الآخِرَةِ﴾ بعثناهم ﴿لِيَسُوءُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ يحزنوكم بالقتل والسبي حزنا يظهر في وجوهكم ﴿وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ﴾ بيت المقدس فيخربوه ﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾ وخربوه ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ﴾ يهلكوا ﴿مَا عَلَوْاْ﴾ غلبوا عليه ﴿تَتْبِيرًا﴾ هلاكا، وقد أفسدوا ثانيا بقتل يحي فبعث عليهم بختنصر فقتل منهم سبعين ألفا[1] ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَّرْحَمَكُمْ﴾ بعد المرة الثانية إن تبتم ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ إلى الفساد ﴿عُدْنَا﴾ وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فسُلط عليهم النبي صلى الله عليه وسلم بقتل قريظة ونفي النضير وضرب الجزية عليهم (..)[2] ﴿وَجَعَلْنَا

---

1 – جاء في تفسير القرطبي: وذكر ابن عباس أن الملك لما دعا بطست وذبح فيه يحيى بن زكرياء ندّت قطرة من دمه على وجه الأرض فلم تزل تغلي حتى بعث الله عليهم بختنصر فألقى في نفسه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن ذلك الدم، فقتل عليه منهم سبعين ألفا وفي رواية خمسة وسبعين ألفا. قال سعيد بن المسيب هي دية كل نبي. القرطبي 219/10.

2 – هنا قال الشيخ: ونرجو أن يسلط عليهم كذلك جمال عبد الناصر.

جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ محبسا وسجنا ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ القرآن يهدي إلى الطريقة التي هي أقوم في الدنيا والآخرة ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَ﴾ يخبر ﴿أَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ﴾ على نفسه وأهله ﴿دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾ بالدعاء على نفسه ﴿وَجَعَلْنَا الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ دالتين على قدرتنا ﴿فَمَحَوْنَا ءَايَةَ الَّيْلِ﴾ طمسنا نورها ﴿وَجَعَلْنَا ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي مبصرا فيها بالضوء ﴿لِتَبْتَغُواْ﴾ فيه ﴿فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بالكسب ﴿وَلِتَعْلَمُواْ﴾ فيهما ﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ للأوقات ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ بيناه تبيينا ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾ عمله يحمله ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ خص بالذكر لأن اللزوم فيه أشد، ما من مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أم سعيد[1] ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾ مكتوبا فيه عمله ﴿يَلْقَاهُ مَنشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ محاسبا ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن إثمه عليها ﴿وَلاَ تَزِرُ﴾ نفس ﴿وَازِرَةٌ﴾ آثمة لا تحمل ﴿وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ أحدا ﴿حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ نبين له ما يجب عليه ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ منعميها بمعنى رؤسائها ﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ فخرجوا عن أمرنا ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ بالعذاب ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريبها ﴿وَكَمْ﴾ كثيرا ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عالما ببواطنها وظواهرها ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ بعمله أي الدنيا

---

1 – تفسير الجلالين ج344/2.

﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا﴾ يدخلها ﴿مَذْمُومًا﴾ ملوما ﴿مَدْحُورًا﴾ مطرودا عن الرحمة ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ عمل عملها اللائق بها ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ عند الله تبارك وتعالى ﴿كُلاًّ﴾ من الفريقين ﴿نُمِدُّ﴾ نعطي ﴿هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ﴾ فيها ﴿مَحْظُورًا﴾ أي ممنوعا من أحد ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ في الرزق والجاه ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ من الدنيا فينبغي الاعتناء بها دونها ﴿لاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً﴾ لا ناصر لك ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾ أمر ربك ﴿أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ﴿وَ﴾ أن تحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ بأن تبروهما ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾ أي قبحا أو تبا ﴿وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾ تزجرهما ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ جميلا لينا ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ ألِن لهما جانبك ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ برقتك عليهما ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ تدعو الله لوالديك، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (رغم أنفه رغم أنفه من أدرك والديه أو أحدهما و لم يدخل الجنة)[1] ويقول صلى الله عليه وسلم: لولا مخافتي ما تحدثون بعدي لقلت إني ضمنت الجنة لأربعة: من بر أبويه وامرأة تصدقت بصداقها لله وبعلها راض لذلك، وصاحب عيال يسعى ويجتهد لأن يطعمهم حلالا، وتائب

---

1 – عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه) قيل: من يا رسول الله؟ قال: (من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة). صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب /باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة (4628).

تاب من الذنب ونوى أن لا يعود إلى ذنب ما لم يرجع اللبن إلى الضرع، هؤلاء الأربعة لولا أن أخاف أن يحدثوا أمرا لقلت إني ضمنت لهم الجنة[1] «ولا تنهرهما» تزجرهما «وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا» ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ من إضمار البر والعقوق ﴿إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ﴾ طائعين ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ﴾ الرجاعين إلى طاعته ﴿غَفُورًا﴾ لما صدر منهم ﴿وَءَاتِ﴾ أعط ﴿ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ من البر والصلة ﴿وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ بالإنفاق في غير طاعة الله ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ على طريقتهم ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ شديد الكفر ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ لطلب رزق تنتظره يأتيك ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا﴾ لينا سهلا ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ لا تمسكها عن الإنفاق كل المسك ﴿وَلاَ تَبْسُطْهَا﴾ في الإنفاق ﴿كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ منقطعا لا شيء عندك ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَّشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عالما ببواطنهم وظواهرهم ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ﴾ بالوأد ﴿خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ الرزق على الله ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا﴾ إثما ﴿كَبِيرًا وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى﴾ أبلغ من لا تأتوه ﴿إِنَّهُ﴾ الزنا ﴿كَانَ فَاحِشَةً﴾ قبيحا ﴿وَسَاءَ﴾ بئس ﴿سَبِيلاً﴾ قال بعض

---

1 – ورد في روح البيان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لولا أني أخاف تغير الأحوال عليكم بعدي لأمرتكم أن تشهدوا لأربعة أصناف بالجنة: أولهم امرأة وهبت صداقها من زوجها لأجل الله تعالى وزوجها راض، الثاني ذو عيال كثير يجهد في المعيشة لأجلهم حتى يطعمهم الحلال، الثالث التائب على ألا يعود إليه أبدا كاللبن لا يعود إلى الثدي، الرابع البار بوالديه) روح البيان ج5/ 149.

السلف احذروا من الزنا فإن فيه ست خصال ثلاثا في الدنيا وثلاثا في الآخرة، ففي الدنيا يذهب ببركة الرزق يكون صاحبه فقيرا، ويذهب ببهاء الوجه فيكون مبغضا عند المسلمين ولو كان جميلا، ويسبب المرض، هذا في الدنيا، وفي الآخرة شدة الحساب، وشدة غضب الله تبارك وتعالى، ودخول النار[1] ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ﴾ وارثه ﴿سُلْطَانًا﴾ تسلطا ﴿فَلاَ يُسْرِف﴾ يتجاوز ﴿فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ﴾ إذا عاهدتم ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أتموه ﴿إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالْقُسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ مآلا ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾ القلب ﴿كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا﴾ ذا مرح بالكبر والخيلاء ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ﴾ تثقبها حتى تبلغ آخرها بكبرك ﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾ المعنى أنك لا تبلغ هذا المبلغ فكيف تختال ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيٍّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ هذه خمس وعشرون

---

[1] - جاء في كشف الخفاء: (الزنا يورث الفقر) حديث رقم 1427

قال في المقاصد رواه الديلمي والقضاعي وابن ماجه عن ابن عمر رفعه، وعنده أيضا من حديث ابن أبي الدنيا عن علي رفعه: (في الزنا ست خصال ثلاثة في الدنيا – وذكر منها الفقر – وثلاثة في الآخرة، انتهى، ولم يذكر بقية الست الخصال. وروى في الكشاف بلفظ يا معشر الشبان اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال ثلاثا في الدنيا وثلاثا في الآخرة فأما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما اللاتي في الآخرة فيوجب السخط وسوء الحساب والخلود في النار انتهى. قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديثه: رواه البيهقي في الشعب وابن مردويه وابن أبي حاتم وأبو نعيم في الحلية عن حذيفة بلفظ يا معشر الناس وفي آخره ثم تلا "أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون".

خصلة[1] ﴿وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ﴾ بذلك ﴿قَوْلاً عَظِيمًا وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بينا ﴿فِي هَذَا الْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلاَّ نُفُورًا﴾ عن الحق ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ﴾ لو كان مع الله آلهة ﴿إِذًا لَّابْتَغَوْاْ﴾ طلبوا ﴿إِلَى ذِي الْعَرْشِ﴾ الله ﴿سَبِيلاً سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا تُسَبِّحُ لَهُ﴾ ينزهه ﴿السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ السماوات والأرض وما فيهن من المخلوقات يسبحون لله تبارك وتعالى ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ﴾ من المخلوقات ﴿إِلاَّ يُسَبِّحُ﴾ متلبسا ﴿بِحَمْدِهِ﴾ لا ترى مخلوقا إلا وهو يسبح لله تبارك وتعالى ﴿وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ لكنْ بنو آدم لا يسمعون لغة هؤلاء الأشياء. الله تبارك وتعالى ما من شيء إلا ويسبح له وذلك بالأسماء العاليات، ذلك أن الله تبارك وتعالى تجلى بالأسماء كما تجلى بالذات وكما تجلى بالصفة فعلى هذا لا تجد ذرة في الكون إلا وهي قائمة باسم من أسماء الله تبارك وتعالى[2] لا تقوم ذرتان على اسم واحد ولا يتجلى اسم واحد في ذرتين، فعلى هذا كل ذرة في الوجود لها اسم خاص بها وتسبيحها ذكر ذلك الاسم. قَبض الرسول صلى الله عليه وسلم قبضة من الحصى فسبحت في يديه صلى الله عليه وسلم ووضعها في الأرض فسكتت، فأخذها وجعلها في كف أبي بكر فسبحت، ووضعها في كف عمر فسبحت، وفي كف عثمان فسبحت[3] يقول العلماء إن الله خلق فيها أرواحا حتى سبحت، وهذا

---

[1] - الصاوي ج350/2.

[2] - جواهر المعاني ج1/ 138.

[3] - جاء في كنز العمال في الحديث رقم 35409: عن سويد بن يزيد السلمي عن أبي ذر قال: لا أذكر عثمان إلا بخير بعد شيء رأيته، كنت رجلا أتتبع خلوات رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعلم منه، فرأيته

تكلف «وإن من شيء إلا يسبح بحمده» الأشياء كلها تسبح لكن بلغتها التي تعلم لا باللغة التي يعلم بنو آدم، ولغتها هي لسان حالها. كل شيء له لسان حال ولسان مقال، لسان حال هو ما فعل، أنا جالس على الكرسي بين أحبابي أفسر القرآن هذا كلام لسان حالي الآن «وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم» ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ ساترا لك ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَنْ يَّفْقَهُوهُ﴾ أن يفهموه ﴿وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ بسببه ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ يتناجون ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ في تناجيهم ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾ مخدوعا مغلوبا على عقله ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ بالمسحور والكاهن والشاعر ﴿فَضَلُّواْ﴾ بذلك عن الهدى ﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ طريقا إليه

يوما خاليا وحده، فاغتنمت خلوته فجئت حتى جلست إليه، فقال: يا أبا ذر ما جاء بك؟ قلت: الله ورسوله، فجاء أبو بكر فسلم ثم جلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا أبا بكر ما جاء بك؟ قال: الله ورسوله، ثم جاء عمر فسلم وجلس عن يمين أبي بكر، فقال: يا عمر ما جاء بك؟ قال: الله ورسوله، ثم جاء عثمان فسلم ثم جلس عن يمين عمر، فقال: يا عثمان ما جاء بك؟ قال: الله ورسوله، وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع حصيات - أو قال: تسع حصيات - فأخذهن فوضعهن في كفه، فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم أخذهن فوضعهن في يدي أبي بكر، فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر، فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان، فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذه خلافة النبوة. كنز العمال / باب تتمة المعجزات ودلائل النبوة. قال ابن حجر في فتح الباري: أخرجه البزار والطبراني في «الأوسط» وفي رواية الطبراني «فسمع تسبيحهن من في الحلقة» وفيه «ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا»

﴿وَقَالُواْ﴾ منكرين للبعث ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ يعظم عن قبول الحياة فضلا عن العظام والرفات فلا بد من إيجاد الروح فيكم ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُّعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ولم تكونوا شيئا ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ يحركون ﴿إِلَيْكَ رُءوسَهُمْ﴾ تعجبا ﴿وَيَقُولُونَ﴾ استهزاء ﴿مَتَى هُوَ﴾ البعث ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَّكُونَ قَرِيبًا يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ يناديكم من القبور على لسان إسرافيل ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ تجيبون دعوته ﴿بِحَمْدِهِ﴾ بأمره ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾ لهول ما ترون ﴿وَقُل لِّعِبَادِي﴾ المؤمنين ﴿يَقُولُواْ﴾ للكفار الكلمة ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ بين العداوة ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَّشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ بالتوبة والإيمان ﴿أَوْ إِنْ يَّشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ بالموت على الكفر ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾ فتجبرهم على الإيمان ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيخصهم بما شاء على قدر أحوالهم ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ بتخصيص كراماتهم كل منهم بفضيلة كموسى بالكلام وإبراهيم بالخلة ومحمد بالإسراء ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا قُلْ﴾ لهم ﴿ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنهم آلهة ﴿مِن دُونِهِ﴾ كالملائكة وعيسى وعزير ﴿فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً﴾ له إلى غيركم ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هم آلهة ﴿يَبْتَغُونَ﴾ يطلبون ﴿إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ أي القربة بالطاعة ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ إليه فكيف بغيره ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ كغيرهم فكيف تدعونهم آلهة ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا وَإِن مِّن قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بالموت ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ﴾ التي اقترحها أهل مكة ﴿إِلاَّ أَن

كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾ لما أرسلناها فأهلكناهم ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكذبوا بها واستحقوا الهلاك، وقد حكمنا بإمهالهم لإتمام أمر محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَءاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ﴾ آية ﴿مُبْصِرَةً﴾ بينة واضحة ﴿فَظَلَمُواْ﴾ كفروا ﴿بِهَا﴾ فأهلكوا ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ علما وقدرة فهم في قبضته فبلّغهم ولا تخف أحدا فهو يعصمك منهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ عيانا ليلة الإسراء[1] ﴿إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ أهل مكة إذ كذبوا بها ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ﴾ الزقوم ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بها ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تخويفنا ﴿إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾ سجود تحية ﴿فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ ءَاسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ من طين ﴿قَالَ أَرَايْتَكَ﴾ أخبرني ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ﴾ فضلت ﴿عَلَيَّ﴾ بالأمر بالسجود له وأنا خير منه خلقتني من نار ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ لأستأصلن ﴿ذُرِّيَّتَهُ﴾ بالإغواء ﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾ منهم ﴿قَالَ﴾ له ﴿اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾ أنت ومن تبعك منظرا إلى يوم الوقت المعلوم وهي النفخة الأولى ﴿جَزَاءً مَّوْفُورًا﴾ وافرا كاملا ﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾ استخف ﴿مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ بدعائك بالغناء والمزامير ﴿وَأَجْلِبْ﴾ صح ﴿عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ وهم الركاب والمشاة في المعاصي ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ المحرمة كالربا والغصب ﴿وَالْأَوْلاَدِ﴾ من الزنا ﴿وَعِدْهُمْ﴾ بأن لا بعث ولا جزاء ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ

---

1 – جاء في صحيح البخاري: عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى "وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس" قال هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به إلى بيت المقدس، قال: "والشجرة الملعونة في القرآن" قال هي شجرة الزقوم. صحيح البخاري: كتاب المناقب/ باب المعراج (3888)

الشَّيْطَانُ إلاَّ غُرُورًا إنَّ عِبَادِي﴾ المؤمنين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ تسلط وقوة ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ﴾ السفن ﴿فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ﴾ تعالى ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ في تسخيرها لكم. ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ الشدة ﴿فِي الْبَحْرِ﴾ خوف الغرق ﴿ضَلَّ﴾ غاب عنكم ﴿مَن تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿إلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ﴾ من الغرق وأوصلكم ﴿إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن التوحيد ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا﴾ جحودا للنعم ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَنْ يَّخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ كقارون ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ يرميكم بالحصباء كقوم لوط ﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً﴾ حافظا منه ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُّعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ في البحر ﴿تَارَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ ريحا شديدة لا تمر بشيء إلا قصفته فتكسر فُلْككم ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بكفركم ﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ ناصرا أو تابعا يطالبنا بما فعلنا بكم. ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ﴾ بالعلم والنطق واعتدال الخلق وغير ذلك ومنه طهارتهم بعد الموت. الله تبارك وتعالى خلق الأشياء وكرم بني آدم، فضل بني آدم على جميع ما خلق، فالخلق قسم منه روحاني ليس لهم أجسام ولا يأكلون ولا يشربون ولا شهوة لهم، هؤلاء الملائكة، وقسم بهائم يأكلون ويشربون، غاية ما عندهم من العقل الأكل والشرب، شغْلهم بطونهم وفروجهم، والإنسان جعله الله واسطة بين هذين، فيه روحانية تشاكل روحانية الملائكة، وفيه حيوانية تشاكل حيوانية البهائم. الإنسان يصلح أن يكون ملكا كما يصلح أن يكون بهيمة وكما يصلح أن يكون شيطانا وكما يصلح أن يكون سبعا يفترس. الإنسان فيه قوة الغضب، والغضب مقتضاه الافتراس كالسبع، الإنسان إذا تبع حالة الغضب حتى كان شغله أن يفترس فقط كالسباع فقد خرج من حكم الإنسانية إلى حكم السبُعية فهو سبع وشر من السبع، وإذا تبع قوة شهوته فلم

يشتغل إلا ببطنه وفرجه يصير بهيمة "إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل" وإذا صار بهيمة فهو شر من البهائم لأنه ضيع الروحانية. وإذا اشتغل بالمكر والخديعة والخيانة كالشياطين حتى صار ذلك دأبه صار كأنه إنسان صورة وهو في الحقيقة شيطان وشر من الشياطين. وإذا جاهد النفس حتى طهرها من البهيمية والسبعية والشيطانية وألحقها بالملائكة بكثرة العبادة وذكر الله وصفاء المعرفة والقرب من الله، يصير من جملة الملائكة وهو خير من الملائكة، فلهذا الإنسان صلح أن يقول فيه الله تبارك وتعالى "أولئك هم شر البريئة" كما قال فيه "أولئك هم خير البريئة" "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين"، إذا لحق بالملائكة فهو أفضل ما خلق الله، وإذا انحط إلى البهائم أو إلى الشياطين أو إلى السباع فهو شر البرية. كل إنسان خليفة عن الله تبارك وتعالى في جزء من الموجودات، كل إنسان رب شيء، كل إنسان ملك لأن الله تبارك وتعالى ملك، وجعل الإنسان خليفة عنه، الملك قلت عنده المراكب وعنده الخدام وعنده المترجمون وعنده الجواسيس يأتونه بالأخبار. فالإنسان كل إنسان عنده رجلاه تصلحان للوصول إلى أي محل شاء، هذه مراكبه كمراكب الدولة، وله عبيد يخدمونه: يداه، فكل ما أراد أن يعمل فيداه صالحتان لكل عمل، عبيد يخدمونه دائما ليس منك إنما هو من الله تبارك وتعالى، وعنده حراس يحرسونه دائما: العينان لا يشتغلان إلا في حراسته، وله جواسيس يأتونه بالأخبار: الأذنان يستمعان للأخبار، وله ترجمان: اللسان كل ما هم القلب أن ينطق به بلغه اللسان. هذا مِلك صغير، ومع ذلك فهو يركب "وحملناهم في البر والبحر" كرمهم وحملهم. أما السر الذي في الركوب فلا يتأتى أن ينطق به «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ» ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ﴾ على الدواب ﴿وَالْبَحْرِ﴾ على السفن، الإنسان قبل أن يولد كان في بطن أمه وإذا خرج من بطن أمه يركب على ظهر أمه

وإذا نشأ يركب على الدواب والسفن والسيارات والطائرات، حتى إذا مات يركب على النعش حتى يبلغ القبر، إن كان كريما عند ربه يواصل ركوبه حتى يدخل الجنة، وإن كان قد أساء المعاملة بينه وبين ربه هنالك ينعزل، ولكن هو من نشأته إلى وصوله إلى القبر فهو راكب دائما وسر الركوب قلت لا يتأتى أن يذكر ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ كالبهائم والوحوش ﴿تَفْضِيلاً يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ أي نبيهم يقال يا أمة فلان يا أمة فلان، كفانا فخرا إذا قيل لنا يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم، أو «بإمامهم» بأمهاتهم[1]، فيوم القيامة ينادى الشخص يا فلان ابن فلانة، ينسب الأولاد إلى أمهاتهم سترا للأولاد الذين ليس لهم نسب، لأنه إذا دعي كل منهم باسم أبيه فالذين لا أب لهم يفتضحون. فلهذا الله تبارك وتعالى ستار يقول يا فلان ابن فلانة ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ وهم السعداء أولوا البصائر في الدنيا ﴿فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون من أعمالهم ﴿فَتِيلاً﴾ قدر قشرة النواة ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ﴾ الدنيا ﴿أَعْمَى﴾ عن الحق ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ عن طريقة النجاة ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ أبعد طريقا.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ سبب نزول هذه الآية أن قوم ثقيف أتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا نحن نقبل الإسلام بشرط، نكون مسلمين وتجعل لنا شيئا نفتخر به على سائر أحياء العرب تجعل وادينا حرما كحرم

1 – جاء في تفسير القرطبي ج10/ 297: وقال محمد بن كعب: "بإمامهم" بأمهاتهم وإمام جمع أم، قالت الحكماء: وفي ذلك ثلاثة أوجه من الحكمة أحدها لأجل عيسى، والثاني إظهار لشرف الحسن والحسين، والثالث لئلا يفتضح أولاد الزنا.

مكة، وألحوا عليه قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم إنه ليس إلى ذلك سبيل[1] فقال ﴿وَإِن كَادُواْ﴾ قاربوا ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾ ليستنزلونك ﴿عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾ بأن تجعل حرما غير حرم الله ﴿وَإِذًا﴾ لو فعلت ذلك ﴿لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ﴾ لولا أن الله تبارك وتعالى ثبتك على الحق بالعصمة ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا﴾ ركونا ﴿قَلِيلاً﴾ لولا عصمة الله لكنت تميل إلى ما دعوك إليه لحرصك على إيمانهم وإلحاحهم عليك. الرسول صلى الله عليه وسلم لم يركن ولا قارب الركون لأن العصمة سبقت ﴿إِذًا﴾ لو ركنت ﴿لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ عذاب مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة، وهذا ليس فيه شيء يمس جانب النبي صلى الله عليه وسلم، إنما المخاطب هو لأنه وعاء الوحي والمقصود غيره ﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ مانعا منه ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ سبب نزولها أن اليهود أتوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن كنت نبيا حقا فالحق بالشام نحن نرى فيك الدلائل ولكن الأنبياء مسكنهم الشام، إذا انتقلت إلى الشام فنحن نؤمن بك، ونحن العلماء، إذا آمنا بك آمن بك جميع البشر، الحَقْ بالشام، انتقل من المدينة ومرادهم إخراجه من المدينة فقط، فمنعه الله تبارك وتعالى من ذلك ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ يخرجونك من أرض المدينة[2] ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا﴾ لو أخرجوك ﴿لاَ يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ﴾ فيها ﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾ ثم يهلكون، لو يعلمون أنك لو خرجت من المدينة لنزلت بهم المصائب وهلكوا لما طلبوا ذلك ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾

---

1 - حاشية الصاوي على الجلالين ج2/ 358.

2 - القرطبي ج10/ 301 عن ابن عباس.

كلما خرج نبي من أرض هلك قومه بعده ﴿وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾ تبديلا ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ من وقت زوالها ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ أقم الصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ صلاة الصبح ﴿إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ تشهده الملائكة ملائكة الليل وملائكة النهار[1] يجتمعون دائما عند صلاة الصبح ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾ صلى الله عليك وسلم ﴿بِهِ﴾ بالقرآن ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ فريضة؛ الرسول صلى الله عليه وسلم فرض عليه صلاة الليل نافلة أي فريضة، نافلة في حق أمتك وفريضة في حقك[2]، هو لا يترك قيام الليل أبدا فريضة عليه ونافلة لغيره، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول (حسنوا من النوافل فإن الله يكمل بها الفرائض)[3] ﴿عَسَى أَنْ يَّبْعَثَكَ﴾ يقيمك ﴿رَبُّكَ﴾ في الآخرة ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ يحمدك فيه الأولون والآخرون، وهو مقام الشفاعة.

---

1 - أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح) يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم "وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا" كتاب تفسير القرآن/ باب قوله تعالى وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا (4717) ولمسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها (1035) وللترمذي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله "وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا" قال تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار. قال هذا حديث حسن صحيح. سنن الترمذي: كتاب التفسير/ باب ومن سورة بني إسرائيل (3060)

2 - "نافلة لك" قيل معناه أنك مخصوص بوجوب ذلك وحدك فجعلوا قيام الليل واجبا في حقه دون الأمة. رواه العوفي عن ابن عباس وهو أحد قولي العلماء وأحد قولي الشافعي رحمه الله واختاره ابن جرير. ابن كثير ج55/3 وفي الجلالين ج360/2.

3 - عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أول ما يحاسب به العبد صلاته فإن كان أكملها وإلا قال الله عز وجل: انظروا لعبدي من تطوع فإن وجد له تطوع قال: أكملوا به الفريضة).

إذا كان يوم القيامة وقف النبي صلى الله عليه وسلم وشفع في الأنبياء والمرسلين وشفع في العلماء وشفع في الشهداء وصار كلهم يشفعون في الخلائق هذا مقامه الذي يغبطه فيه الأولون والآخرون، وحديث الشفاعة بطوله سيأتي[1] ﴿وَقُل رَّبِّ

سنن النسائي: كتاب الصلاة/ المحاسبة على الصلاة (463) واللفظ له. ورواه الترمذي بلفظ آخر من كتاب الصلاة / باب ما جاء في أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة (378) ولأبي داود من كتاب الصلاة/ باب قول النبي كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه (733) وقد أورده الإمام العجلوني في كشف الخفاء بلفظ: "حسنوا نوافلكم، فبها تكمل فرائضكم". حرف الحاء المهملة (1138).

1 - أخرج البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة.

وقد أورد البخاري في كتاب التوحيد حديث الشفاعة وفيه قال: ...وقال حجاج بن منهال حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو الناس خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء لتشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، قال فيقول: لست هناكم قال ويذكر خطيئته التي أصاب أكله من الشجرة وقد نهي عنها ولكن ائتوا نوحا أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحا فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله ربه بغير علم ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن، قال فيأتون إبراهيم فيقول: إني لست هناكم ويذكر ثلاث كلمات كذبهن ولكن ائتوا موسى عبدا آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا، قال فيأتون موسى فيقول: إني لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفس ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله وكلمته، قال فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني فيقول ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرج فأدخلهم الجنة. قال قتادة وسمعته أيضا يقول فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود الثانية فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا

أَدْخِلْنِي﴾ المدينة ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ إدخالا مرضيا لا أرى فيه ما أكره ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾ من مكة ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ إخراجا لا ألتفت بقلبي إليها ﴿وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ قوة تنصرني بها على أعدائك ﴿وَقُلْ﴾ عند دخولك مكة ﴿جَاءَ الْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ بَطَل الكفر ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ مضمحلا زائلا. دخل الرسول صلى الله عليه وسلم الكعبة وفيها ثلاثمائة وستون صنما وجعل يطعنها بعود في يده وهو يقول «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا»[1] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ لكفرهم به ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ﴾ الكافر ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ ثنى عطفه متبخترا ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿كَانَ يَئُوسًا﴾ قنوطا من رحمة الله. الإنسان

رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه قال ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرج فأدخلهم الجنة. قال قتادة وسمعته يقول فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه قال ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرج فأدخلهم الجنة. قال قتادة وقد سمعته يقول فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود قال ثم تلا هذه الآية "عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا" قال وهذا المقام المحمود الذي وُعِده نبيكم صلى الله عليه وسلم. صحيح البخاري: كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة" (7440).

1 – رواه البخاري عن عبد الله رضي الله عنه قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاث مائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول "جاء الحق وزهق الباطل" "جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد" صحيح البخاري: كتاب المغازي/ باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح (4287).

عادته التكبر لأنعم الله تبارك وتعالى، وإذا جاءه الفقر والذل تمسكن، وتبختره لا موجب له. الإنسان أوله نطفة وآخره جيفة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة دائما ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ منا ومنكم ﴿يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ طريقته ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً﴾ طريقا فيثيبه.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ سبب نزولها أن اليهود أرسلوا إلى قريش: سلوا محمدا عن ثلاثة أشياء إن أجابكم عن الجميع فليس بنبي، وإن لم يجب عن شيء فليس بنبي، وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي حقا. سلوه عن الروح وسلوه عن فتية خرجوا وساروا على وجه الأرض ما كان أمرهم، وسائح ساح في البلاد طاف بالمشرق والمغرب[1]. فسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فقال غدا آتيكم بالجواب ونسي صلى الله عليه وسلم أن يقول إن شاء الله ففتر الوحي خمسة عشر يوما وبعد ذلك أتاه جبريل بقوله تعالى: "ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت"، سألوه عن الروح فأتى الجواب وسألوه عن الفتية وسيأتي وعن السائح وسيأتي في السورة الآتية إن شاء الله[2] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ اليهود ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾ الذي يحيى به البدن ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ علمه لا تعلمونه ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ﴾ أنتم اليهود ﴿مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ أجابهم عن الروح. الروح من عالم الأمر. الله تبارك وتعالى خلق الخلق فجعل منهم خلقا وأمرا، الخلق ما ظهر، ما خلقه الله من شيء، كل ما في هذا الخلق إنما خرج من شيء. وعالم الأمر ليس كعالم الخلق هو الذي خلقه الله من لا شيء، عالم الأرواح، الغيب والشهادة، أو

---

1 – حاشية الصاوي على الجلالين ج2/ 361.

2 – وهي سورة الكهف، وفيها ذكر الفتية وهم أصحاب الكهف والسائح وهو ذو القرنين.

الدنيا والآخرة، أو الحس والمعنى، أو الظاهر والباطن، أو الخلق والأمر، أسماء مترادفة. ورد في الحديث: (أول ما خلق الله روحي) هذا هو الصحيح، أول ما أوجده الله هو روح محمد صلى الله عليه وسلم، ومنه أوجد جميع ما أوجد. حديث: (لولاك ما خلقت شيئا، خلقتك من أجلي وخلقت الخلق من أجلك)[1] وحديث: (أنا من الله والمؤمنون مني)[2] هذا أدب ولكنْ المؤمنون وغيرهم كلهم منه صلى الله عليه وسلم. ورد في أحاديث أسماء كلها تعني هذا الروح: أول ما خلقه الله القلم[3] وهو الروح، أول ما خلقه الله الجوهرة الدرة البيضاء، أول ما خلق الله ملكا كروبيا، أول ما خلق الله العقل. كل هذا يرجع إلى هذا الروح الذي هو روح محمد صلى الله عليه وسلم، ومن روح محمد صلى الله عليه وسلم أوجد الله كل ما أوجد[4]. قال في حق آدم "إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه

---

1 - جاء في شرح الحكم العطائية للشرنوبي: وفي بعض الكتب المنزلة (يا ابن آدم خَلقتُ الأشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلي فلا تشتغل بما هو لك عمن أنت له). ص163 وفي كشف الخفاء: روى الديلمي عن ابن عمر (أتاني جبريل فقال يا محمد لولاك ما خلقت الجنة ولولاك لما خلقت النار) حديث رقم 91 من باب الهمزة.

2 - كشف الخفاء (619) عن الديلمي وورد في التذكرة في الأحاديث المشتهرة (36) وذكره السخاوي في المقاصد الحسنة/ كتاب الفضائل.

3 - روى الترمذي واللفظ له وأبو داود وأحمد كلهم عن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرى بما هو كائن إلى الأبد). سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ من سورة ن والقلم (3241).

4 - جاء في تفسير روح البيان ما نصه: وأما قوله صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله جوهرة، وأول ما خلق الله روحي، وأول ما خلق الله العقل، وأول ما خلق الله القلم، وقول بعض الكبراء من الأئمة إن أول المخلوقات على الإطلاق ملك كروبي يسمى العقل، وهو صاحب القلم وتسميته قلما كتسمية صاحب السيف سيفا كما قيل لخالد بن الوليد رضي الله عنه سيف الله وهو أول لقب في الإسلام، وقول الله تعالى

من روحي" هو روح محمد صلى الله عليه وسلم. وقال في حقنا نحن أنه خلق آدم "من سلالة من طين" وأولاده من نطفة ثم سواه ونفخ فيه الروح، ولد آدم لما خلقوا من نطفة نفخ فيهم روح محمد صلى الله عليه وسلم، وقال في حق عيسى ونفخنا فيها أو فيه من روحنا، روح محمد صلى الله عليه وسلم هذا الذي نفخ في مريم فأوجد عيسى عليه الصلاة والسلام، وهو الروح الذي نفخ في جبريل. فلهذا الأشياء كلا وجدت بنور محمد صلى الله عليه وسلم، وروح محمد صلى الله عليه وسلم أمر ليس من الخلق إنما هو من عالم الأمر. فلما كان روح محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي نفخ في آدم حتى وجد آدم، فآدم أبو البشر ومحمد صلى الله عليه وسلم أبو الأرواح، وإليه يشير حديث (آدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة)[1]. وسئل عن الروح فقال: منزلته من الملائكة كمنزلة الملائكة من الجن والإنس، الملائكة يحيطون بالجن والإنس، والروح الذي هو روح محمد صلى الله عليه وسلم هكذا بالنسبة إلى الملائكة "يوم يقوم الروح والملائكة"، "تنزل الملائكة

"يوم يقوم الروح والملائكة صفا" وقد جاء في الخبر أن الروح ملك يقوم صفا فلا يبعد أن يكون هذا الملك العظيم الذي هو أول المخلوقات هو الروح النبوي، فإن المخلوق الأول مسمى واحد وله أسماء مختلفة، فبحسب كل صفة فيه سمي باسم آخر، ولا ريب أن أصل الكون كان النبي عليه السلام لقوله (لولاك ما خلقت الكون) ... إلى أن قال بعد كلام: فيلزم من ذلك أن يكون روحه صلى الله عليه وسلم أول شيء تعلقت به القدرة، وأن يكون المسمى بالأسماء المختلفة فباعتبار أنه كان درة صدف الموجودات سمي درة وجوهرة كما جاء في الخبر أول ما خلق الله جوهرة وفي رواية درة فنظر إليها فذابت فخلق منها كذا وكذا، وباعتبار نورانيته سمي نورا، وباعتبار وفور عقله سمي عقلا، وباعتبار غلبة الصفات الملكية عليه سمي ملكا، وباعتبار أنه صاحب القلم سمي قلما... من تفسير روح البيان ج5/ 199. تقدم في الدرس 13.

1 – تقدم تخريجه، رواه الترمذي في كتاب المناقب/ باب في فضل النبي (3548) وأحمد في مسند عبد الله بن عباس (2415)

والروح"، سيأتي في سورة القدر. ذلك الروح عالم محيط بالملائكة، كما أن الملائكة تحيط بنا، وهو الحقيقة المحمدية «ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي»، لما كان هذا الروح هو أصل الموجودات وهذا الروح من حضرة الله تبارك وتعالى لهذا تجد الإنسان روحه ونفسه في حرب دائما، النفس البدن، الجسد من هذا التراب ولا يحب إلا الرجوع إليه والروح من تلك الحضرة المقدسة ولا يريد إلا الرجوع إليها. فيتحاربان دائما إذا غلب الروح على النفس رجع العبد إلى حضرة مولاه تبارك وتعالى، وإذا غلبت النفس رجع أسفل سافلين. والإنسان فيه روحان روح حيواني ورح إنساني. هذا الروح الإنساني به تميز ابن آدم عن غيره من الحيوانات. قلت لكم في تفسير "والموتى يبعثهم الله" إن الجسد بلا روح ميتة[1]، وجسد بروح ولا عقل مجنون، وإذا كان به عقل وليس فيه معرفة هذا عقلٌ كمالٍ ضائعٍ لم ينتفع به، وإذا كان معرفة حصل المراد تكون المعرفة روحا للعقل، والعقل روحا للروح، والروح روحا للجسد. فعلى هذا الإنسان عنده روح حيواني، وروح إنساني إن شئت قلت: نفس وروح، تجد الفرق بينهما في آية الزمر "الله يتوفى الأنفس حين موهّا والتي لم تمت في منامها"[2]، الإنسان فيه نفسان نفس إذا توفيت مات الإنسان، ونفس إذا توفيت نام الإنسان لم يمت، "الله يتوفى الأنفس حين موهّا" هذا الروح الحقيقي. "والتي لم تمت" يتوفاها أيضا في منامها. فالإنسان روحه به يتنفس ويتحرك. يتنفس ويتحرك ما دام فيه الروح، ونفسه بها يميز ويدرك يكون له حس، فلهذا إذا نام ماتت نفسه التي هي الروح الحيواني فيبقى متحركا وهو نائم، ويبقى

---

1 – تقدم هذا الكلام في بداية الدرس 16.

2 – في الدرس 43.

متنفسا وهو نائم لأن الروح الحقيقي موجود، وإذا أخذ الله هذا الروح بأن أماته يبقى لا حركة له ولا نفَس ولا حس ولا شيء، مات. الموت موتان: موت هو النوم فقط، وموت هو الموت الحقيقي، إذا سلب هذا الروح الحيواني يكون نائما، وإذا سلب الروح الحقيقي يكون ميتا. «قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً» ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ القرآن بأن نمحوه من الصدور والمصاحف ﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً إِلاَّ﴾ لكن أبقيناه القرآن ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ عظيما حيث أنزله عليك وأعطاك المقام المحمود وغير ذلك ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ أي معينا نزل ردا على قولهم " لو نشاء لقلنا مثل هذا" القرآن معجز وإعجازه في فصاحته وبلاغته، عجز العرب أن يأتوا بمثل هذا القرآن في الفصاحة والبلاغة. كان عالم من علماء أمريكا يعارض هذا يقول: المسلمون يعتقدون أن القرآن معجز لا يقدر أحد أن يأتي بمثل القرآن، هل قالوا هذا حقا عندهم أم قالوه فقط تعصبا لدينهم؟ قال له واحد: نعم القرآن معجز، قال له: كيف تقول القرآن معجز؟ أنا في الفصاحة والبلاغة كذا وأنت كذا وكان يدرس معه النحو والعربية وكل شيء، قال له نعم تعال لعلنا نصنع شيئا مثل القرآن، جهنم هذه خلق عظيم من أعظم ما خلق الله تبارك وتعالى، هيا نصف جهنم في سعتها وعظمتها. فقال الأمريكي: جهنم خلق خلقه الله من أعظم المخلوقات تسَع كذا وكذا وكذا، جهنم عظيم كذا وكذا، جاء بكثير من العبارات. قال له: انظر ما قال الله تبارك وتعالى: "يوم يقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد" قال صدقتم القرآن معجز لا يقدر أحد أن يقارب القرآن، عبروا كل عبارة وما قاربوا "هل من مزيد" فقط «لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ

وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا» تحدى أولا بالقرآن كله وثانيا بعشر سور وثالثا بسورة من مثله وعجزوا عن ذلك ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بينّا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أهل مكة ﴿إِلاَّ كُفُورًا﴾ جحودا للحق ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تُفَجِّرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ أتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا له: تفجر لنا ينبوعا من الأرض ينبع منه الماء ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿مِن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلاَلَهَا﴾ وسطها ﴿تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ قطعا ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ قَبِيلاً﴾ مقابلة وعيانا فنراهم ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ ذهب ﴿أَوْ تَرْقَى﴾ تصعد ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ بسلم ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ لو رقيت ﴿حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا﴾ منها ﴿كِتَابًا﴾ فيه تصديقك ﴿نَّقْرَؤُهُ﴾ قالوا هذا للرسول[1] صلى الله عليه وسلم ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تعجب ﴿هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ كسائر الرسل ولم يكونوا يأتون بآية إلا بإذن الله. قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم ليس علي هذا أنا رسول فقط أبلغ ما أرسلت به والإتيان بالآيات ليس علي، ليس علي شيء من هذا، قالوا: آتنا بكتاب يكتب الله تبارك وتعالى: من الله تبارك وتعالى إلى شيبة إلى عتبة إلى أبي جهل بن هشام إلى فلان إلى فلان: إن محمدا هذا رسول من عندي. الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لهم: أنا رسول فقط، والرسول ليس عليه إلا أن يبلغ الرسالة فقط، وما بقي على الله تبارك وتعالى، والله يمنعه من الإتيان بهذه الآيات علمه تعالى بأنهم لا يؤمنون، وإذا لم يؤمنوا يهلكون، وإذا هلكوا لم يتم أمر محمد صلى الله

---

1 – وهم حسبما ذكره ابن إسحاق وغيره أنهم رؤساء قريش مثل عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبي سفيان والنضر بن الحارث وأبي جهل وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف وأبي البختري والوليد بن المغيرة وغيرهم. ذكره القرطبي ج10/ 328.

عليه وسلم ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ أنكروا الرسول لأنه بشر. من كان بشرا لا يستحق أن يكون رسولا ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلاَئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولاً﴾ لو كان الملائكة يسكنون الأرض نعم لأرسلت إليهم رسولا من جنسهم ولكن أنتم بشر سكنتم الأرض فكيف أرسل إليكم ملكا؟ لا أرسل إليكم إلا بشرا مثلكم ليمكنكم مخاطبته والفهم منه ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عالما ببواطنهم وظواهرهم وهو قال في سورة الأنعام "ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا" محل الإشكال لم يعلموا هل الرجل ملك أم لا لأن الله لو أنزل ملكا لجعله على صورة رجل ﴿وَمَنْ يَّهْدِ اللَّهُ فَهْوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُّضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ يهدونهم ﴿مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ماشين ﴿عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾ سكن لهبها ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ تلهبا واشتعالا ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا وَقَالُواْ﴾ منكرين للبعث ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مع عظمهما ﴿قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَّخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي الأناسي ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً﴾ للموت ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا﴾ جحودا له ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّيَ﴾ من الرزق والمطر ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ﴾ بخلتم ﴿خَشْيَةَ الإِنفَاقِ﴾ خوف نفادها بالإنفاق فتقتروا ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا﴾ بخيلا ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات وهي اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والسنين ونقص

الثمرات[1] ﴿فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ سؤال تقرير ﴿إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ ظن فرعون أن موسى مسحور أي مخدوع مغلوب على عقله ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ﴾ الآيات ﴿إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ عبرا ولكنك تعاند ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ هالكا، فراسة موسى صدقت وفراسة فرعون ذهبت هباء منثورا، ظن موسى مسحورا وموسى رسول حقا صادق، وموسى ظن أن فرعون سيهلك فهلك ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَّسْتَفِزَّهُمْ﴾ يخرج موسى وقومه ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ﴾ الساعة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ جميعا أنتم وهم ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ﴾ القرآن ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ كما أنزل لم يعتره تبديل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿إِلاَّ مُبَشِّرًا﴾ من آمن بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ من كفر بالنار ﴿وَقُرْءَانًا﴾ نزلنا القرآن ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ مفرقا في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ على مهل وتؤدة ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾ شيئا بعد شيء على حسب المصالح ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة ﴿ءَامِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ﴾ قبل نزوله وهم مؤمنو أهل الكتاب ﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ تنزيها له عن خلف الوعد ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ بنزوله وبعث النبي ﴿لَمَفْعُولاً وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ﴾ القرآن ﴿خُشُوعًا﴾ تواضعا لله، وكان صلى الله عليه وسلم يقول: (يا الله يا رحمن) فقالوا ينهانا أن نعبد إلهين وهو

---

1 – قوله: (والسنين ونقص الثمرات) هذا شيء واحد لأن نقص الثمرات لازم للسنين وما ذكره المفسر في عد الآيات التسع هو المشهور، لأن هذه التسع هي التي ظهرت على يد موسى تهديدا لفرعون وقومه رجاء إيمانهم. حاشية الصاوي/ سورة الإسراء ص365

يدعو إلها آخر معه؟ فنزل ﴿قُلُ ادْعُواْ اللَّهَ﴾ هو اسمه الأعظم ﴿أَوُ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ﴾ من أسمائه تبارك وتعالى، الله هو الاسم الذي هو علمٌ على الذات ما تسمى به غيره، تسمى به جبار واحد فصهر بطنه أي ذاب فمات في الحين[1]؛ فما تسمى به أحد وكل الأسماء يتسمى به بعض الخلق. مسيلمة الكذاب سمى نفسه الرحمن، والله لا يتسمى به أحد، وكل اسم يضاف إلى الله، والله لا يضاف إلى اسم، هو الاسم الأعظم الظاهر التسعة والتسعون هو أعظمهم ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾ أي هذين تدعو فهو حسن ﴿فَلَهُ﴾ لمسماهما ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ الله واحد ولكن أسماءه متعددة وأسماؤه الحسنى هي هذه الأسماء كما في الحديث: (اللهم إني أسألك يا الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الأحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرءوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور) رواه

---

[1] - روح البيان ج5/ 212

الترمذي[1]. هذه هي أسماء الله التسعة والتسعون، من أحصاها دخل الجنة، وإحصاؤها في مقام الإسلام من آمن بها وحفظها واعتقدها، وفي مقام الإيمان من تخلق بأخلاقها، وفي مقام الإحسان من فني عن وجوده وبقي بوجود هذه الأسماء. وهذه الأسماء بينا لكم أنها حقيقة أربعة أسماء: الأول الآخر الظاهر الباطن، وإن شئت قلت الحي العالم المريد القادر. الأول الآخر الظاهر الباطن أربعة أسماء، إذا أضفتها إلى حضرة جمع الجمع الذي هو الحضرة التي ليس فيها اسم كانت خمسة، خمسة أسماء لكلٍ ظاهر وباطن، عشرة هذا؟ وبالنسبة إلى حضرة جمع الجمع أحد عشر وإذا تجلت في الحقائق الثلاث خرجت ثلاثا وثلاثين، فلهذا ورد: (تسبحون الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين، وتحمدون الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين، وتكبرون الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين)[2] ثلاث وثلاثون هذه تجلت في الحضرات الثلاث: حضرة السمع والبصر والكلام فخرجت تسعة وتسعون، لله تسعة وتسعون اسما، مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة. وبالنسبة إلى حضرة جمع الجمع مائة، فإذا نظرنا بالنسبة إلى ظاهرها وباطنها وتجلت في الحضرات الخمس تكون ألفا وبالنظر إلى حضرة جمع الجمع تكون ألفا وواحدا، فهي هكذا[3]، ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ﴾ بقراءتك فيها فيسمعك المشركون فيسبوك ويسبوا القرآن ﴿وَلاَ تُخَافِتْ﴾ تسر ﴿بِهَا﴾ لينتفع أصحابك ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الجهر والمخافتة

---

1 – بلفظ (إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد من أحصاها دخل الجنة هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم...) سنن الترمذي: كتاب الدعوات/ باب ما جاء في عقد التسبيح باليد (3429).

2 – طرف من حديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة، صحيح البخاري: كتاب الأذان/ باب الذكر بعد الصلاة (843).

3 – سبق ذكر أسماء الله الحسنى وحضراتها في الدرس 20.

﴿سَبِيلاً﴾ طريقا وسطا. خرج النبي صلى الله عليه وسلم فسمع عمر يصلي بالليل ويقرأ جهرا فسأله فقال: أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان. ومر بأبي بكر وهو يصلي سرا فسأله، فقال: أسمعت من ناجيت، قال الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر: أخفض من صوتك شيئا، وقال لأبي بكر: ارفع من صوتك شيئا[1]. خير الأمور أوساطها كما تقدم في أول الدرس ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ أمرنا الله تبارك وتعالى أن نحمده على كونه لم يتخذ ولدا، هذه نعمة كبيرة لأن شأن البنوة عظيم عند البشر، فلو كان لله ولد لعبدناه ولو كان لله ولد وكان ما كان لابد أن يتخذ شريكا لله. فالأنبياء لهم أولاد غير صالحين، والأولياء لهم أولاد غير صالحين ولكن ما يمنع ذلك من رفعة قدر أولادهم في قلوب الناس لمقام آبائهم وأجدادهم فلهذا جروا فسادا كبيرا إلى هذا الدين، انتسبوا إلى الصالحين وهم غير صالحين فأفسدوا الدين وتابعهم الناس على ذلك، فلو كان لله ولد إذاً ما يكون؟ قال: احمدوا الله لما لم يكن لله ولد «ولم يكن له شريك في الملك» في الألوهية ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ﴾ ينصره ﴿مِنَ﴾ أجل ﴿الذُّلِّ﴾ لم يذل فيحتاج إلى ناصر ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ عظمه عظمة تامة عن اتخاذ الولد والشريك والذل وكل ما لا يليق به. وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على أنه المستحق لجميع المحامد لكمال ذاته وتفرده في صفاته. روى الإمام أحمد في مسنده

---

1 – أخرج الترمذي في سننه عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر مررت بك وأنت تقرأ وأنت تخفض من صوتك فقال: إني أسمعت من ناجيت قال: ارفع قليلا، وقال لعمر: مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع صوتك قال: إني أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان، قال: اخفض قليلا. الترمذي: كتاب الصلاة/ باب ما جاء في قراءة الليل (409) وفي سنن أبي داود: كتاب الصلاة/ باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل (1133). تقدم في الدرس 20.

عن معاذ الجهني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: آية العز الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا و لم يكن له شريك في الملك إلى آخر السورة[1]. والله تعالى أعلم. اللهم صل على سيدنا محمد وسلم.

[إخواننا جئناكم بتفسير موجز تحرينا أن نفسر لكم القرآن بالقرآن وبالحديث وجئناكم بإشارات توضح لكم الطريق أي طريق القوم، الطريق إلى الله التي سلكتموها. ونرجو أن تسمعوا وتعوا، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا جميعا وإياكم لما فيه الخير لنا في الدنيا والآخرة، وإلى اللقاء في زمن آخر نجد استعدادا في نفوسنا لإتمام هذه الدروس. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته][2].

---

1 – مسند الإمام أحمد: مسند الكوفيين/ حديث معاذ بن أنس الجهني (15081)

2 – بهذه الفقرة ختم مولانا الشيخ إبراهيم رضي الله عنه الدورة الأولى من التفسير عند نهاية رمضان الأبرك عام 1383 هـ.

فهرست الجزء الثالث